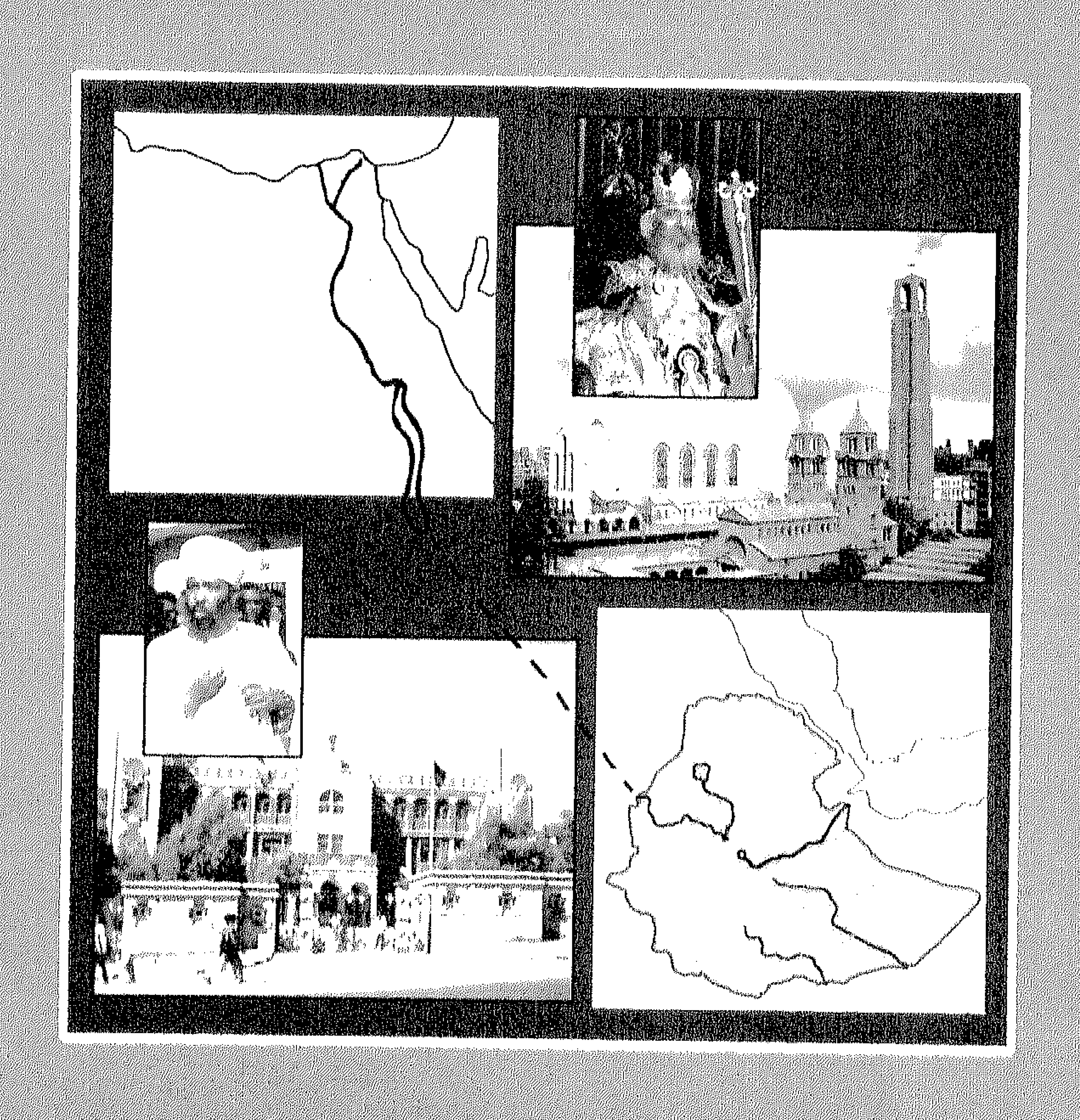
د . أنطون يعقوب ميخائيل

نحن وإثيوبيا ...

مشوار طويل فى الزمن



إهـــــــداء ٢٠٠٦

الدكتور/ انطون يعقوب ميخائيل

القاهرة

نحـــن وإثيـــوبيـــا ...

مشـــوار طويـــل فـــى الزمـــن

د. أنطون يعقوب ميخائيل

اسم الكتاب : نحن وإثيوبيا

المـــؤلـــف : الدكتور أنطون يعقوب ميخائيل

التـــوزيـــع : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس

المطبعـــــة : شركة الطباعة المصرية. - العبور: ٦١٠٠٥٨٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٨٩٢٨

مقــدمة

احتلت الكرازة المرقسية مكاناً متصدراً فى التاريخ المسيحى وتبوأت مكانة بلغتها بوعيها وفهمها لقداسة الله ومحبته وحكمته، فتدثر أباؤها بالطهر والتعفف، وانقادوا بالروح القدس المعلم والمرشد، وحملوا الرسالة بالحب الباذل ولهم فكر المسيح "الذى أطاع حتى الموت. فى ٢ : ٨". واتسمت أفكارهم وتعاليمهم بالاستقامة والاستنارة فكانت لهم الريادة والقيادة فى المجامع المسكونية الأولى، ولهم مدرستهم فى الفكر اللاهوتى فرسّخوا المفهوم المسيحى السليم، وكانوا وراء قانون الإيمان النيقاوى الذى تعترف به اليوم كنائس العالم الرئيسية. وتلقف لاهوتيو الشرق والغرب كتاباتهم مترجمين وشارحين، وحفلت بقصة كنيستهم كتابات الأوائل أمثال بلاديوس وكاسيان وچيروم وبوسيه، وأشاد بدورها المؤثر مؤرخون محدثون أمثال بتلر وبرستر وكريد الذى أكد أنه ما من بلد أثر فى انتشار المسيحية أعمق مما فعلت مصر وكنيستها، تشهد لها بذلك إفريقيا وأوروبا حيث وصل مبشروها ورهبانها، كما تشهد لها رهبانيات العالم قديما وحديثا التى نقلت عنها.

والكرازة من "كرز" وهى كلمة سريانية تعنى "نادى ببشارة الإنجيل". "والكارز" وظيفة مركزية كحامل لرسالة الفرح والخلاص. وذكره القديس بولس بمثابة الجواب لسلسلة من التساؤلات وضعها : "فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ رو ١٠ : ١٤"وقدم السيد المسيح ذاته كالكارز الأول" "يكرز ويبشر بملكوت الله. لو ٨ : ١" وجند تلاميذه لهذه الوظيفة الطليعية" إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. مز ١٦ : ١٥". فبشارة الفرح الحقيقى هى لب خدمة الكنيسة.

ويضيف الرسول بولس إلى ذلك دعوته إلى أن "نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله. ٢كو ٥ : ٢٠"، ويشير إلى نفسه كسفير فى سلاسل (أف ٦ :٢٠)، كأن السفارة والكرازة متلازمتان، وكأن الدبلوماسية جانب من جوانب الكرازة تساندها فى دعوة الناس إلى التصالح مع الله "تصالحوا مع الله". وهى "عملية تفاوضية" مع من كانوا قبلا "أجنبيين وأعداء فى الفكر (كو ١ : ٢١) وغرباء عن عهود الموعد (أف ٢ : ١٢)، وتتطلب أرفع درجات الدبلوماسية فى تخير الكلمات وتقديم

الأفكار والاستعانة بالوسائل والتحلى بالكياسة والصبر، حتى أن السيد نبه الكارزين إلى أن يكونوا "حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. مت ١٠ : ١٦".

وقدم القديس بولس أمثلة رائعة فى دبلوماسية الكرازة، ويكفى أنه وقف وسط أريوس باغوس (مجلس القضاء الأعلى) وهتف بين أهل أثينا قائلا "أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا. أع ١٧ : ٢٢" رغم أن روحه احتدت فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناما (أع ١٧ : ١٦). وقد أكد منهاج دبلوماسيته بقوله "استعبدت نفسى للجميع لأربح الكثيرين ... صرت لليهودى كيهودى ... وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس... وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ... صرت للضعفاء كضعيف... صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوما. اكو ٩ : ١٩ ـ ٢٢".

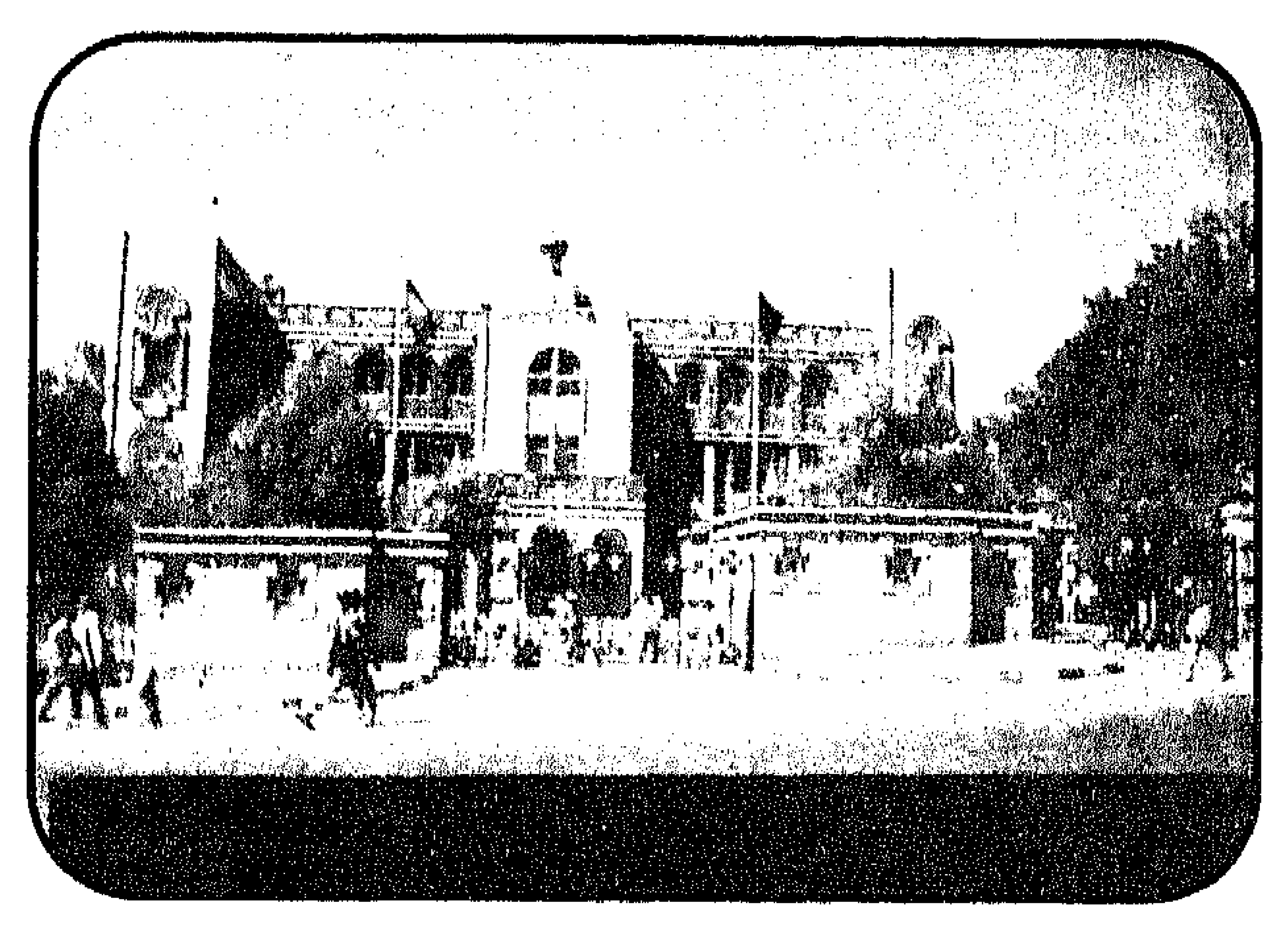
ومن واقع تاريخنا إتسمت دبلوماسية كرازتنا المرقسية بالنضال الذى أخذ صورا متعددة وفق طبيعة كل مرحلة من مراحل هذا التاريخ ومقتضياتها : ففى القرون الأولى كانت دبلوماسية الصمود بالامتناع وعدم الانصياع، فلا تبخير ولا سجود لغير الله. إلى التصدى بالصمت الذى كان أبلغ من الكلام، والإقدام على الموت دون تهيب مما أدهش وأفزع الطغاة. إلى العناد والتشبث بما هو حق إلى حد النزول تحت الأرض والالتجاء إلى الكهوف والمغارات. وبداية بالقرن السابع الميلادى سادت دبلوماسية المهادنة والتفهم للنظام الجديد الوافد، وتعمقت فلسفة التعايش السلمى معه حين ساد وصارت له الأغلبية العددية، مع هبات من الاحتجاج، الثائر أحيانا، والهادئ والمتزن أغلب الأحيان فى وجه تجاوزات الحكم أو جوره وطغيانه. وعموما غلبت دبلوماسية "الظهر إلى الحائط" مع الاستمساك وعدم التفريط حفاظا على الكنوز الإيمانية للكرازة المرقسية.

وقدمت إثيوبيا لكرازتنا مجالا لتمارس دبلوماسية العلاقات بعد أن دخلت بلادها فى الثلث الأول من القرن الرابع، وبدأت معها علاقة توطدت مع الأيام واستمرت قرابة ستة عشر قرنا، غلب عليها طابع الأمومة فاحتضنتها وقدمت لها ما استطاعت من رعاية، وزودتها فى نطاق إمكاناتها مما لديها من تراث وذخيرة روحية ولاهوتية وطقسية، وبذلت جهدها للحفاظ على سلامتها وسلامة عقيدتها. وإن كانت الأم مهما أعطت فهناك مكان لمزيد، أو هكذا يتصور الأبناء.

ويتناول هذا الكتاب تلك العلاقة طوال القرن الماضى حين بدأت تأخذ إتجاهات جديدة، وبدت الكرازة وهى فى حاجة ماسة إلى الاستعانة بدبلوماسيتها سعيا وراء الحفاظ عليها. ويتناولها الكتاب باعتبارها "دراسة حالة A Case Study" للدبلوماسية المرقسية ومنهجها وممارساتها بصورة تحليلية موضوعية فى سعى منه لإلقاء الضوء على هذه الحقبة بنجاحاتها وإخفاقاتها، وتسجيلا للتاريخ لتبقى ماثلة فى الذاكرة بحلوها ومرها وبدروسها وعبرها. وهى وإن كانت تمثل رؤية فردية يستوجب الحكم عليها ونقدها موضوعيا، فقد تستنهض المهتمين بهذه العلاقة وتاريخها ليدلوا بدلوهم تصحيحا وتوضيحا أو إضافة لمزيد مما ينفع ويفيد.

ولقد نشرت لى جريدة "وطنى" الغراء مقالا عام ١٩٩٣ بنفس عنوان هذا الكتاب أكد عراقة هذه العلاقة "فهى لا تعود فقط إلى فجر التاريخ أو إلى مصر الفرعونية، حين تشابكت مصالح البلدين وتطلعاتهما وتقاطعت طرقهما فى منعطفات تاريخيه عدة، بل إلى أقدم من ذلك ليس فقط لأن ثمانين بالمئة من مياه نيلها تأتيه من هضابها وأن كل ذرة طمى كانت تصل إليه هى من تركيبات صخورها الغنية، بل ولأن دلتاها بنتها هذه الترسيبات المحمولة بالنيل العظيم. فكل طبقة من طبقات أرضها تحكى تاريخاً چيولوچيا يؤكد رابطة عضوية تالدة. وكل طعام تنتجه تربتها تؤكد نمطا من التوأمة بين الشعبين العريقين. ولو كنا من الشعوب المهاجرة فى القديم لصار لنا فيها أصهار وأنسباء وأحفاد أماجد يشهدون على ديمومة هذه العلاقة التى تبدو وكأنها تتحدى الزمن. لهذا أشعر شخصيا أن لهذه العلاقة قدسية خاصة تغرينا على الاعتزاز بها والتمسك بأواصرها. وتدعونا إلى تقديرها واحترامها كما تحثنا على الصلاة من أجل توثقها واستمرارها ونموها، وتطورها إلى تعاون مثمر لصالح الكرازة المرقسية وازدهار شعوبها".

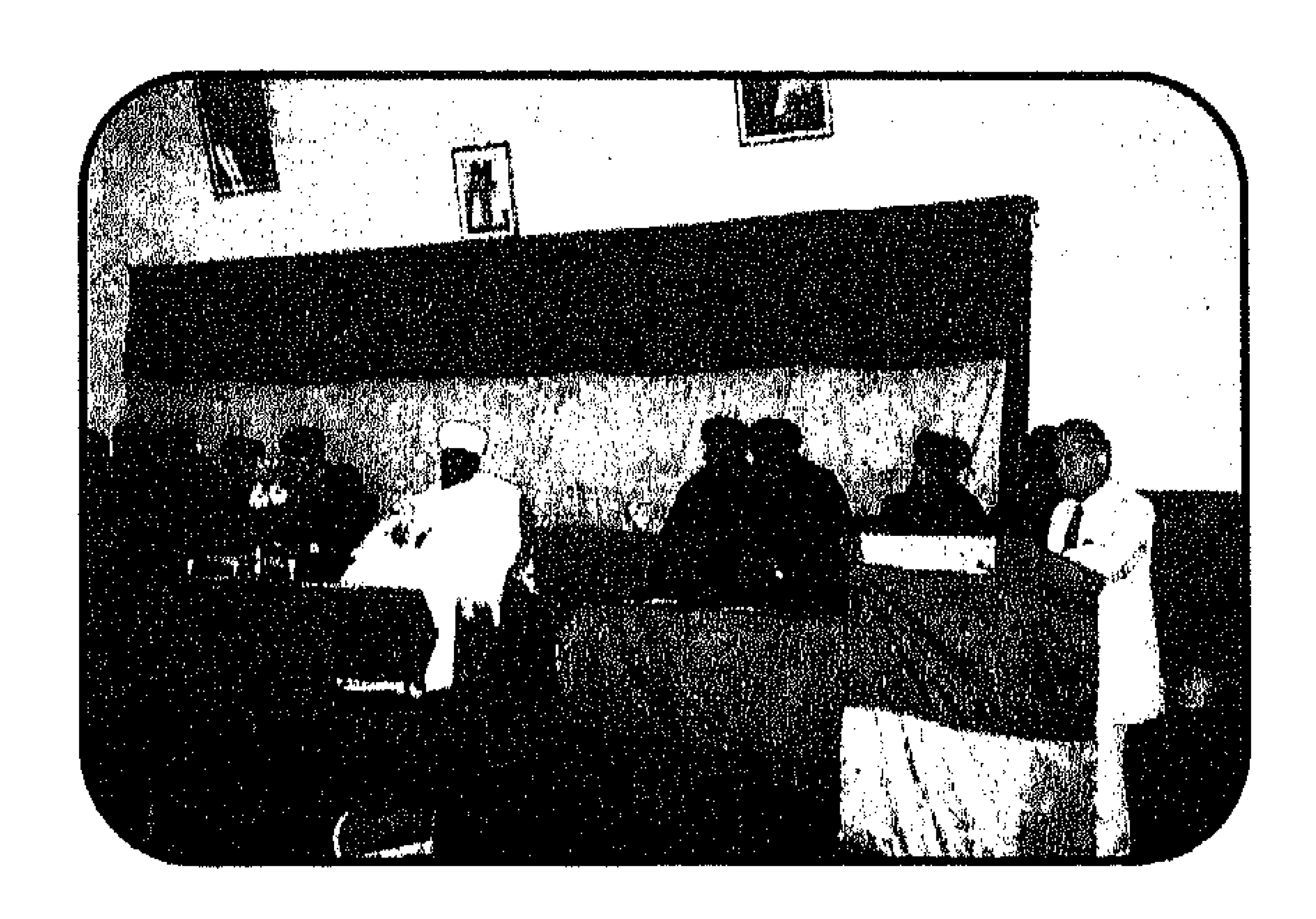
المــؤلف



المقر البطريركى الجديد بالعاصمة

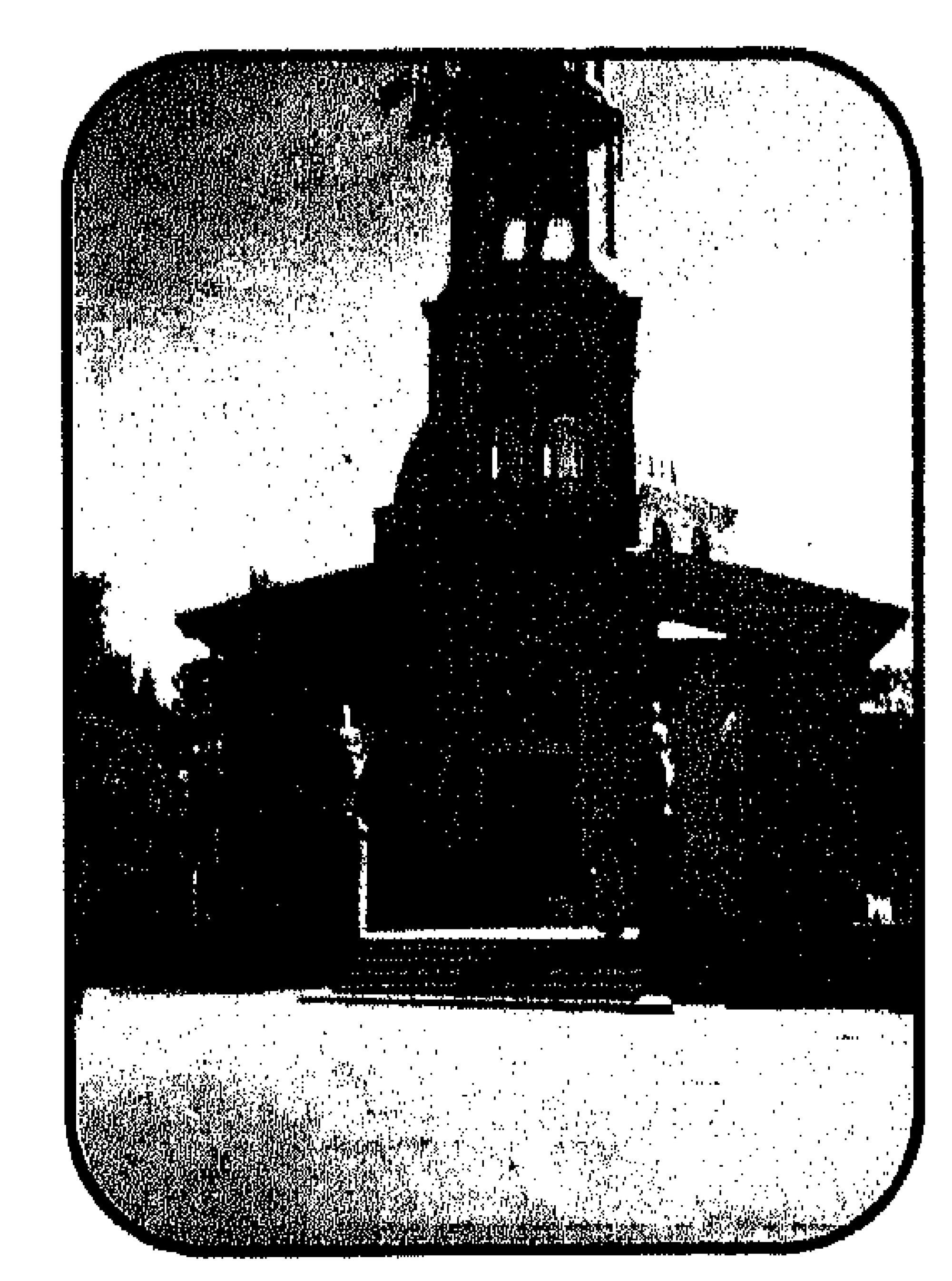


غبطة البطريرك يقدم المؤلف
لدى تسلمه مهامه كعميد
بكلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا

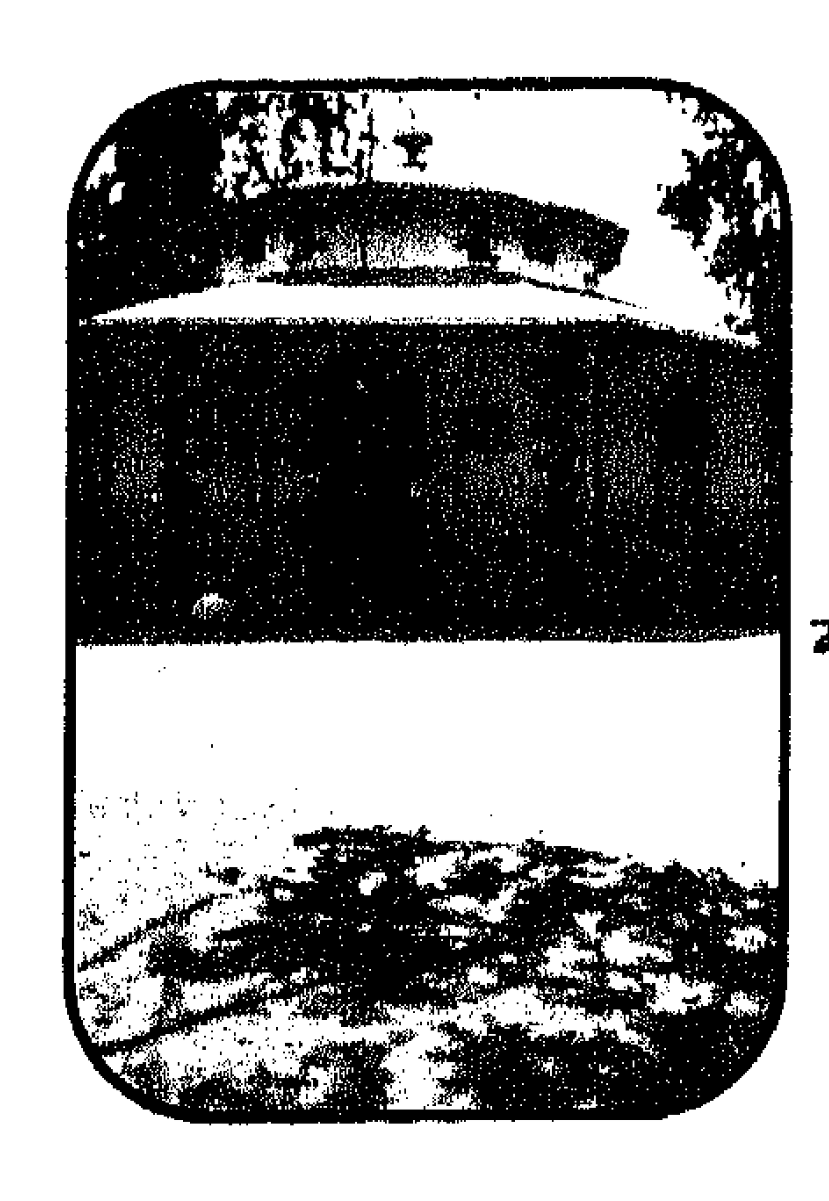


إحدى حفلات التخرج
بكلية سلاسى اللاهوتية

صور إثيـوبية



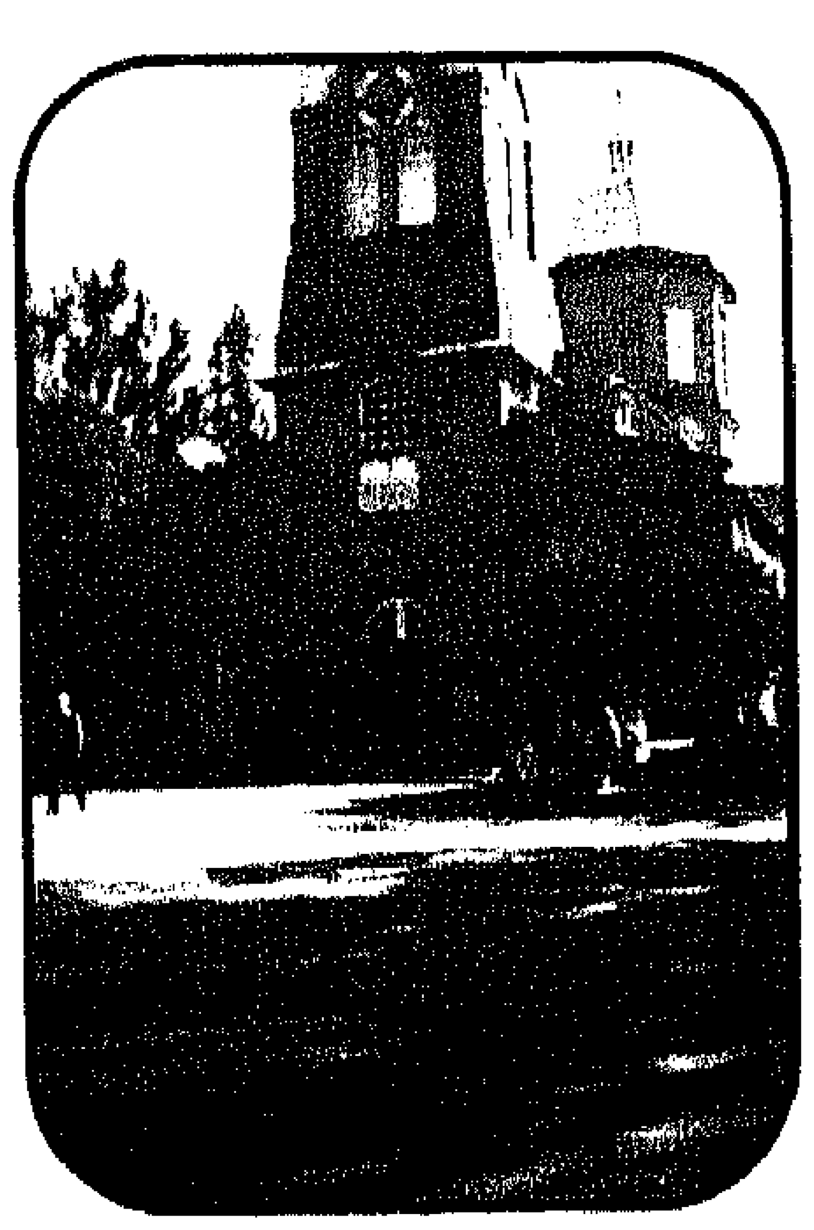
كنيسة القديسة مريم بأديس أبابا
دشنها البابا يؤنس ١٩



كنيسة قسقوام مريم
بطريق أنطوطو بالعاصمة



كاتدرائية سلاسى (الثالوث)
بأديس أبابا



كنيسة ميكايل (الملاك ميخائيل) بأديس أبابا

- ١ -

طريق الكنائس

عندما تقف فى ميدان "أرات كيلو" (١) بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا، وتتطلع شمالا، يمتد أمامك طريق معبد واسع، يعتبر من أهم شوارع العاصمة يحمل اسم "يكاتيت ١٢ أو الشهداء" ويتجه صاعدا على مدى عشرة كيلومترات ونيف صوب جبل أنطوطو، الذى يمثل أعلى بقعة فى المدينة، التى ترتفع فوق سطح البحر بحوالى ٢٢٤٠ مترا، ويأخذ الجبل شكل قوس شاهق شمال المدينة وكأنه يحتضنها ليحميها من قرس البرد القادم من الشمال. ويطل عليها بهامته الخضراء التى تشكلها شجيرات العرعر وأشجار السرو المتناسقة وأشجار الكافور الباسقة السامقة التى ترتفع عدة أمتار كأشرعة مستقيمة تتمايل فى كبرياء مع هبات الرياح، فتجمل أفق المدينة التى تنتشر الخضرة فى أرجائها.

ويعج الميدان بالسيارات الخاصة وحافلات النقل العام "ومكروباصات" النقل الخاص باعتباره محورا مروريا هاما. ومع أنها لا تستعمل أبواقها بحكم القانون إلا أنها تبدد بعضا من هدوء المنطقة. وقبل انتشارها فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضى لم يكن يبدد هدوء المدينة غير دقات حوافر الخيل وهى تجر "الجارى" أهم وسيلة انتقال شعبية فى تلك العقود. وهو أشبه "بالكارته" بمقعد واحد يسع لراكبين بجانب السائق. فى حين كانت البغال وسيلة انتقال علية القوم ومظهرا من مظاهر الوجاهة إذ كانت تسير فى شبه موكب يتقدمه رجال أشداء على أقدامهم ويسير خلفه بعض الأتباع والحشم. ويبقى المشى على الأقدام حتى اليوم سبيل الغالبية فى انتقالهم من مكان إلى آخر. والإثيوبيون، شأن سكان البلاد الجبلية، مشهورون بالمشى مسافات طويلة جدا. وكثيرون منهم ينذرون زيارة أديرتهم وكنائسهم البعيدة مشيا على الأقدام. وكان حجاجهم ونساكهم فى قديم الزمان يقطعون الطريق إلى أورشليم، وإلى أديرة مصر وكنائسها مشيا على الأقدام. واشتهر رياضيوها فى العقود الأخيرة بالتفوق فى سباقات المشى والجرى الأولمبية. ففى أولمبياد سيدنى ٢٠٠٠ حصدوا سبع ميداليات : ذهبيتين وفضية واحدة وأربع برونزيات.

---

(١) أى "الكيلو ٤" من محطة سكة الحديد الإثيوبية (الفرنسية) التى تربط العاصمة بميناء جيبوتى (دولة جيبوتى الآن).

وأنت إذا ارتقيت الطريق صوب أنطوطو مشيا على الأقدام بتمهل لن تشعر بالملل، إذ تشاهد على جانبيه منشآت ذات تاريخ. فإلى يمينك تمر أولا بمدرسة منليك الثانى الثانوية [٢] وكانت هى أول مدرسة من نوعها تبنى فى البلاد. أسسها الإمبراطور منليك الثانى عام ١٩٠٦ [٣]، تنفيذا لسياسته التى استهدفت تطوير البلاد وتحديثها بنشر التعليم المدنى فيها [٤] واستقدم لإدارتها بعثة تعليمية من أقباط مصر. وفى مواجهتها تقريبا يقوم أحدث مبنى كنسى هو مقر البطريركية الجديد الأنيق ذو التصميم الإيطالى الذى يكتسى باللون الأحمر الطوبى. ويقع خلفه مقر المطرانية القديم [٥] منذ عشرينيات القرن الماضى، حيث أقام المتنيح أنبا متاؤس، الذى وضع التاج على رأس منليك الثانى، والمتنيح أنبا كيرلس، آخر المطارنة الأقباط، والذى توج الإمبراطور هايل سلاسى الأول. وتقوم كنيسة القديسة مريم إلى جوار مقر البطريركية، وهى قبطية الهندسة والمعمار بمنارة واحدة وضع حجر أساسها

---

(٢) ظل يدرس فيها أقباط حتى الستينيات من القرن الماضى. ومن بين الذين درسوا فيها الأستاذ الدكتور زاهر رياض (رئيس قسم الدراسات الإفريقية بمعهد الدراسات القبطيةسابقا) أثناء بعثته الأولى إلى إثيوبيا أعوام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٧.

(٣) أسند منليك هذه المهمة عام ١٩٠٦ إلى مبعوث مصرى هو الأستاذ حنا صليب، أرسلته البطريركية استجابة لطلبه. فلما أتم مهمته بعث إلى مصر فى طلب مدرسين لها. ووصلت مجموعة من سبع أساتذه عام ١٩٠٧ باشروا مهمة التدريس فى قسميها الانجليزى والفرنسى، وتخرج على أيديهم المئات الذين تبوأوا أعلى المناصب فيما بعد. وتوالى وصول المدرسين من مصر عن طريق البطريركية للمدرسة ولمدينة هرر، ثم عن طريق وزارة "المعارف" حتى عام ١٩٣٥ حين بدأ الغزو الإيطالى للبلاد. ومما يذكر أن حنا صليب تزوج من إثيوبية، وكان له ولدان وبنت احتضنهم الإمبراطور هايل سلاسى وقربهم إليه، وصار أصغرهم "مرقس" وزيرا للمواصلات أواخر الخمسينيات.

(٤) أى إلى جانب التعليم الكنسى العريق، الذى كان منتشرا فى أديرة البلاد وكنائسها، وما زال. ومما يذكر أن أنبا متاؤس أصر على منليك أن تتبع المدارس الأكاديمية الجديدة الكنيسة خوفا من تأثيرها على عقيدة طلبتها. وقد أخذت عليه الأجيال الشابة هذا الموقف المتشدد فيما بعد، واعتبرته رجلاً رجعياً يقف فى طريق تقدم البلاد.

(٥) ويجرى الآن (٢٠٠١/٢٠٠٢) تجديده ليصبح متحفا لتاريخ الكنيسة الإثيوبية منذ قيامها فى القرن الرابع، كما سيضم مكتبة البطريركية الحديثة.

البابا يؤنس التاسع عشر، كما وضع أساس كاتدرائية سلاسى (الثالوث) المقدس فى أديس أبابا، أثناء زيارته الرعوية التى استمرت أسبوعا عام ١٩٣٠ .(٦).

فإذا بلغت فى تجوالك ميدان "سدست كيلو" حيث يرتفع النصب التذكارى لشهداء مذبحة جرازيانى التى حدثت فى ١٩٣٧/٢/١٩ عيد الملاك ميخائيل السنوى، ستجد نفسك فى مواجهة إحدى بوابات القصر الإمبراطورى الضخم بحدائقه المترامية التى كانت الأسود الأليفة تتجول فيها، والذى بناه الإمبراطور هايل سلاسى الأول أواخر العقد الثالث من القرن العشرين مقرا جديدا له. ولكن الثورة الماركسية حولته عام ١٩٧٥ إلى مقر لجامعة أديس أبابا. وقد شهد القصر إنقلابين، الإنقلاب الماركسى عام ١٩٧٤ الذى قضى على النظام الإمبراطورى والانقلاب الخطير الذى قام به الحرس الإمبراطورى فى ديسمبر ١٩٦٠ بقيادة رئيسه جنرال منجستو (٧). كان الإمبراطور وقتها يقوم بزيارة رسمية للبرازيل، ولكنه قطعها عائدا إلى بلاده بمجرد سماعه خبر الانقلاب وهبطت طائرته أولا فى أسمره حيث استقبل استقبالا مشهوداً. وقبل وصوله إلى أديس أبابا تمكنت قوات

(٦) والمعروف أن البابا كيرلس الرابع زارها عام ١٨٥٦ فى مهمة كلفه بها سعيد باشا تتعلق بمشاكل الحدود الإثيوبية السودانية ونجح فى مهمته وعاد بمعاهدة صداقة بين البلدين أنهت الأزمة التى كادت أن تتحول إلى حرب بين البلدين. ومع هذا تعتبر زيارة البابا يؤنس ١٩ أول زيارة رعوية لكنيسة أثيوبيا يقوم بها أحد بطاركة الأسكندرية.

(٧) فى يوم الانقلاب لم تكن شوارع المدينة آمنة نتيجة لتبادل إطلاق النار بين قوات الحرس الإمبراطورى المتمركزة فى القصر فى شمال المدينة وبين الجيش فى جنوبها وشرقها وغربها حيث تنتشر ثكناته. واضطررت للجوء إلى الطرقات الجانبية الضيقة القذرة والإختباء بين الفينة والفينة حتى وصلت بيتى ليلا منهكا، فوجدت الحارس منكمشا فى ركن خلف البوابة وفى يده بندقية قديمة قال إنه وجدها فى الطريق، ويكاد يبكى لأنه لا يعرف كيف يستعملها. ولما دخلتُ البيت وجدت زميلى مختبئا تحت طاولة المطبخ وهو يرتجف ويأبى الخروج من مخبئه. فأحطته بالبطاطين حيث قضى ليلته فى مكانه. وفى اليوم التالى، وقد سكت البارود، خرجتُ وتجولت فى شوارع المدينة وميادينها، واستمعت إلى ما يتردد فى التجمعات الصغيرة المناوئة للإمبراطور والمؤيدة له، وداخلنى إحساس قوى بفشل الانقلاب، ونقلت هذا الإحساس إلى رجال سفارتنا مما حملهم على التريث فى التعبير عن موقفهم من الانقلاب. وفى مساء االيوم الثالث زحفت العاصمة إلى المطار تستقبل إمبراطورها، وكان يوما مشهودا حقا. ولم يعكر جو البهجة إلا ما تسرب من أن ولى العهد "أصفا وصن" كان متعاطفا مع رجال الحرس الإمبراطورى مما تسبب فى توتر العلاقات بينه وبين والده.

الجيش الذى كان مواليا له من القضاء على تمرد الحرس، وانتهى قائده إلى الشنق فى ميدان جورجيوس (منليك الثانى) حيث ظلت جثته معلقة ثلاثة أيام. وقد ساند المطران باسيليوس مطران اثيوبيا الإمبراطور منذ البداية ووجه نداءات إلى الجيش والشعب للوقوف ضد المتمردين.

وفى الجانب الشرقى من القصر الذى تخضبت حدائقه وردهاته بدماء رجال الحرس الإمبراطورى أيام الانقلاب، تقوم كنيسة القديس مرقس ـ الوحيدة بهذا الاسم فى أديس أبابا ـ والتى بناها هايل سلاسى عام ١٩٢٤ وهو بعد وليا للعهد. وفى مواجهة القصر تقريبا على الجانب الآخر من الطريق تقوم كنيسة " مدهن ألم" وهى كنيسة كبيرة مستطيلة بازيليكية بناها أيضا الامبراطور عام ١٩٤٣، وتقوم بجوارها الآن مدرسة ثانوية تجمع بين التربية الأكاديمية الحديثة والكنسية ومرشحة لأن تكون مقرا لأول كلية أكاديمية تؤسسها الكنيسة.

وبعد ما تقطع الثلث الأول من الطريق إلى أنطوطو تدخل فى سوق مفتوحة على جانبيه تعرف باسم "شرو ميدا" والشرو هو مسحوق حبوب البسلة التى يجهز منه طبق شعبى خاصة أيام الصيام وما أكثرها على مدار السنة. واشتهرت السوق بهذا الاسم لتخصصها فى البقول وغيرها من لوازم المطبخ الإثيوبى، وإن كانت تعرف الآن بكونها معرضا ضخما لملابس النساء الوطنية المصنوعة من القطن ذات الأهداب الملونة المزركشة ومعها "النتلة" (طرحة طويلة) بطرفيها اللذين يحملان نفس الألوان والزركشة. ولولا أن المنتجات تفترش جانبى الطريق على امتدادها ما جال بخاطر المرء أنه يسير فى سوق عامة كبيرة، فلا ضجيج ولا صياح كما هو معهود فى أسواقنا، فالناس تتعامل عادة بما يشبه الهمس. وهو نفس الجو الذى يسود تقريباً على "الماركاتو" الذى أقامه الإيطاليون وتصفه نشرات السياحة الإثيوبية على أنه أكبر سوق مفتوحة فى إفريقيا.

وسمة الهدوء هذه يكتشفها المرء أينما ذهب والتى كانت أعمق منذ نصف قرن قبل ازدياد الزحام والمرور وتكاثر أجهزة الصوت الكهربائية. فالبنوك والمكاتب العامة والخاصة، رغم ازدحامها، يسيطر عليها هدوء لافت لأن التعامل خافت الصوت مع الالتزام بالنظام ولاحظ د. مراد كامل هذا فعلق عليه فى كتابه بقوله" الإثيوبى قوى الأعصاب هادئ

المزاج يتكلم بصوت خافت دون أن يحرك يديه. وهو فى جملته جم الأدب كثير الوقار والاعتزاز بالنفس، ومن أكثر الشعوب تحفظا فى الكلام" (٨). ومع ذلك فهو، كما يقول د. زاهر رياض، شعب مرح يحب الغناء والرقص، ويكثر من الضرب على الآلات بينما يصفق الموجودون ويغنون. ويتميز بهذه الصفات سكان السهول والوديان بالذات فهم ممتلئون حيوية صخابون محبون للأعياد والموسيقى والرقص والزينة أيضا.

وبعد تجاوز السوق فى طريق صعودك تمر بكنيسة سلاسى التى بناها أحد الآباء الكهنة عام ١٩٤٦، فإذا ما بلغت منتصفه تشاهد على جانبه الأيسر وعلى ربوة منفردة تطل على وادٍ عميق كنيسة "قسقوام مريم" (أو مريم الدير المحرق) تيمنا بهذا المكان المقدس فى صعيد مصر. وهى كنيسة مستديرة بنتها الامبراطورة زوديتو عام ١٩٢٧. فقد صمم الإثيوبيون كنائسهم المستديرة والمثمنة الأضلاع على نسق مساكنهم فى الهضبة والتى تعرف بالـ"تكول"، وإن قالت بعض المصادر إنها مستوحاة من خيمة الاجتماع فى العهد القديم.

ويتميز الجزء الباقى من الطريق الجبلى الأخضر بكثرة منحنياته للتغلب على إنحداره الشديد. وما أن تصل قمته حتى تشاهد أديس أبابا فى شبه دائرة أمام الجبل وقد انتشرت قمم التلال تعلوها الكنائس وفق تقاليد البلاد. وعلى القمة ذاتها تقوم كنيسة كبيرة مثمنة الأضلاع باسم "سهاى مريم" أو مريم الشمس. بناها منليك الثانى عام ١٨٨١، وعلى بعد منها كنيسة أصغر باسم "هايل راجوئيل" رئيس الملائكة. ويبلغ عدد الكنائس التى بناها هذا الإمبراطور ثلاث عشرة كنيسة فى أديس أبابا وحدها، وذلك بعد ما ترك "أنكوبر" مقر إقامته الأخير واستقر فى أديس أبابا التى اختارها عاصمة له أواخر القرن التاسع عشر لطبيعتها

---

(٨) وقال عنه الكتّاب الأجانب" إنه عادة متماسك ضابط لنفسه ومشاعره، قليل الكلام جيد الاستماع جادّ ذو توجه تأملى، شحيح فى الإفصاح عن مكنون نفسه". وهذا الميل للتحفظ يجعل جوابه السريع عن كل سؤال هو "إنچا" أى لا أعرف. وقيل إن هذا التحفظ كان من العوامل التى ساعدت الإثيوبيين على الاحتفاظ باستقلال بلادهم، وفتح الباب لتشككهم فى الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية بدءاً بالقرن السادس عشر، وما جاء بعدها من إرساليات بروتستانتية ودفعهم إلى طردهم كلما شعروا بتدخلهم فى شئون بلادهم.

* وقال عنهم العرب الرحالة قبل القرن السادس عشر : إنهم يحبون الغريب ويكرمون الضيف.. قل أن يوجد عندهم رياء، والصديق عندهم لا ينقض عهدا لصديقه، وإذا تعاهدوا أكدوا المحبة وأظهروها، وإذا تغاضبوا أعلنوا المباينة وأجهروها. والمعروف عنهم من الصدق والأمانة فهو مشهود.

الجبلية التى تعطيها ميزة عسكرية، رغم وعورتها وقلة مواردها المائية [٩]. وقد سبقه الإمبراطور لبنا دنجل (١٥٠٨ ـ ١٥٤٠) إلى الاهتمام بمنطقة جبل أنطوطو وأراد أن يجعلها قلب إثيوبيا، فأقام فيها مجموعة هائلة من الكنائس الرائعة، إلا أنها للأسف دمرت تماماً خلال الهجمة الغاشمة التى قام بها الإمام أحمد الأعسر فى القرن السادس عشر.

وطريق أنطوطو يعتبر بحق «**طريق الكنائس**» فعلى امتار من ميدان "أرات كيلو" الذى بدأت منه رحلتك تقوم كاتدرائية سلاسى الفخمة التى بناها الإمبراطور هايل سلاسى الأول بنظام البازيليكا، ووضع حجر أساسها البابا يؤنس عند زيارته لإثيوبيا عام ١٩٣٠ وكرست عام ١٩٤٤. وقد شهدت الكثير من المناسبات الإمبراطورية والرسامات الكهنوتية. وتوجد خلفها الكنيسة القديمة المستديرة التى بنيت فى القرن التاسع عشر، وبجوارها كلية سلاسى اللاهوتية التى افتتحت بإدارة قبطية عام ١٩٤٤ كأول مدرسة لاهوتية عصرية فى البلاد. وينحدر الطريق من كاتدرائية سلاسى شرقا ليأخذك إلى كنيسة عريقة أخرى بنتها الإمبراطورة زوديتو عام ١٩١٨ باسم "بآتا مريم" (هدية مريم) وبجوارها مدرستها الكنسية/ الديرية المشهورة كمركز "للقنى" أو الشعر بلغة الجئز. أما جنوبا من الميدان وعلى بعد مئات الأمتار منه فتقودك قدماك إلى القصر الإمبراطورى القديم الذى بناه منليك الثانى ويضم كنيستين قائمتين على ربوة هما كنيسة الملاك جبرائيل وكنيسة "كيدانا مهرت" (عهد الرحمة").

فالطريق يخترق منطقة تضم أحد عشرة كنيسة من مجموع كنائس العاصمة الأربعة والثمانين. وقد بنى شعب العاصمة أكثر من نصف هذا المجموع الكلى، جرى تشييد أغلبه (٣٩ كنيسة) بعد عام ١٩٨٠، أى بعد سقوط الإمبراطورية وقيام الجمهورية الماركسية التى سقطت بدورها عام ١٩٩١ وقامت على أنقاضها الجمهورية الفدرالية الديمقراطية الحالية، التى تقوم على فلسفة علمانية لا شأن لها بالدين. ويدل هذا الاهتمام الشعبى ببناء الكنائس وتعميرها على حيوية الشعب الإثيوبى الفقير، ومدى تعلقه بكنيسته، إذ اندفع بتلقائية وروح إيمانية يسد الفراغ الذى نشأ بعد غياب العائلة الإمبراطورية التى كان على عاتقها يقع عبء تشييد الكنائس فى الماضى.

---

(٩) وهى مشكلة باتت حادة فى العقودة الأخيرة مما اضطر السلطات إلى تقنين المياه وقطعها ساعات طويلة يوميا فى التسعينيات من القرن الماضى. وتعالجها ببناء السدود التى تحجز أمطار الصيف الغزيرة.

ـ ٢ ـ

أعياد واحتفالات

يمثل التجول فى المدينة المترامية الأطراف سلسلة من الصعود إلى قمم تلالها وهضابها العديدة، والهبوط إلى قاع وهادها وأخوارها التى تمتلئ بالماء خلال فصل المطر الكبير (يونيو ـ سبتمبر)، ويحتاج إلى أرجل قوية ونفس طويل خاصة مع قلة الأكسجين لارتفاع المدينة كثيرا فوق سطح البحر. والسيارات نفسها تئن وهى تصعد بعض الطرقات ذات الانحدار الشديد.

وغالبية مبانى المدينة من طابق واحد أو طابقين (١٠) مما يجعلها ترفل فى ضوء الشمس المبهر الذى يسطع إثنى عشرة ساعة يوميا تقريبا على مدار السنة بشهورها الثلاثة عشر (١١) كما تقول النشرات السياحية.

والشهر الثالث عشرة "باجمى" يقابل شهرنا القبطى "نسئ" ومدته خمسة أيام، وستة فى السنة الكبيسة. فالتقويم الميلادى الإثيوبى مأخوذ عن التقويم القبطى بشهوره الثلاثة عشر (١٢)، وتبدأ السنة الإثيوبية فى أول "مسكرم" الذى يقابل أول توت عندنا ويوافق ١١ سبتمبر، وهو يوم مقدس ليوحنا المعمدان (١٣) تشعل كل أسرة مسيحية فى مسائه النار أمام بيتها أو عشتها، ويتجمع الصغار من الجنسين فى مجموعات صغيرة وهم يحملون المشاعل والعصى يرقصون للأرض Lamlam أى الخصبة وللسلام Kebur Salam، وتنثر البنات الزهور والعشب الأخضر أمام البيوت، وتتلقى كل مجموعة فى العادة "عيدية" صغيرة.

---

(١٠) أوائل القرن السابع عشر فى عهد الإمبراطور سوسينيوس بنى الراهب بايز الجيزويتى قصراً من طابقين للإمبراطور على شاطئ بحيرة تانا، وكان مصدر تعجب الإثيوبيين الذين وصفوه "بيت فوق بيت".

(١١) كانت المرتبات تصرف على أساس ثلاثة عشر شهرا سنويا، واستمر ذلك حتى عهد الإمبراطورة زوديتو. وذكر أعضاء البعثات التعليمية الأولى من الأقباط أنهم كانوا يتقاضون مرتب شهر باجمى/ نسئ كاملا.

(١٢) يقل التقويم الإثيوبى ٧ أو ٨ سنوات عن التقويم الغربى. فالسنة الحالية ٢٠٠٢ يقابلها إثيوبياً ١٩٩٤ (فى ١١ سبتمبر القادم يقابلها ١٩٩٥ العام الإثيوبى الجديد)، ويعود ذلك إلى أن الكنيسة تعتقد أن السيد المسيح ولد عام ٥٥٠٠ بعد خلق الخليقة.

(١٣) أو "يوهنس" بالأمهرية. ويعرف أيضا بيوم "إنكوتاتاك"، "وإنكو" يعنى الذهب. فهو ذكرى ليوم عودة ملكة سبأ من زيارتها لسليمان حين قدم لها الشعب هدايا من الحلى الذهبية.

ويحل عيد الصليب بعده بحوالى أسبوعين (٢٧ سبتمبر) وتحتفل به البلاد احتفالات واسعة دينية وشعبية ورسمية وكأنه هو فعلا رأس السنة الإثيوبية، وإن كان يمثل نهاية فصل المطر الكبير. وهو عيد للمسيحية الشرقية بذكرى اكتشاف الصليب المقدس الذى صلب عليه السيد المسيح (١٤) ويتميز فى إثيوبيا بأن الطبيعة تحتفل به بطريقتها الخاصة الجميلة إذ تتغطى الأرض بزهرة الصليب الحمراء Maskal daisises التى تتقافز على سطحها بدءاً بذلك اليوم.

والمعتقد أن الاحتفال به بدأ فى عهد الإمبراطور زارا ياكوب (١٤٢٤ ـ ١٤٥٨) (١٥) الرجل الذى عمل على تجديد شباب كنيسته ودعم عقيدتها الأرثوذكسية، وانتشر الاحتفال به فى أرجاء إمبراطورية واسعة تغطى كل إثيوبيا الكبرى والقرن الأفريقى. ويقال إنه ما يزال يحتفل به حتى الآن فى المناطق التى لم يعد للكنيسة وجود نشط بها نتيجة لحروب الإمام أحمد الأعسر، إذ يحتفل الناس به بصرف النظر عن دياناتهم.

وتحتفل به كل مدينة وقرية فى اليوم السابق ٩/٢٦ بتثبيت عمود فى ساحتها الرئيسية تحيطه بكومة كبيرة من الأخشاب. ومكانه فى أديس أبابا ميدان ماسكل أى الصليب وهو ميدان ضخم قريب من كنيسة القديس إسطفانوس التى وضع حجر أساسها البابا كيرلس السادس عام ١٩٦١، وتحول اسمه فى العهد الماركسى (١٩٧٤ ـ ١٩٩١) إلى الساحة الحمراء. وصارت الاحتفالات المبهرة به معلما من معالم المدينة ومصدر جذب سياحى كبير.

ففى عصر اليوم تتحرك الجماهير صوب الساحة فى جماعات من المغنيين والراقصين وهم يحملون عصيا طويلة ملونة بلون العلم الإثيوبى تتدلى الزهور فى نهايتها، ويحمل الكثيرون بوكيهات من زهور المسقل. كما يحضرون مشاعل من الحطب الجاف تدعى "تشيبّو" وقطع الخشب لتكوين "الدمرا" التى يرمز احتراقها إلى الصليب الذى يحرق إبليس ويقضى على قوته. وتبدأ القراءات والصلوات أمام الدامرا بحضور البطريرك والإكليروس وبعد

---

(١٤) ويحتفل بالصليب كنسيا مرة ثانية فى ٣/١٩. ففى ٩/٢٧ بدأت الإمبراطورة هيلانه الحفر بحثا عنه وتم اكتشافه فى ٣/١٩.

(١٥) ومما يذكر عنه أنه بنى كنيسة "متماق" فى محل إقامته تاجولات عام ١٤٤١ على اسم دير مصرى دمرته عناصر معادية.

انتهائها يصطف الشعب خلف الكهنة وتشعل النار فى كومة الخشب لتتحول إلى عمود نار ضخم ويدور الجميع حوله عدة دورات وهم يلقون المزيد من الحطب والخشب لتستمر النار مشتعلة لطرد الأرواح الشريرة، ويغنى بعضهم:

لقد أضاء الصليب وزين السماء بالنجوم وأظهر كل شئ مثل الشمس...

ويردد آخرون بالغناء "أنظروا لقد أشرق شهر مسكرم وتفتحت الزهور" Iyoha Abebaye Meskerem Tebaye

ويقضى الناس بقية الليل فى الغناء والرقص حول نيران صغيرة أوقدوها أمام بيوتهم، ويتناولون عشاءً مميزا مما ذبح للمناسبة المقدسة. فكل أسرة تذبح طيرا أو حيوانا حسب قدرتها، من دجاجة إلى شاة إلى ثور كطقس من طقوس هذا العيد. وفى صباح العيد يذهب الناس إلى الساحة ويأخذون من رماد النار بأصابعهم ويرسمون به علامة الصليب على جباههم تبركا.

ويمكنك أن تعرف أنك تمر بالقرب من كنيسة دون أن تراها حين تشاهد المارة وهم يتوقفون فجأة ويتجهون صوبها وينحنون عدة مرات وهم يرسمون علامة الصليب على وجوههم. فإذا كانوا عند سورها قبلوه، واذا اجتازوا البوابة الخارجية ركعوا وصلوا. وهو خشوع تلقائى يشد بغير شك انتباه الزائر الذى يتبادر إلى ذهنه عشرات الأسئلة حول معناه وجدواه، وهل هو مجرد شكليات أم تعبير تقوى ينبع من القلب وينعكس على الأفكار والسلوك (١٦).

(١٦) لم يجد الرحالة ورجال الدين الغربيون الذين زاروا إثيوبيا فى القرنين ١٥/١٦ ما يكتبونه عن الكنيسة سوى القدح "فهى صورة منتحلة من المسيحية "لـ" شعب بربرى" يقيم فى جانب متطرف من إفريقيا. فكانت مجرد إنطباعات متسرعة تناقض ما يكتب اليوم، والأمس أيضا، عن حضارتها وحضارة إفريقيا عموما. وبين كتاب اليوم من يشبه إثيوبيا فى القرنين ١١/١٢ بأيرلنده فى نفس الفترة، مجتمعاً وممارسات وعبادات! ويسجل بول هنز Hense المتخصص المعروف فى الدراسات الإثيوبية التشابه بين إثيوبيا وإنجلترا القرون ١٢ ـ ١٤. على أن التشابه الأقوى من الناحية الروحية واللاهوتية فكان قائما بين إثيوبيا الأرثوذكسية والكنيسة السلتية Celtic فى فجر العصور الوسطى. والمعروف أن الكنيسة السلتية كانت ترتبط بعلاقات قوية بمصر فى القرن الخامس الميلادى وقت أن كانت تعاليم آباء الصحراء سائدة بينهما. ويعتقد ونثروب بوسويل Boswell أنه كانت هناك علاقات مباشرة بين أيرلنده وإثيوبيا لوجود تشابه بينهما لا يمكن إنكاره فى الروحانية والتقاليد الثقافية. ولا يتمثل هذا فى السياج الدائرى للأديرة والمناظر الريفية بل أيضا فى أسلوب الحياة ونفسية الشعب والمجتمع وصلتهما بالطبيعة ومظاهرها. ومن أمثلة التشابة القوية الأهمية التى يعطيها الشعبان للآبار وللمياه المقدسة. فالعادة عندهما أن يزور الحجاج عيون المياه المقدسة ليلة عيد القديس الذى ينسب إليه المكان حيث يصرفون الليلة فى الصلاة.

ومهما يكن أمره فهو تصرف ينم عن احترام عميق لمقدساتهم وتاريخهم الديني الطويل. فهم كما يتردد الآن ينتسبون إلى كنيسة عمرها ثلاثة آلاف عام، أى منذ اللقاء الأسطورى الذى تم بين الملك سليمان بن داود وبين ملكتهم ملكة سبأ فى أورشليم (١٧)، وما أثمرته العلاقة بينهما من إبن اعتلى العرش بعد أمه باسم منليك الأول.

(١٧) وهى القصة التى وردت فى ١مل ١٠ : ١ ـ ١٣ و ٢ أى ٩ : ١ ـ ١٢، وأشار إليها السيد المسيح فى مت ١٢ : ٤٢، لو ١١ : ٣١. ويتضمنها بتفصيل كتابهم "كبراجست" (تاريخ الملوك). وتدور حول الملكة "ماكيدا" التى عرفت بأسماء مختلفة منها "ملكة سبأ" وهو اسم العرش المذكور فى العهد القديم، "وملكة الجنوب" كما جاء فى العهد الجديد لأنها كانت تحكم أكسوم واليمن اللذين يقعان إلى الجنوب من أورشليم، والملكة "أزيب" الذى يعتبر المعنى الحرفى "الملكة الجنوب" فى لغة الجعز، "وبلقيس" كما أطلقه عليها مؤرخو العرب. "وماكيدا" هو اسمها الذى أعطاه لها والدها ويعنى "وسادة الملك". ويذكر عنها أنها كانت ملكة نشيطة وسعت تجارة البلاد التى بلغت فلسطين والهند، وكان عندها أسطول تجارى من ٧٣ سفينة وقوافل تضم ٥٠٠ جملا..
ورغم إيمان الإثيوبيين الراسخ بقصتها، وتضمينها فى دستورى إثيوبيا لعام ١٩٣١ وعام ١٩٥٥ فإن العالم الخارجى يشكك فى صحتها تاريخيا كما جاءت فى كتاب "كبراجست"، خاصة وأنه لا يوجد لها فى إثيوبيا سند من خلال نقوش أو رسوم أو أنصاب أو مخطوطات أثرية. ويشير إليها بعض المؤرخين على أنها خليط من قصص وأساطير كثيرة ترددت قديما فى بلاد مختلفة، وصيغت منها قصة واحدة مترابطة لهدف دينى أو سياسى أو الإثنين معا. وأن هذا تم فى القرن الثالث عشر حين استعادت الأسرة السليمانية عرش البلاد بعد سقوط الأسرة الزجوية Zagwe من أجل دعم أحقيتها فى العرش بادعاء نسبها إلى بيت داود الذى منه جاء المسيح حسب الجسد، وهو شرف ما بعده شرف!

وبداية العلاقة بين الملكة وسليمان حسب كتاب "كبراجست" كانت حينما أرسل سليمان رسالة إلى جميع التجار فى البلاد المجاورة يطلب منهم تزويده باحتياجاته لبناء الهيكل لقاء دفع ثمنها فضة وذهبا. فقدم له "تمرون" التاجر فى بلاط الملكة خشب الأبنوس. ولما عاد إلى أكسوم روى للملكة ما شاهده وعرفه عن عظمة سليمان مما شوقها لرؤياه. فذهبت إليه فى قافلة من ٧٩٧ جملا وعدد لا يحصى من البغال محملة بالهدايا ومكثت عنده سته أشهر، وتحولت عن عبادة الشمس والقمر والنجوم إلى عبادة إله إسرائيل.

وما ترتب على ذلك من انتشار العهد القديم وتعاليم الناموس الموسوى بين رجال القصر ومن إليهم، وتدعم هذا بانتقال "تابوت العهد" (١٨) إلى بلادهم فصارت إثيوبيا كما تقول كتبهم المقر المقدس الجديد للتابوت، وباتت أكسوم العاصمة القديمة أورشليم الثانية (١٩). وفى ذلك تجسيد لكلمات المزمور ٦٨ : ٣١ "كوش (إثيوبيا) تسرع بيديها إلى الله". وفى مدخل البطريركية الجديدة لوحة زيتية كبيرة لفنان إثيوبى تجسد هذه النبوة.

---

(١٨) أى تابوت العهد الموسوى الذى صنعه موسى النبى من الأحجار الثمينة وخشب السنط ويضم لوحى الشريعة (خر ٢٥)، والذى استقر فى الهيكل الذى بناه سليمان. وقصة انتقاله إلى أكسوم مأخوذة عن كتاب "كبرانجست". فمنليك ابن سليمان ذهب من أكسوم إلى أورشليم لزيارة أبيه الملك سليمان الذى حاول إغراءه على البقاء معه ولم يفلح، عندئذ جمع سليمان ضباطه وقادة جيشه وطلب منهم أن يرسلوا أبناءهم الأبكار ليرافقوا منليك إلى بلاده ويكونوا له ضباطا وقادة. وامتثل الأبناء لأمر الملك وإن أحزنهم أنهم سيكونون بعيدين عن تابوت العهد أقدس شئ عندهم. فاحتالوا على أخذه معهم بأن صنعوا صندوقا محله، وأخذوا التابوت ومعه لاويون لرعايته فى أكسوم حيث وضع فى مكان بقى سرا حتى الآن.

ـ ومما يجدر ذكره أن أحد المطارنة الإثيوبيين، وهو أيضا أحد علمائهم، نفى قصة وجود التابوت فى إثيوبيا. كان ذلك أثناء حفل عشاء أقامته البطريركية (يناير ١٩٩٨) على شرف رئيس أساقفة كنتربرى، وجلستُ أثناءه إلى مائدة ضمت المطران واثنين من الإكليروس الإنجليز وقمتُ بالترجمة.

(١٩) وأكسوم ـ عاصمتها بنفس الاسم ـ هى "سلف" إثيوبيا حضاريا وتاريخيا، وان كان العلماء لم يجزموا بتاريخ تأسيسها. على أن أهميتها برزت حوالى ٥٠م، وبلغت قمة قوتها وازدهارها فى الفترة ٣٠٠ ـ ٦٠٠م فحسبت واحدة من أربع امبراطوريات هى الفرس والصين والرومان. ويعود ازدهارها وغناها إلى مينائها عدول (أدوليس) على البحر الأحمر والتى كانت مركزا تجاريا "عالميا" للذهب والعاج والمواد الخام القادمة من إثيوبيا وجيرانها الإفريقيات، إلى جانب منتجات أكسوم نفسها من توابل وصمغ عربى وجلود وغيرها. وكان عملاؤها فى مصر واليونان وروما وفارس والهند و "سيلان". ويقصدها تجار متعددو الجنسية من بينهم الإغريق والمصريون والسوريون واليمنيون.وقهرت فى أوجها ممالك البحر الأحمر فتحول إلى بحيرة أكسومية/ إثيوبية. وبدأت فى الضعف بعد ما هزم الفرس الجزيرة العربية أواخر القرن السادس وصعبوا عليها تجارتها مع مناطق البحر الأحمر وشرقى المتوسط. ثم أخذت فى الاضمحلال فى القرن السابع بعد ظهور الإسلام وسيطرة المسلمين على البحر الأحمر فتقطعت روابطها التقليدية مع الشمال والشرق وتدهورت تجارتها.

وعرفت أوائل القرن السادس كدولة مسيحية إذ أن يوستين إمبراطور بيزنطه خاطب كالب ملك أكسوم "كأخ مسيحى" وطلب منه الانتقام من يهود اليمن بسبب اضطهادهم لمواطنيهم من المسيحيين.

وتقول بعض كتاباتهم الحديثة إن المسيحية دخلت بلادهم منذ العقود المسيحية الأولى عن طريق "خصى كنداكه" الذى بشره فيلبس (أع ٨ : ٢٦ ـ ٤٠) [٢٠]، وعن طريق غيره من الذين سمعوا عظة بطرس الرسول فى يوم الخمسين (أع ٢)إذ كان بينهم إثيوبيون بشروا فى مناطقهم بعد عودتهم إلى بلادهم. وتضيف هذه الكتابات [٢١] بناء على ما سجله مؤرخا الكنيسة المعروفان روفينوس وسقراط (٣٨٠ ـ ٤٥٠)، ومانسب إلى أوريجون، أن الرسول متى الإنجيلى زار أكسوم فى طريقه إلى الهند وبشر فيها ثلاث سنوات. وقيل أيضا إنه استشهد فيها بعد عودته من الهند. ويردد الآن بعض الكتاب الإثيوبيين المحدثين أن الكنيسة الإثيوبية هى كرسى القديس متى المقدس!

أما الحقيقة المعتمدة المقررة تاريخياً، وقد وردت فى تاريخ موسيهيم، والمؤكدة من جانب

(٢٠) يذكر "وندم أجنيو" فى كتابه Ethiopian Orthodox Church أنه لا يوجد محليا ما يدعم هذا الحدث. بينما يشير إليه كتاب الكنيسة الذى أصدرته عام ١٩٩٦ The Ethiopian Orthodox T. Church: Faith, Order of Worship ويبنى أهمية كبيرة على ما قام به هذا الخصى ـ وكان وزيرا للمالية ـ من نشر أخبار الإنجيل المفرحة وسر العماد بين الإثيوبيين.

ـ ويشير المؤرخون من جانبهم إلى أن كنداكه Candace كان لقب ملكات مملكة مروة النوبية الواقعة إلى الغرب من إثيوبيا وأن الكلمة "إثيوبى"، وهى الترجمة للاسم العبرى "كوش"، تعنى البشرة السمراء أيا كانت وأينما كانت فى إفريقيا. بينما تشير إثيوبيا" أو أرض كوش جغرافيا إلى الأراضى الواقعة جنوبى مصر من النيل وحتى البحر الأحمر.

ويقول الإثيوبيون من جانبهم إن كلمة "إثيوبيا" حسب التاريخ القديم تعنى امتدادا جغرافيا من جنوب مصر وحتى المحيط الهندى. ويبدو أن هذا الامتداد الجغرافى غطى مناطق مختلفة فى حقب أو أزمنة متباينة. ولكن مركزه دائما كان المنطقة التى ينبع منها النيل الأزرق والتى تعتبر قلب إثيوبيا فى الوقت نفسه. ومن المعروف أن الإغريق أطلقوا "إثيوبيا" اسما لهذه البلاد.

وتشير بعض الكتابات إلى أن المثقفين الأكسوميين تفتق ذهنهم عن سلسلة نسب أسطورية ذكية جعلت كوش بن حام ينجب Ityopis أبا لأكسوماى الذى أسس أحفاده مدينة أكسوم المقدسة. والمعلوم أن Ethiops هو ابن حام فى الكتاب المقدس حسب الترجمة السبعينية.

(٢١) وهى كتابات مبنية على ما جاء فى كتاب "أخبار أكسوم" لمؤلف إثيوبى فى القرن الرابع أشار فيه أيضا إلى زيارة القديس متى لليمن وتبشيره اليهود المقيمين هناك. وقد وجد العلامة بنتينوس نسخة من إنجيل متى بالعبرية عندما زار اليمن فى القرن الثانى (حوالى ١٨٦).

الكنيستين المصرية والإثيوبية، فهى أن المسيحية دخلت أكسوم وصارت الديانة الرسمية للبلاد خلال النصف الأول من القرن الرابع الميلادى (حوالى ٣٣٠/٣٣٢) على يد القديس فرومنتيوس [٢٢] الذى رسمه البابا أثناسيوس الرسولى باسم أنبا سلامه بعد عودته من منفاه للمرة الثالثة. وبدأ هذا التحول من أكسوم أيام الملك إيزانا (٣٣٠ ـ ٣٦٠). تشهد على ذلك العملات التى اكتشفت فى أكسوم القرن الماضى والتى تعود إلى عهده، فبعضها الأقدم كان يحمل رسم الهلال والقرص اللذين ارتبطا بعقيدة البانثييزم Pantheism التى كان يدين بها إيزانا قبل تحوله إلى المسيحية، بينما يحمل البعض الآخر وهو الأحدث رسم صليب كبير على أحد الوجهين، ويحمل غيره عبارة "لإله السماء" باليونانية. فالإيمان المسيحى بدأ فى القرن الرابع يحل رويدا محل عبادات السبئيين وغيرهم من مهاجرى الجزيرة العربية دون صعوبة كبيرة كما يبدو، ومنها عبادات الشمس والقمر والنجوم وفينوس. ومازالت معابد تيجراى القديمة تحمل أسماء أماكن مقدسة فى العربية كرست لهذه الآلهة. فمثلا الإله "سن" كان يُعبد فى مدينة "ييها" وكان يعبد أيضا تحت اسم آخر هو "الموقاه"، وانتشر تقديم الذبائح والتقدمات إذ اكتشفت الأدوات المستعملة كالصحون والمباخر فى قاعدات مسلات أكسوم المشهورة. على أن المقاومة الأشد للتبشير المسيحى جاءت من قبائل "أجاو" Agaw ذات الأصول الحامية، وهى بقايا هجرات من البانتو تمركزت فى المناطق الجبلية الوعرة بالقرب من بحيرة تانا. فقد تمسك بعضهم بالمعتقدات الإفريقية القديمة المرتبطة بعبادة الماء والأشجار والأحجار والثعبان والعديد من الطواطم. بينما تمسك البعض الآخر بشدة باليهودية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت فى كل من اليمن وإثيوبيا.

واعتمدت المسيحية الإثيوبية الأولى فى تشكيل تقاليدها الاحتفالية والتعبدية وتنظيم بيعتها وإدارتها على ما اقتبسته من مصادر خارجية وخاصة من مصر، وعلى ما أبدعته وطوعته محليا وما أضافته كاستجابات ضرورية للثقافات والمجتمعات المتعددة التى عاشت وعملت وسطها على مدى القرون، وكانت خلال معظمها تكاد تكون فى عزلة تامة عن العالم المسيحى. وقد تبلور باسهامات هذه المؤثرات المختلفة نظام إثيوبى متكامل

(٢٢) قصة فرومنتيوس وانتشار المسيحية فى إثيوبيا موجودة بالتفصيل فى الفصل الرابع "علاقات إثيوبية قبطية".

متميز (٢٣) له موسيقاه الدينية التى أبدعها القديس يارد، وله حياة ديرية واسعة النطاق تهتدى بقوانين القديس باخوميوس أب الشركة والقديس أنطونيوس، وله معماره الكنسى وتصميماته الجمالية، ومحتفظ بالكثير من المؤثرات اليهودية وناموسها وعهدها القديم، والتى برزت فى حفظ السبت وعادات الامتناع عن أكل الطعام النجس حسب الناموس، والختان وتوقيتاته، والاحترام السائد لمفهوم "التابوت المقدس" والرقص المقدس على النمط الداوودى بمصاحبة الطبلة والجلاجل (تنسناسل)والعصى، وحمل الشماسى المزركشة فى الأعياد والمناسبات، وتحريم المنحوتات (٢٤).

وفى عيد الغطاس أو الظهور الإلهى، ذكرى عماد السيد المسيح، يتجلى التمازج أو التلاقح الثقافى التراثى. فاحتفالاته تأخذ طابعا فولكلوريا فريدا لا مثيل له فى العالم المسيحى ويحتل التابوت والشمسية مكانتهما فيه ويجتذب سنوياً جماهير من الأجانب لمشاهدته والمشاركة فيه.

ففى اليوم السابق للعيد (البرمون) تتحرك مواكب رجال الدين، موكب من كل كنيسة بأديس أبابا، يتقدمة صغار الشمامسة يحمل بعضهم الصور المقدسة والمباخر، بينما يدق البعض الآخر الأجراس (٢٥). ويأتى بعدهم الكهنة بملابسهم الكهنوتية الموشاه تحت

---

(٢٣) والحضارة الإثيوبية ذاتها تعتبر متفردة فى قارتها. فهى تتميز عن حضارة وثقافة إفريقيا البيضاء فى الشمال، وعن تلك التى لإفريقيا السمراء جنوبى الصحراء. صحيح انها استوعبت بعضا من هذه وتلك ، وظلت تعتبر بلدا بثقافة إفريقية عموما، إلا أن بيئتها الجغرافية والهجرات التى جاءتها عبر البحر الأحمر وما حملته من مؤثرات، خاصة الثقافية، تعاونت جميعا على إعطائها شخصيتها المتميزة التى لا يمكن إخطاؤها. ويعتبر سكان شمال ووسط إثيوبيا من التيجراى والأمهرا قلب المسيحية الإثيوبية الذين شكلوا الإمبراطورية الإثيوبية منذ البدء.

(٢٤) هناك رأى يقول إن الكنيسة الإثيوبية فرع خاص من الكنيسة الشرقية القديمة لها تقاليدها وخصائصها المعينة التى تميزها عن الكنيسة القبطية إذ أنها نشأت وتطورت خلال فترة إنعزالها الطويل عن المسيحية الجريكولاتينية للبحر المتوسط على قاعدة تقاليدها الوطنية. وخلال هذه الفترة كانت علاقتها بالخارج من خلال الدير الإثيوبى فى أورشليم. وهذا رأى يحاول عمدا التقليل من دور وتأثير الكنيسة القبطية الذى لا يخطئهما أحد.

(٢٥) يصنع التابوت من خشب يقاوم الحشرات ومن حجر ثمين، يكتب إسم الله على جوانبه الأربعة، وترسم عليه صور الشاروبيم والثالوث والعذراء مريم ويوحنا الإنجيلى. ويقدسه أسقف ويمسح بالميرون، ولا يحمله إلا الأساقفة أو الكهنة. وبوجوده فقط تتقدس الكنيسة وتصبح مكرسة للعبادة.

مظلات كبيرة ملونة، وقد حمل أحدهم على رأسه تابوت كنيسته وقد غطى بقماش ملون فاخر وتظلله مظلة كبيرة من الحرير الملون (٢٦) بأهدابها المذهبة. وعلى طول الطرقات يتزاحم جماهير الناس الغفيرة حول الموكب يقبلون الأرض أمامه ملتمسين بركة التابوت الذى يحل به كاعتقادهم قديس الكنيسة التى كرست باسمه.

وتتجه مواكب الكنائس إلى ساحة واسعة فى وسط المدينة، كانت تسمى قبلا ساحة صاحب الجلالة، حيث توجد المياه فى هيئة حوض ضخم بنى لهذا الغرض (٢٧). ويبدأ الاحتفال بحضور البطريرك والإكليروس بالترتيل والقراءات الكتابية والصلاة ثم الرقص المقدس، ويستغرق قرابة الساعتين. وفى نهايته يوضع كل تابوت فى خيمة منفصلة، وينسحب الإكليروس إلى خيامهم الخاصة حيث يقضون الليل فى التسبيح. ويبلغ الاحتفال ذروته باكرا صباح يوم العيد. فتعود التوابيت إلى مكان الاحتفال، ويجلس البطريرك ورجال الإكليروس وكبار القوم فى أماكنهم، وتبدأ القراءات والصلوات والتراتيل وبعد انتهاء الخدمة المقدسة والصلاة على مياه البركة يتجه الجميع صوبها ويرش الكهنة رؤوسهم بالماء. وعادة ما يلقى عدد من المؤمنين بأنفسهم فى البركة "ليعمدوا" "أنفسهم فيها بمعنى نوال بركة العماد فى هذه المناسبة التى تعتبر من أهم أعياد الكنيسة الأثيوبية وأكثرها أبهة ورونقا. والتى حافظت على الاحتفال به بنفس التقديس والحفاوة التى كانت تحتفل الكنيسة القبطية به ـ كما يقول المؤرخون الإثيوبيون ـ قبل الحظر الذى فرض على مواكبها الاحتفالية بعد دخول الإسلام مصر.

والتقويم الإثيوبى حافل بالأعياد الدينية والوطنية، وهى حيوية بالنسبة للمجتمع لارتباطها فى الذاكرة الجماعية لشعوبه بالتماسك والألفة والاتصال بالآخرين عبر الفواصل والحواجز التى تعزل الناس عن بعضهم البعض طوال أيام السنة، وما أكثرها فى إثيوبيا. وهى

---

(٢٦) المظلة/ الشمسية الحمراء تخصص للعروسين فى الإكليل فتحتها يتناولان الجسد والدم الأقدسين. وهى عادة مزينة بصلبان فضية وصور القديسين. أما البرتقالية فهى للجنازات.

(٢٧) يتم الاحتفال بهذا العيد بجوار نهر أو بحيرة أو بركة ماء أو أى تجمع مائى حيثما وجد فى المدن والقرى.

+ هى أجراس صغيرة لها مكانها فى العبادة إذ يدقها الشمامسة فى القداسات أثناء التناول، وفى المواكب والاحتفالات.

أيضا تتيح للإثيوبى الانفتاح على الخارج وتمنحه الفرصة للظهور والحوار مع الأصدقاء والأقارب، ومع الوطن ككل، ومع الله أيضا. إنها كالفصول تأتى فتغير وجه الأرض ومناخ الطبيعة والمزاج العام فتنعش وتجدد وتعطى زخما وقوة. وإقبال الجماهير على الاحتفال بها وحماسها وحفاوتها بمقدمها دليل صحة وعافية إجتماعيا وقوميا. وهو بمثابة استفتاء شعبى على ما تمثله من قيم دينية أو إنسانية وما تبلوره من تراث وتقاليد.

والشعب الإثيوبى عموما مولع بالأهازيج، ويحب التمتع بمسرات الحياة البسيطة مع الغناء والرقص مهما كانت قسوة الحياة. وقيل فيه إنه مرح جدا كثير الغناء، ومن أكثر الشعوب حبا لشرب الخمر التى يشربها عوضا عن الماء فالماء كما يقول هى للضفدع. وأهم آلاته الموسيقية "الموسنكو" وهى أشبه بالكمان بوتر واحد، " والكرار" وهو نوع من القيثارة. ويتمتع الإثيوبى بقدر من الفصاحة وبقدر من الشاعرية فى قلبه تساعده على ذلك ثروة لغته الأمهرية، ولديه إحساس أدبى رفيع يظهر فى الأدب الشعبى من شعر وقصص وحكم وأمثال، وهو مغرم بالتلاعب بالألفاظ والجناس والكنايات والمعانى المجازية.

والكنائس مشغولة بالأعياد الدينية. فلكل قديس عيد شهرى وعيد سنوى كبير تحتفل به الكنيسة التى تحمل اسمه، فيتقاطر المؤمنون إليها منذ الصباح الباكر وهم يحملون الشموع واللبان والمظلات وغيرها كهبات يقدمونها إليها، يبتاعونها من الباعة الذين يفترشون أرصفة الطرق المؤدية إلى الكنيسة. وتستمر الخدمة الدينية بضعة ساعات تنتهى بخروج تابوت الكنيسة والرقص المقدس، فتستقبله النسوة بالزغاريد والرجال بالصيحات والتهليل.

وينتقل العيد إلى البيت فيما يعرف بـ "المهبر" (أى الجمعية) وهو عبارة عن مجموعة من المؤمنين والمؤمنات يشكلون فيما بينهم جمعية تجتمع دوريا فى بيت أحدهم فى عيد شفيعهم. فلكل مسيحى شفيع يحتفل بعيده من الأب للإبن. فتغطى أرضية المكان بالعشب الأخضر ويجهز الطعام والشراب المناسبين، ومنه رغيف كبير من خبز خاص يخبز فى البيوت ملفوفا فى ورق شجر الموز، والقمح المحمص، ومسلوق الحمص والفول المدشوش ويعرف "بالنفرو"، وشراب الطلاً من الشعير المخمر مع أعشاب خاصة وشراب الططج من عسل النحل. ويقضون أمسيتهم "الأغابية" فى السمر والشراب والأكل، ويشاطرهم عادة كاهن المجموعة الذى هو "نفس أبّات" أى أب الاعتراف أو الأب الروحى.

وهناك أيضا "الذكْر" وهو تجمع الأهل والأحباب فى بيت أسرة "نذرت" إعداد احتفال متميز بعيد شفيعها حيث يقدم الطعام والشراب ويستمر السمر فترة طويلة من العصر حتى المساء. وعادة ما يستغرق اعداد الطعام (٢٨) والشراب لهذا اللقاء عدة أيام. وتحتفل الأسر أيضاً أول كل شهر بعيد ميلاد العذراء فيجتمعون مساء حول "جبنة" القهوة يشربونها مرة تلو الأخرى على ضوء الشموع ودخان البخور (٢٩).

ويلبس الإثيوبيون فى هذه المناسبات اللباس الوطنى، وهو بالنسبة للرجال السروال والقميص الأبيضين مع "الشماً أو النتلاً البيضاء وهى أشبه بالشال الكبير". وتلبس المرأة الثوب الطويل الأبيض المصنوع من القطن بسماته الأثيوبية. وهو معقود عند الظهر بمنطقة تمتد تحت الثديين ومعه الشما من نفس قماش الثوب وأطرافها مزينة مثل أهداب الثوب، وهى تلبس كغطاء للرأس أو للكتفين حسب الظروف. وفى عيد الغطاس بالذات تلبس النساء والبنات أجمل ما عندهن من الملابس الوطنية.

وحفلات زواجهم لا تقل بهجة وتطول عادة لعدة أيام بين حفلة تقيمها أسرة الزوج وترد عليها أسرة الزوجة بحفلة ثم حفلة ثالثة تجمع أفراد الأسرتين "للتعارف" إلى جانب ما قد يقيمه الأقارب والأصدقاء من حفلات. وتحفل جميعها بالشراب الوطنى وغيره، وبالطعام والغناء والرقص. وبعد ما كان العريس يذهب إلى بيت عروسه راكبا فرسا لتخرج إليه راكبة فرسا وتتبعها مجموعة من الأفراس حلت السيارات الآن محل الأفراس خاصة فى المدن. والزواج أنواع يأتى على رأسها ما يعرف باسم "قربان" وهو الزواج المقدس الذى يتم فى الكنيسة، ويعقد الإكليل فى الصباح الباكر بعد حضور العروسين القداس وتناولهما من الأسرار المقدسة تحت المظلة الحمراء ذات الأهداب المذهبة. والزواج خارج الكنيسة وهو

---

(٢٨) ويعرف خبزهم بالـ "أنجيرا" ويصنع من حبوب غير معروفة خارج إثيوبيا هى الـ "طيف Teff" وهى حبوب مستديرة صغيرة جدا. ويتطلب إعدادها جهدا ووقتا، فهى تعجن وتترك مدة حتى تختمر وتخبز على صوانٍ من الفخار أو النحاس بصبها لتشكل قرصا مستديرا قطره أربعين سنتيمترا ويزيد.

(٢٩) لشرب القهوة طقسه واحتفاليته الصغيرة خاصة فى الأعياد والمناسبات.فالبن يُحمص ويطحن فى البيت طازجا قبل إعداد القهوة مباشرة. والمكان يفرش بالعشب الأخضر ويطلق البخور وتضاء الشموع فوق الطاولة، ويجلس الشاربون حولها على الأرض يتسامرون، والقهوة تغلى أمامهم فوق "ركوة" الفحم. وتدار الفناجين ثلاث مرات قبل أن ينفض السامر. وحديثا دأب الكهنة على حث الشعب على التوقف عن هذه الصورة من الممارسة التى تبدو وكأنها لون من ألوان العبادة القديمة!

الزواج المدنى ويدعى بالأمهرية "سمانيا"، ويعقد إما فى البلدية ويسجل فيها بعقد، أو يعقد بحضور الشيوخ أو كبار السن فى البيت وتعترف به السلطات الرسمية. وهناك نوع ثالث يعرف فى الأمهرية بـ "داموز" أى المرتب، يعيش بمقتضاه الرجل والمرأة معا بناء على إلتزام الرجل بإعالتها ودفع مرتب شهرى محدد لها.

* * * * *

والأقباط الذين توجهوا إلى إثيوبيا أوائل الأربعينيات من القرن العشرين وعملوا بها لسنوات عدة يحملون ذكريات طيبة لأيام حياتهم فى ربوعها. وكان منهم معلمون فى مدارسها الثانوية، ومحاسبون فى البنوك والشركات وبعض الوزارات، وفنيون فى شركة الطيران الوطنية، وأطباء ومهندسون وعدد قليل من التجار.

وكان لأساتذة مدرسة سلاسى اللاهوتية وضع خاص إذ كانوا ومعهم معظم المعلمين يقيمون فى حى أرات كيلو المتواضع، فبيوته التى تشرف عليها وزارة المعارف سابقة التجهيز ومن الصاج وكانت أصلا جزءاً من ثكنة عسكرية إيطالية أيام الاحتلال الإيطالى. أما الباقون فبعضهم كان يسكن حياً أرقى باسم "كذا إنشيز" والبعض الآخر فى حى أقل درجة هو "كذا بوبيولارى". وهذا التقسيم الجغرافى كان الوحيد الذى يفرق الجالية التى كانت متقاربة ومتوادة.

وكانت لقاءاتهم حول موائد الطعام تتكرر كثيرا فى الأعياد والمناسبات، والعديد منها فى أرات كيلو. وكانت أوقات طيبة تختفى فيها الكلفة وتذوب الفواصل ويسود المرح.



أقاربى فى بيت القس مرقس داود



أقاربى فى بيت الطون يعقوب

وكانت تجمعهم رحلات ونزهات نهاية الأسبوع Picnic فى المناطق الريفية خارج العاصمة حيث يختلط الأبناء ببعضهم ويصرفون مع الوالدين وقتا جميلا فى اللهو والسمر.



نزهة Picnic خارج أديس أبابا



رحلة إلى مدينة نازرت
على بعد ١٠٠ ك م شرقى أديس أبابا



المؤلف ودرس دينى فى الهواء الطلق

أما الحياة الروحية فكانت مسئولية أساتذة مدرسة سلاسى اللاهوتية بقيادة المتنيح القمص مرقس داود الذى دأب على زيارة بيوت الجالية من الأقباط زيارات رعوية وتشجيعهم على حضور القداسات والمناسبات الدينية. وكان لهم نشاطان مهمان وسط الإثيوبيين، أولهما خدمة مدارس الأحد التى بدأها الأستاذ سعد عزيز (المتنيح انبا صموئيل) فى صورة حلقة لدرس الكتاب المقدس لبعض الطلبة الكبار. ثم عممها كخدمة للصغار فى الكنائس أنطون يعقوب بمعاونة بانوب شحاته أوائل الخمسينيات ثم حمل مسئوليتها

الأستاذ (المرحوم) إدوارد بنيامين. والخدمة الثانية كانت إذاعية فقد خصصت وزارة الإعلام ساعة للمدرسة صباح كل أحد لتقديم برنامج دينى باسم صوت الإنجيل من راديو صوت إثيوبيا وكان يستقبل فى السودان وإرتيريا.

وأسسوا بيتا لليتيمات ضم مجموعة من البنات الإثيوبيات وفرت الجالية لهن الرعاية الأسرية والروحية وتعاون أعضاؤها فى الإشراف عليه مع إسناد إدارته لإدوارد بنيامين (المرحوم).



مجموعة البنات اليتيمات مع أعضاء من الجالية القبطية يتوسطهم القس مرقس داود



المؤلف يخاطب قيادات الكنيسة الإثيوبية
(المجمع المقدس ورؤساء الأديرة ورؤساء الكنائس)
فى اجتماعها السنوى بقاعة الاجتماعات بالبطريركية
عام ١٩٩٨



الجالية أمام الكنيسة القبطية بأديس ابابا

كنسيات إثيوبية

- ١ -

دور الكنيسة

منذ دخول المسيحية إثيوبيا فى القرن الرابع والكنيسة تحتل مركزاً قوياً ومؤثراً فيها بحيث لا يمكن الفصل بين تاريخها وتاريخ البلاد السياسى والثقافى والاجتماعى. وأدت العلاقة اللصيقة بينها وبين ملوكها وأباطرتها إلى أن يكون الفاصل بين السلطتين الدينية والزمنية خيطاً رفيعاً للغاية. والإمبراطور فى كل الأحوال كان رأس الكنيسة وحامى مصالحها الأمر الذى يتفق مع النظم الثيوقراطية Theocratic.

والواقع أن التاريخ الإثيوبى العام يصعب فهمه فهماً صحيحاً بدون التعرف على تاريخ الكنيسة الإثيوبية ذاتها وعلى تطورها وعلى مدى إسهاماتها فى حياة شعوبها إذ أنها شكلت جزءاً لا يتجزأ من النسيج الإثيوبى الوطنى والقومى، وكانت فوق ذلك قوة موحدة يعول عليها خصوصاً فى فترات ضعف سلطة الدولة المركزية، أو تشرذم البلاد إلى مقاطعات وأقاليم أو ممالك صغيرة تتنافس وتتناحر. وتمكنت قوتها الموحدة هذه أن تمتد عبر حدود هذه التقسيمات السياسية وعبر الفواصل الجغرافية والعرقية واللغوية وما أكثرها، فساهمت فى الحفاظ على استقلال البلاد.

والدكتور عزيز سوريال عطية يؤكد أنه من الصعب الفصل بين الدينى/ الكنسى وبين الزمنى فى تاريخ إثيوبيا. فالدولة إسمياً على الأقل كانت تستمد شرعيتها من الكنيسة. والكنيسة كمؤسسة وكيان تنظيمى كانت مرتبطة بالعرش إرتباطاً وثيقاً تقوى بقوته وتضعف بضعفه، وهى تصور وكأنها سيف والدولة ذراع والسيف يقطع متى استخدمه الذراع، واستخدمه بفطنة.

ويبدو أن دخول المسيحية عن طريق البيت المالك جعلها بمثابة "إرث ملكى". فكل الأباطرة/ الملوك تقريباً انشغلوا بالقضايا الدينية والإيمانية، وعلاقتهم بالكنيسة أو رئاستهم لها لم تكن شرفية كالحال فى بريطانيا مثلاً بل كانوا ملتحمين بها، ينتقلون ومعهم

مطرانها وتابوت العهد فى أنحاء البلاد سلماً أو حرباً (١) وبرز بعضهم كقامات دينية أمثال يكونوأملاك ولاليبالا وزارايا كوب الذى كان مفكراً مسيحياً مرموقاً وشارك فى الجدل اللاهوتى الذى دار فى عصره وألف كتاب "مصهاف برهان" (كتاب النور) عن حفظ يومى السبت والأحد، وكتاب "هاتتا زارايا كوب" (٢) تضمن تساؤلات فلسفية ودينية ودعوات للعقل تناقش بموضوعية كل الأديان بما فيها اليهودية والمسيحية والإسلام. واهتم بالقضاء على الخرافات والمعتقدات الدينية الخاطئة فى بلاده، وأمر بإعطاء دروس عامة فى المسيحية تقدمها الكنائس عصر كل يوم أحد مازالت مستمرة حتى اليوم. والإمبراطور ناءود (١٤٩٤ـ ١٥٠٨) كان متعبداً صرف وقتاً فى تأليف الترانيم الروحية ذات الشاعرية والعمق الروحى، يقول فى إحداها مخاطباً يسوع "أنت أقرب إلى نفسى من نفسى.. أنت فى عمق أوصالى.. تملأنى وتساعدنى". وهو الذى بنى كنيسة "مكان سلاسى" المبهرة.

والشعب بدوره كان "قوّاما" على أباطرته لإدراكه أن الكنيسة تقوى بقوتهم واستقامتهم وسلامة عقيدتهم. فإذا ضعفوا أو انحرفوا سعى إلى جرفهم يسانده ويساعده على ذلك مطارنته من الأقباط، فعزل الإمبراطور ياكوب حين تحول إلى الكاثوليكية وقتل فيما بعد، وثار على يوسينيوس لنفس السبب وقاومه حتى تنازل عن العرش لإبنه الذى أعاد للكنيسة عقيدتها وهيبتها ووحدتها مع الكنيسة الأم، وعزل ليدج ياسو لصالح الإمبراطورة زاوديتو حين أحس بتنكره لكنيسته.

(١) ظلت البلاد بعد اضمحلال أكسوم العاصمة فى القرن السابع الميلادى وحتى تأسيس جندر كعاصمة للامبراطورية فى القرن السابع عشر بدون عاصمة ثابتة إذ كانت دائمة التنقل مع معسكرات الامبراطور ورجال بلاطه. وكان الإمبراطور يعيش فى مخيم ضخم بحجم مدينة صغيرة بمثابة عاصمة له، يتحرك معه حيثما توجه ما لم يقرر التحرك بصورة أبسط أو أن يتوقف فى أحد الأديرة فى طريقه، وكان المخيم يضم خمسة خيام رئيسية لإقامته ومقامة على أعلى نقطة فى المعسكر. وإلى الغرب منه كنيستان للقديسة مريم وللصليب المقدس، ملحق بكل منهما خيمة للملابس الكهنوتية وأوانى الخدمة وتجهيز القربان. وبعدهما خيمتان كبيرتان للمقتنيات الملكية الثمينة. أما خيمة الملكة فكانت فى جنوب المخيم وخيمة الخدم إلى الشمال وإلى الشرق المطابخ وبجانبها كنيسة أخرى. وفى مواجهة مقر الملك خيمة طويلة هى قاعة المحكمة حيث يقع سكن القضاة بجوارها وكانت خيام المطران والكاهن حافظ ساعات الصلاة والمذابح المتنقلة وخيام النبلاء تقوم على جانبى المخيم الملكى الخاص . إلى جانب مكان مفتوح إلى الغرب مخصص للأسود الأربعة التى كانت ترافق الملك أينما ذهب.

(٢) ذكر بعض علماء الساميات الذى درس هذا الكتاب أنه سبق بأفكاره فلاسفة التنوير فى القرن السابع عشر وما بعده. ومما يذكر عنه ويؤاخذ عليه أيضاً إنه حاول فرض الدين المسيحى على الجميع بهدف توحيد إثيوبيا وتقويتها. وهو لهذا السبب أيضاً حارب عصابات الشفتا قطاع الطرق وتجار الرقيق بالذات وقضى على قوتهم.

ويذهب بعض المؤرخين إلى التأكيد على أن الكنيسة الإثيوبية هى التى بلورت تاريخ البلاد السياسى والاجتماعى والأخلاقى إلى جانب الدينى. فهى تؤدى من خلال كهنتها دوراً كبيراً وهاماً فى حياة الفرد منذ ولادته وحتى مماته. ومن يراقب الحياة الاجتماعية والأسرية الإثيوبية يلاحظ أن كل شئ تقريباً يبدأ بالكاهن وينتهى به.وحتى تجمعات الإثيوبيين الإجتماعية والدينية التى تعقد خارج الكنيسة، فى البيت أو غيره، مثل المهبر والإيكوب والذكْر لا تخلو من وجود الكاهن.

والكنيسة هى أيضاً التى سيطرت بصورة قوية، وماتزال، على الفنون التقليدية والمهارات، وتعتبر نفسها وريثة أكسوم القديمة المجيدة والحارسة على تقاليدها وقيمها، ساعدها على ذلك غنى هذه التقاليد وإمكانية تطويعها وحب الشعب لها واحترامه إياها. ووضعت بذور نهضة أدبية شاملة استمر تأثيرها الكبير لقرون عدة وكان بإمكان معالمها أن تبقى قائمة شامخة فى الآثار وأعمال الفن والمخطوطات وغيرها لولا الهجمات التخريبية التى وقعت فى القرن العاشر والقرن السادس عشر وأتت على الكثير منها.

والمعروف أن الآداب الإثيوبية دينية فى مجملها وذات محتوى عقيدى ولاهوتى ورعائى، ومنها ما هو تشريعى وقضائى إلى جانب السجلات والكتابات التاريخية. ولا يزال الكثير منها غير منشور حبيس المخطوطات الموجودة فى أثيوبيا ذاتها وفى مكاتب ومتاحف العالم. وهى وإن بدأت بالترجمات (٣) فقد نشط بتأثيرها التأليف المحلى والإبداع الإثيوبى الأصيل المرتبط بالثقافة الإثيوبية التقليدية التى قيل إنها ولدت وترعرعت كجزء من ثقافة الكنيسة الشرقية Oriental، وتغطى فى جانب منها كل نواحى الحياة الإنسانية والإجتماعية بأسلوب شعرى (٤) الطابع فى لغتى الجئز بالذات والأمهرية.

ويشير الإثيوبيون إلى أربعة فترات زمنية ازدهرت فيها الآداب الإثيوبية تشكل مرحلتين: الأولى امتدت فى القرون الثلاثة من الرابع إلى السابع وتعرف بفترتى العصر الأكسومى.

---

(٣) تمت بعض الترجمات فى مصر نفسها بواسطة رهبان أقباط، وتم غيرها فى مصر والأراضى المقدسة بمساعدة رهبان إثيوبيين. وكانت هناك أيضاً إسهامات سريانية.

(٤) منه موشحات تعرف ب "مالكى" Malke فى مدح المسيح والعذراء وغيرهما. ومنه ما يعرف بـ "سلام" (Hail) وهى الكلمة التى تبدأ بها مقطوعاته فى مدح الشخصيات المقدسة.

والثانية فترتا القرون الوسطى من الثالث عشر إلى الخامس عشر وتنسب إلى الأسرة السليمانية الثانية.وكان **الأنبا سلامة الأول** أول مطران قبطى لإثيوبيا هو رائد المرحلة الأولى، فقد ترجم ومعه مساعدوه الكثير من الأعمال المصنفة فى اليونانية التى كانت سائدة بمصر وفى القبطية. وينسب إليه تغيير ترتيب الأبجدية السبأية (Sabaeao) وتحويلها إلى الكتابة من الشمال إلى اليمين كاليونانية والقبطية. ويحتمل أن يكون هو الذى أدخل استعمال الرقائق الجلدية فى كتابة المخطوطات.

وبدأت الترجمة فى المرحلة الأولى بفترتيها بالكتاب المقدس والآبائيات والأسفار القانونية الثانية [٥] ومنها كتب حنوك والنبى هرما وصعود إشعياء وكوفاليا (اليوبيليات) ويشوع بن سيراخ. ورسائل الآباء الكنسية وتعرف باسم "كيرلس" لأنها بدأت برسالة لكيرلس السكندرى عن الإيمان الحقيقى، وشكلت ومعها كتاب "هيمانوت أبو" (إيمان الآباء) وكتاب اعتراف الآباء مصادر لاهوتية هامة للكنيسة. وتشريع أو قانون باخوميوس "سرات وتئزاز زآب باكوميوس" الذى صار له تأثير كبير على الرهبنة الإثيوبية. وكتاب تعليمى باسم "فسيولوجوس"عبارة عن مجموعة قصص عن الحيوانات مع وصف لبعض الأحجار والنباتات والحيوانات والتى كانت لها رموز مسيحية عند الأقباط. وكتاب "جنات منكوسات" على مثال بستان الرهبان.

وفى المرحلة الثانية [٦] برزت شخصية **أنبا سلامة الثانى** (١٣٥٠ـ ١٣٩٠) الذى ظل فى كرسيه أربعين عاماً قام خلالها بجهد واسع فى ترجمة الكتب القبطية المعربة وخاصة كتب الطقوس والميامر وسير القديسين والشهداء، كما راجع الكتاب المقدس فى الجئز على النص العربى المصرى. وأطلق عليه الإثيوبيون اسم "ترجوامى" أى المترجم. وبرزت أيضاً

(٥) المعروف أن الترجمات الإثيوبية احتفظت للعالم بكتب لم تعد موجودة بصورة كاملة فى لغات أخرى مثل كتاب حنوك وكتاب رؤيا شنودة وكتاب صعود إشعياء وكتاب اليوبيل وكتاب حنا النقيوسى.

(٦) بدأت بعودة الأسرة السليمانية إلى العرش (١٢٧٠) التى انتقلت فى عهدها عادات وأعياد قبطية كثيرة احتفل بها الشعب كما كان الأقباط يحتفلون بها ومنها عيد الغطاس وعيد رأ س السنة ومازالت الاحتفالات بهما مع عيد الصليب تجرى كعهدها السابق.

شخصية الإمبراطور زاراياكوب (١٤٢٤ـ ١٤٥٨) إذ وصلت فى عهده الترجمة والنهضة الأدبية إلى قمتها [(٧)].

وأهم ما ترجم فى هذه المرحلة كتاب سنودس ويضم المجامع المسكونية و "ديدسقليا" أى الدسقولية/ تعاليم الرسل التى صارت مصدر التنظيم الداخلى للكنيسة الإثيوبية، وقصة الإسكندر الأكبر، وكتب طقسية مثل كتاب التجنيز وكتاب أسبوع الآلام باسم "جبراهمامات". وقصص الآباء القديسين باسم "زناو (أخبار) أباوقدوسان".والسنكسار القبطى الذى ترجمه راهب إثيوبى باسم سمعان من دير أنبا أنطونيوس، وأضاف إليه الإثيوبيون سير قديسيهم. ومدائح مريم "واداسى مريم" مأخوذ عن البصالمودية. وكتاب عجائب مريم باسم "تاءمرات مريم" مادته مأخوذة من اللاتينية للقديس إلدفونس Ildefonse ومن كتابات قبطية جمعت فى الدير المحرق، وقد انتشر انتشاراً واسعاً خاصة وأن لمريم فى إثيوبيا منزلة عظيمة، وكتاب رؤيا شنودة، وشرح الرسالة إلى العبرانيين للقديس يوحنا فم الذهب، وشرح الأناجيل لديسقورس. وكتاب "فته نجست" + أو قوانين الملوك عن المجموع الصفوى لابن العسال والذى صار المصدر القانونى للمحاكم الإثيوبية وأساس الحياة الدينية والمدنية للإثيوبيين. وكتاب "أرجاوى منفساوى" أو الشيخ الروحانى الذى ساهم المطران مرقس (١٥٣٠) فى ترجمته، وكتاب "مصهافت منكّوسات" لمار اسحق عن حياة الرهبنة. وكتب

(٧) إلى جانب الكتب التى صنفها هو شخصياً ظهرت كتب أخرى كثيرة مثل "إجزابهيرناجسا" وهو مجموعة ترانيم لأيام القديسين على مدار الشهور والسنة. وكتب تسابيح كنسيّة تعرف بالـ "دجوا". ومقالات فى لاهوت المونوفوسايت.وكتاب "فكارّى ملكوت" فى شرح الثالوث الأقدس. وكتاب "هيمانوت أبوّ" أى ايمان الاباء. وغيرها عن سمو الإيمان المسيحى وبوابة الإيمان. ومع أن كتاب معجزات العذراء مريم بدأت ترجمته فى عصر الإمبراطور داويت فقد حظى باللمسات الأخيرة فى عهد ابنه زاراياكوب الذى نظم منه قواعد القراءة والاحتفالات بعد القداس فى كل الكنائس. كما كرس عدداً كبيراً من الأيام كأعياد للعذراء فى مناسبات حياتها المختلفة. وفى أيامه ظهرت جماعة عرفت بالاسطفانوسيين نسبة إلى ديرهم رفضوا رسم أنفسهم أو السجود أمام الصليب أو صور العذراء واضطهدوا ووسموا بأعداء مريم Sere Maryam

+ وهو كتاب مدنى كنسى يتناول أموراً كنسية مثل الكتب المقننة (القانونية) وشئون الإكليروس من البطريرك حتى الشماس والشهداء، والليتورجيا والأسرار كالأفخارستيا والعماد والاعتراف، والصيامات والصدقات وغيرها. كتبه ابن العسال فى القرن الثالث عشر ووصل إثيوبيا أيام الإمبراطور زاراياكوب وبدأ العمل به أيام سرسا دنجل فى القرن السادس عشر. واعتقد الإثيوبيون إنه من عمل آباء الكنيسة الـ ٣١٨ الذين اجتمعوا فى نيقية فقدسوه واعتبروه السلطة النهائية لأمور البلاد الدينية والمدنية.

عديدة أخرى منها كتاب حنا النقيوسى عن احتلال العرب لمصر ونسبت ترجمته إلى كاهن مصرى باسم الأب غبريال، وتاريخ اليهود، وتاريخ العالم لجرجس المكين الذى يعرف هنا بـ "ولد أميدا" أو ابن العميد.

وكانت **الأديرة** الإثيوبية هى حاضنة هذه النهضات باعتبارها قلب الكنيسة وبؤرة الترجمة. وساعد رهبانها على نمو الآداب الحضرية إلى أبعد الحدود، وعلى إقامة كل صور الحضارة الإثيوبية الكلاسيكية بما فيها الموسيقى والفنون التصويرية والمعمار، إلى جانب الطب التقليدى وطب الأعشاب. وفرضوا وجهات نظرهم على السلوك العام بطرق شتى كالقدوة والتعليم وتوقيع الحرم، ونددوا بالسلوك غير المسيحى للأباطرة والزعماء وتحملوا الكثير بسبب مواقفهم هذه. وكانوا أيضاً صوت الكنيسة والمبشرين الذين نشروا المسيحية فى أرجائها، فقد خرجوا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة للتبشير بالمسيحية فى بلاد الجوار واستشهد كثيرون منهم. والمطران يعقوب (١٣٣٧ـ ١٣٤٤) عرف تقليديا باهتمامه الكبير بالتبشير ونشر رسالة الإنجيل بين أصحاب الديانات الإفريقية، وكان على اتصال وثيق بالأديرة فى الإعداد لهذه الإرساليات. ويذكر إنه اختار إثنى عشرة من رهبان دير دابرا لبانوس يحملون لقب نبورائد Neburaed أى المعَّين بوضع اليد، للكرازة فى إقليمى شوا وداموت.

وقد بدأت **الحياة الديرية** فى اثيوبيا فى القرن الرابع مع أنبا سلامة وبتأثير من توافدوا على أكسوم من رهبان أقباط وسريان وغيرهم من العالم الهيلينستى كانوا فى غالبيتهم على صلة بدير القديس باخوميوس [(٨)]. واتسعت وامتدت كمؤسسة مركزية فى حياة الكنيسة أواخر القرن الخامس (٤٨٠) بوصول الرهبان التسعة المشهورين أثناء حكم الأميدا Al Amida يتقدمهم أبا أرجاوى (أى الشيخ كبير السن) وكان اسمه زاميكايل أو ميخائيل العظيم الذى تقبل الإسكيم من القديس باخوميوس والذى يشير إليه بعض المؤرخين باعتباره مؤسس الرهبنة

(٨) يقول التقليد إن القديس باخوميوس أمر أبايوهنس كاما وأبا لبانوس أو متى من أصول بيزنطية فى وقتين مختلفين بالذهاب إلى إثيوبيا للتعليم حوالى عام ٣٤٦ أى بعد رسامة فرومنتيوس مطراناً لأكسوم. فأسس يوهنس دير دابرا سينا ولبانوس دير دبرا لبانوس فى إريتريا. وهناك رهبان إثيوبيون ترهبنوا فى أديرة مصر ثم عادوا إلى إثيوبيا وأسسوا أديرة مثل أباجبرا منفسقدوس الذى ترهبن فى دير اهناسيا وعاد وبنى دير زقوالا (١٣٨٢) المعروف والذى لا يزال مزاراً للحجاج.

الإثيوبية ++. وقد انتشر التسعة فى بعض أقاليم البلاد ينشرون المسيحية فى القرى والنجوع ويؤسسون الأديرة التى مازالت أسماؤها وشهرتها قائمة حتى الآن. ومع أن أصولهم كما قيل كانت سريانية فقد دأبوا على الإشارة إلى صلاتهم بالقديس أنبا باخوميوس وبغيره من القديسين أمثال مكاريوس وأنطونيوس وشنودة وديسقورس. وتنافس تلامذتهم بعد موتهم على تقديم سيرة حياة كل واحد منهم بصورة تجعله أكثر إبهاراً من الآخرين.

وبلغت الحياة الديرية قمتها على أكتاف الإثيوبيين أنفسهم فى القرن الثالث عشر بالنشاط الواسع الذى قام به كل من تكلاهيمانوت ويوستاتيوس اللذين أسسا نظامين رهبانيين عرفا باسميهما (٩). وصار تكلاهيمانوت أول إتشيجى فى الكنيسة الإثيوبية

++ جال فى مناطق أكسوم وييها قبل أن يستقر على هضبة مرتفعة بنى عليها ديره المعروف باسم دير دابرا دامو على النظام الباخومى، وفى وسطه كنيسة تعتبر جوهرة فى المعمار الكنسى. والوصول إلى الدير لا يتسنى إلا بتسلق حبل طويل. وتقول رواية إن ثعباناً ضخماً أليفاً كان يساعد أرجاوى على الصعود والنزول برفع ذيله نحو قمة الهضبة. وكان من بين رفاقه أبا بتلمون (بانتليون) الذى استقر ٤٥ سنة فى دير مهجور خارج أكسوم عرف باسم "اسبو" ثم حمل اسمه فيما بعد. وأبا جاريما (العجيب) أو اسحق الذى استقر فى "مدارا" بالقرب من مدينة عدوه حيث أسس ديره واشتهر بمعجزاته الكثيرة. وهناك دير يحمل اسمه فى اقليم تيجراى ويعتبر مركزاً دينياً هاماً. واستقر بالقرب منه أباجوبا الذى بنى ديره إلى الغرب من بلدة مدارا. أما أبا أفس أو أفاسيم فقد توحد فى معبد وثنى مهجور فى بلدة ييها وتقوم إلى الآن جواره كنيسة باسمه. وأباسيسهما (تساهما) أو ذو اللحية الطويلة وأبا يماتا، وأبا ألف الذى يعتقد أنه بنى دير هاللى أو هلليلويا الشهير والذى يعرف أيضاً باسم دير يجزا (يهزا) شمال شرقى أكسوم، وأبا أرقانوس.

(٩) تمركز نظام تكلاهيمانوت فى دير دابرالبانوس بإقليم شوا والذى بناه الإمبراطور زارياكوب مكان دير إسبو ليحتل مكانة الدير القديم الذى كان عند مدينة هام بتيجراى. وتمركز نظام يوستاتيوس فى دير ساراى مريم بإريتريا. وكان مشهوراً بنسكه وزهده الشديد حتى إنه كان يربط نفسه بسلاسل من حديد محمى. وكان إيوستاتيوس من أنصار حفظ السبت وقاوم تحريمه وغيره من العوائد اليهودية الأصل كما قررته الكنيسة القبطية، واتجه إلى مصر ليحصل على تأييد البطريرك بنيامين (١٣٢٧ـ ١٣٣٩) لموقفه ولكنه لم يوفق وذهب إلى أرمينيا حيث تنيح. وخرج أتباعه من الكنيسة وأسسوا جماعة رهبانية مستقلة. وحاول الإمبراطور زازاياكوب حل المشكلة ومع إنه لم يكن يقدس السبت إلا إنه لم يجد خطأ فى أن يقدس الإثيوبيون السبت إن صان ذلك وحدة البلاد. وعقد مجمع "متماك"(أو دير المغطاس) عام ١٤٥٠ وسأل المطرانين ميخائيل وغريال عن الأسس التى بنى عليها منع تقديس السبت. وبالدراسة لم يتضح أى نص صريح فى الإنجيل أو فى كتابات الرسل عن ذلك. وذكرهما الإمبراطور أن بطرس وبولس طلبا العمل خمسة أيام فى الأسبوع فقط. وانتهى المجمع بأن الغى المطرانان القرار الذى أصدره سلفاهما المطران سلامة الثانى (١٣٤٨ ـ ١٣٨٨) وبرتلوميوس (١٣٩٨ـ ١٤٣٦) الذى عقد مجمعا حوله عام ١٣٩٩. والحفاظ على السبت الإثيوبى يبدأ من مساء الجمعة حتى مساء الأحد.

• وأحد أتباع يوستاتيوس اسمه فيلبس هو الذى أسس دير دابرابيزان فى إريتريا وقد صار أحد مراكز القيادة الدينية حتى اليوم، وكان رئيسه يلى رئيس دير دابرلبانوس.

كرئيس لرهبانياتها ورئيس لدير دابرالبانوس فى الوقت نفسه وتنيح عام ١٣١٢ . وباتت الرهبنة منتشرة فى كافة الأنحاء مع وجود الأديرة وبيوت الخلوة فى كل مكان: فهناك جماعات رهبانية ثابتة فى أديرة قائمة، وهناك نساك وزهاد متجولون، مازالوا حتى اليوم رغم اختفاء هذه الظاهرة من عالمنا الحاضر. والأديرة فى التصنيف الإثيوبى ثلاثة أنواع هى أندنّت (مع بعض)، ويكوريت و بهتاويان (النساك المعتزلون).

وأدى اهتمام الإثيوبيين بالحياة الديرية إلى ترجمة قوانين القديس باخوميوس فى القرن السادس فصارت مع تراث الأنبا أنطونيوس أساس الرهبنة الإثيوبية، إلى جانب ما تراكم على مر الأيام من قوانين وأنظمة وتقاليد بتأثير البيئة المحلية. فطبوغرافية البلاد الجبلية، مثلاً، وتناثر المناطق المأهولة التى تفصلها الجبال والأنهار والوديان العميقة ساعدت على تنوع نظم الأديرة فى الشكل والمضمون، على عكس الحال فى مصر حيث سمحت الطبيعة الجغرافية السهلية المنبسطة بقيام نظام ديرى مركزى قوى وبوحدة التقليد الديرى. ويتضح هذا التنوع مثلاً فى غطاء الرأس الذى يلبسه الرهبان شكلاً ولوناً، وفى تعدد نماذج إقامتها فى مختلف المناطق. ففى شرقى جودچام قامت معظم الأديرة القديمة بالقرب من الأماكن المأهولة كالمدن والقرى وتداخلت فى حياة المجتمع المحلى. بينما قامت فى أقاليم أخرى فى مواقع بعيدة منعزلة، أو داخل الغابات، أو فى مناطق أشبه بالمستنقعات تحيط بها المياة من كل جانب أو فى جزر فى بحيرات البلاد. والمكان المفضل دائماً هو أعلى الجبل فى نقاط وعرة يصعب الوصول إليها. والجبل يعنى "دابرا" فى الأمهرية وهو نفس الاسم الذى يطلق على الدير. على أن المعمار الديرى للأديرة الرئيسسة يتبع النظام القبطى بصورة دقيقة تقريباً.

وقد ساعدت هذه العوامل على أن تصير الأديرة شبه مستقلة ذاتياً، وإن بقيت أسس الإدارة الداخلية فيها واحدة وقريبة الشبه بالأسس القبطية، كما بقى الرابط المهم بينها ثابت وهو أن جميع الرسامات لكافة الرتب كانت تتم بواسطة المطران وحده. واستجدت فى القرن الثالث عشر وما بعده عوامل أخرى دعمت هذه الاستقلالية. فالإمبراطور يكونوأملاك وهب الكنيسة ثلث أملاك الدولة حرة دون ضرائب وكان للأديرة نصيب كبير منها سد كافة احتياجاتها ومنحها درجة من الثراء والاستقلال المالى، وبعد ذلك بأقل من قرن قسم الإمبراطور سيف أراد (١٣٤٤ـ ١٣٧٢) منطقة وسط إثيوبيا إلى إثنى عشرة مقاطعة

وعين على كل مقاطعة رئيس دير مشرفاً عليها مما ضاعف من سلطة الأديرة واستقلاليتها. يضاف إلى ذلك أن الأديرة الكبيرة التاريخية كانت منذ البداية متنافسة تعتز بمؤسسيها من الرهبان العظام و تتباهى بهم وبسيرهم، ويسعى كل منها إلى أن يكون فى المقدمة وله كلمته المؤثرة فى شئون الكنيسة، كما مثل بعضها مدارس لاهوتية ومكانة روحية متميزة، وقادت هذه الاستقلالية والتنافسية الكنيسة والبلاد إلى ما هو متوقع من مشاكل تزداد حدتها عند نشوب خلافات عقائدية. حدث هذا عندما قرر المطران برتلوميوس وقبله سلامة الثانى تحريم تقديس السبت إذ عارضه بشدة يوستاتيوس ورهبانه وخرجوا على الكنيسة وكونوا جماعة مستقلة. على أن هذه المشاكل تصاعدت وتعقدت وهددت وحدة البلاد فعلاً عندما نشب الصراع العقيدى العقيم فى القرون ١٧ إلى ١٩ .

ويشار إلى الدير بكلمة "جدام" (١٠) أيضاً وتعنى فى اللغة منطقة أو مساحة منفصلة خصصت لحياة النسك والتعبد، باعتبار أن الدير مكان مغلق بحدود محددة جيداً وبأسوار تفصله عما حوله، وتعزل ما تقوم فيه من حياة ذات نسق واحد وتخضع لقواعد مقننة وروتين يومى حازم تحت سلطة مركزية. ومع ذلك فقد يتكون الدير فى إثيوبيا من بعض الأكواخ أو القلالى الحجرية المبنية بدون نسق معين وربما بدون سور، وحيث تعقد الاجتماعات فى الهواء الطلق. ولعل هذا التنوع والقابلية للمواءمة والتكيف مع البيئة والظروف مع الاحتفاظ بوحدة الإلهامات والهدف، ساعدا على استمرارية الرهبنة حية خلال الحقب المضطربة فى التاريخ الإثيوبى.

وكلمة "جدام" لها أيضاً مدلول وظيفى بمعنى أنها تطلق على الدير الذى يتميز بقدمه وبكونه مركزاً لتقديم التعليم الكنسى التقليدى بفروعه. أى أنه لا يكتفى بإقامة الرهبان أو الراهبات فى حياة مشتركة أى العيش والعبادة معاً. فمثلاً فى دير "زواى" أعطيت أهمية لتطوير برامج الدراسات اللاهوتية وتحديثها لإعداد الراهبات كمعلمات وخادمات اجتماعيات.وأقيم دير جديد لنفس الغرض باسم "إسقيت تكلاهيمانوت" بجوار دير

(١٠) هناك كنائس مسجلة على إنها "جدام" مثل كاتدرائية سلاسى وكنيسة القديسة مريم فى أديس أبابا. وعموماً يشار إلى الكنيسة وفناءها وما حوله ب "جدام" إما لأنها دير فعلاً أو كانت كذلك قبلاً، أو أن الذى بناها – ملك أو أمير أو غيره – أطلق عليها هذا الاسم . والمألوف أن يخدم الرهبان فى كنائس الجدام، أما الكهنة المتزوجون فيخدمون فى الكنائس المعروفة باسم دابر.

دابرمرقس. كما بدأت أديرة أخرى تهتم ببرامج للتنمية الزراعية والسياحية. على أن النمط الرهبانى للحياة الروحية موجود فعلاً فى العديد من الأديرة. فمثلاً فى دير "مهراسلاسى" غربى إقليم جندر ودير "والدبّا" جنوبى تيجراى والذى يضم حوالى ألفين من النساك تنحصر الحياة فى الصلاة وأنشطة معينة يحكمها قانون حازم لا يسمح للراهب أن يمتلك شيئاً ولا حتى مليماً واحداً. ولا يسمح فيهما إلا بالطعام الصيامى، كما تراعى حياة النسك بدقة بما فيها الصمت الكامل والزهد الحقيقى. وفى بلد تفرض جغرافيته منطق الصراع وطدت الرهبنةفكراً مقدساً للسلام وصارت صورة الناسك شبه العارى ويحمل صليباً عالياً تكاد تكون سمة وطنية ونجمة مشرقة فى سمائه، وقد أذهلت الحياة النسكية التى يعيشها النساك فى الفيافى والقفار وفى الكهوف والمغاور الأجنبى حين وطئ البلاد فى القرن الخامس عشر ومازالت تذهله حتى اليوم (١١). وحين يدخل هؤلاء النساك القرى والمدن يتحولون إلى أصوات مجلجلة تدعو إلى الحب والسلام وطاعة الله.

ويعيش الرهبان عادة فى قلايات حجرية ضيقة لا تكفى للتمدد عند النوم تتجمع حول صخرة يرتفع عليها الصليب، وحول القلايات قطع من الأرض يزرعها كل راهب بالخضروات والأعشاب لطعامه. وتوجد عادة غرفة طعام مشتركة مزودة بمطبخ حيث يأكل الجميع، ومكتبة حيث يقضى الرهبان وقت فراغهم فى نسخ كتبها أو تصوير المناظر بالألوان. وعادة ما تمثل أديرة الراهبات جزءاً ملحقاً بأديرة الرهبان. وإن كان كثيرات منهن يعشن منفردات كل منهن فى "عشة" فى أفنية الكنائس. ومما يذكر أن القديسة "ولاتابتروس" أسست فى العصور الوسطى رهبانية لهن إنضم إليها عدد قليل. وقد تزايدت أعداد أديرتهن حتى بلغت المئات الآن.

(١١) وسجل الأب فرانسسكو الفارز أوائل القرن السادس عشر صور حياتهم الصعبة، فهم يأكلون أوراق الشجر وجذورها ويلبسون ملابس خشنة من جلود الأغنام عادة، ويقيمون فى أماكن ضيقة بحيث لا يستطيعون الرقاد عند النوم، ويعذبون الجسد بالصوم والسجود والوقوف لمدة طويلة فى مكان واحد سواء فى مياة الأنهار أو البحيرات أو فى الخلاء حيث تكون الحرارة شديدة أو منخفضة جداً. وساد اعتقاد أنه عندما يبلغ عذاب الناسك أقصاه تنبت له أجنحة مثل الملاك كعلامة لاكتمال قداسته. وتوجد مخطوطات تظهر القديس تكلاهيمانوت بست أجنحة على كل جانب. ومن علامات كمال الناسك هو عدم احتياجه لأن يأكل أو يشرب، فإذا أكل اختفت الفضلات معجزياً من البطن!

ومما يجدر ذكره أن إثيوبيا شكلت بعض التقاليد الرهبانية التى لا توجد فى غيرها من البلاد المسيحية، ولكن توجد مثيلاتها فى تقاليد الديانات الآسيوية مثل رهبنة الأطفال، واعتبار حياة المرء، أعزباً كان أو متزوجاً، مقسمة إلى مراحل تكرس المرحلة الأخيرة منها لحياة التقشف والزهد فى نطاق ديرى. ووجود الناسك الذى وضعت عليه اليد ويعرف بـ "البهتاوى"، وأيضاً البهتاوى بدون وضع اليد ويعيش وحده منفرداً فى الكهوف. وتوفير المرونة التى تعطى مكاناً للإيمان الشخصى فى قيادة الروح القدس وإلهامه للأفراد ليجدوا سبيلهم إلى نمط الحياة الرهبانية المناسبة لهم: من العيش وحيداً فى تجويف بجزع شجرة أو كهف (١٢) حيث يصلى ويتأمل، أو التجول فى مدينة يصنع خيراً، أو قضاء حياته مدبراً لإحدى الكنائس فى القرية أو المدينة.

وكان الحج إلى الأراضى المقدسة + وإلى أديرة مصر وكنائسها مشياً على الأقدام جزءاً من عبادة الرهبان ونسكهم يحتملون فى سبيله متاعب ومصاعب ومخاطر جمة. وقد زار الراهب القديس تكلاهيمانوت، أول إتشيجى فى الكنيسة الإثيوبية، برية شيهات وعاش بها مدة ليست بالقصيرة مع غيره من الرهبان الإثيوبيين.

وكانت العادة أن يتوجه الحجاج الإثيوبيون فى قوافل تبدأ من أقليم تيجراى، ومن مدينتهم المقدسة أكسوم فى الغالب، عقب عيد الغطاس واحتفالاته المبهرة لتنتهى بهم فى أورشليم. فيعبرون الصحراء غرباً إلى النوبة فى وادى النيل حيث يزورون أديرتها وكنائسها، ثم يتجهون شمالاً مع النيل إلى قفط ونقادة وقوص التى اشتهرت فى الماضى بكنائسها وأديرتها التى لم يبق منها الآن غير الأطلال. ويتوقفون طويلاً فى جبل قسقوام حيث دير المحرق الذى يعتبر عندهم من أقدس المزارات فى مصر (١٣) وأقامت جماعة منهم فيه وبالقرب منه. ويقضون فى دير الرسل القديسين بالقوصية فترة راحتهم. وقبل وصولهم إلى حصن بابليون الرومانى يتوقفون عند بوش حيث الدير القديم الذى بناه القديس أنطونيوس

---

(١٢) اكتشفت عدة كهوف ومغارات فى أنحاء البلاد تضم أجساداً محنطة لنساك وبأيديهم صلبانهم.

(١٣) وتضم كتبهم تاريخه الذى يعرفونه جيداً ويرددون اسمه بكل احترام. وتيمنا بهذا الاسم بنت الإمبراطورة منتواب (١٧٢١– ١٧٣١) كنيسة باسم "قسقوام مريم" غربى مدينة جندر العاصمة القديمة أوائل القرن الثامن عشر. وبنت الإمبراطورة زوديتو كنيسة أخرى بنفس الاسم عام ١٩٢٧ على الطريق إلى أنطوطو بأديس أبابا.

+ فى عام ١٩٤٣ صـدر كتاب فى جـزئين بالإيطـالية عن الجالية الإثيوبية فى أورشليم (القدس) تأليف Enrico Cerulli.

وتلاميذه، وفى مدينة بباحيت دير القديس مار جرجس. ثم يصرفون وقتاً كافياً فى منطقة مصر القديمة بكنائسها وآثارها القبطية المعروفة حيث كان لهم دير خاص فى عهد الفاطميين. ويزورون المطرية حيث بئر مريم والشجرة المعمرة التى استراحت العائلة المقدسة فى ظلالها. واشتـهرت كنيسة مارجرجس بحارة زويلة كمكان لراحتهم بالقاهرة، كـما اعتـاد بعـضهـم الإقـامة فى البـطريـركية (القديمة) فى المكان الـذى تشـغله مكتبتها الآن (١٤).

ومع أن تزايد مخاطر الطريق وتهديدات العصابات من قطاع الطرق أوقفت القوافل، فقد ظل النساك المتوحدون يحجون إلى هذه الأماكن المقدسة. وكان بعضهم يستقر فى دير أنبا شنودة بسوهاج، وآخرون بالقرب من دير المحرق فى قلايات خاصة بهم حتى نهاية القرن الثامن عشر، وفى دير أنبا صموئيل بجبل القلمون فى صحراء الفيوم. ويواصل بعضهم الرحلة إلى أديرة حارة زويلة حيث يستقرون، أو إلى دير البحر الأحمر الذى تحمل بعض جدرانه زخارف إثيوبية وحيث تمت ترجمة بعض الكتب القبطية إلى الجئز. ومنهم من أقاموا بدير القديس أنبا مقار حيث ترك أحدهم لوحة بريشته. وحتى أوائل القرن الماضى بلغ عدد الذين استقروا فى دير البراموس عشرين راهباً، وكان أشهرهم الأب عبد المسيح الحبشى الذى عاش متوحداً فى مغارة خاصة من ١٩٣٤ـ ١٩٧٢ وتنيح فى القدس.

وتشير المصادر إلى إنهم توجهوا أيضاً إلى قبرص حيث أقاموا مع أقرانهم من الأقباط فى دير أنبا أنطونيوس بفماجوستا وفى أنحاء أخرى بالجزيرة. وذهب آخرون إلى أرمينيا ومن أشهرهم الراهب يوستاتيوس زميل تكلاهيمانوت ومات هناك (القرن الرابع عشر). وبعد احتلال العثمانيين للأراضى المقدسة توجه عدد منهم إلى ڤينيسيا وإلى الڤاتيكان بروما حيث استقروا فى كنيسة باسم القديس إتيان تحولت إلى دير باسم القديس إسطفانوس بعد إقامتهم بها. ولما خلا منهم فى بداية القرن الثامن عشر أسند الإشراف عليه إلى كاهن إيطالى. ووصل بعضهم إلى أسبانيا فى القرن السادس عشر واستقروا فى دير باسم الإخوة الصياديين فى ڤلانسيا.

(١٤) ويذكر أن البابا كيرلس الخامس استقبل مجموعة منهم جاءوا من أديرة بحيرة تانا، ورحب بهم بإعطائهم ثياباً رهبانية جديدة بدلاً من ملابسهم الرثة التى تحملت وعثاء الطريق. ومن الغريب إنه أمر بتقطيعها قطعاً صغيرة وأخذ يهديها لزواره من رجالات الكنيسة كأنها بركة وهو يردد على مسامعهم ما تحمله الرهبان من مخاطر الطريق ومشقاته فى سبيل ما يؤمنون به ولنوال البركة.

والظاهرة الحديثة هى توجه الرهبان إلى المدن والاستقرار فى كنائسها المصنفة أديرة أو "جدام" حسب المفهوم الإثيوبى. وتعاظمت هذه الظاهرة بعد ما أقدمت الحكومة الماركسية (١٩٧٤ـ ١٩٩١) على مصادرة أملاك الكنيسة فحل الفقر بالعديد من المجتمعات الرهبانية وضعف نفوذها الاجتماعى والسياسى فى مناطقها (١٥). كما أن الكثير من الرهبان شعروا أن من واجبهم التوجه إلى المدن لمواجهة الدعاية الإلحادية التى نشرها نظام الحكم فيها لتنوير الشعب ودعم إيمانه. على أن ظاهرة الهجرة هذه قد تدعمت بالمتغيرات التى طرأت على الأنشطة الديرية ذاتها، فالنسخ وكتابة المخطوطات قد ضعفا بعد انتشار المطابع والآلة الكاتبة، والتعليم الدينى التقليدى القائم على تعليم الآباء قد ضعف الإقبال عليه بعد انتشار المدارس والتعليم المدنى الحديث.

ولا يعنى هذا أن دور الأديرة والكنائس التعليمى قد توقف فى الوقت الراهن، فما يزال مستمراً لأن الدراسة الدينية ما فتئت مرغوبة والخدمة الدينية مازالت تمثل اختياراً مفضلاً لدى قطاع كبير من الشعب. وليس من المستبعد أن فكرة "الكتّاب" القبطى انتقلت إلى إثيوبيا فى فترة مبكرة كوسيلة من وسائل تعليم أبناء الذين دخلوا فى الإيمان وتعميم كلمة الإنجيل بين الشعب. وصارت الأديرة والكنائس التى شيدت مقاراً لهذه الكتاتيب، إلى جانب كونها مراكز للترجمة التى نقلت التراث المسيحى الأرثوذكسى إلى ربوع إثيوبيا.

وتطورت **كتاتيب**+ الأديرة فى منتصف القرن السادس وتحولت إلى مدارس بنظام تعليمى جديد أدخله كاهن بدرجة ليكاليكاونت (رئيس أساتذة) لعب دورا بارزا فى حياة الكنيسة الإثيوبية وصار واحداً من قديسيها

(١٥) كانت الأديرة التى يعين الإمبراطور رؤساءها بمثابة إمبراطورية صغيرة تقوم ببناء الكنائس فى منطقتها وتفرض الضرائب وتجمعها. وكان بعض الأديرة الأخرى بمثابة منفى للمغضوب عليهم من السياسيين حيث يضعون اللباس الرهبانى ويستقرون. وتميزت الكنائس الملكية بأن إكليروسها كان يدّعى بأنه ينحدر من عزاريابن صادوق رئيس الكهنة أيام الملك سليمان. وهو وراثى أى يخلف الابن أباه فى الكهنوت مما أدى إلى تزايد عدد الكهنة وإلى فقرهم أيضاً لثبات قيمة الهبات الملكية لهم.

+ وهى أيضاً منتشرة بجوار الكنائس أو داخل أفنيتها. ويقال إن بدايتها يعود إلى ما قبل دخول المسيحية فى تجمعات العلماء فى المجمع (السيناجوج) اليهودى.

تحتفل بذكراه فى شهر مايو، هو القديس **يارد** (١٦). ويضم نظامه أربع مراحل أو مستويات أعتبرت كل مرحلة مدرسة باسم بيت Beit:

المرحلة الأولى: "نباب" (قراءة) بيت أو مبادئ القراءة والكتابة للأمهرية والجئز.

المرحلة الثانية: "زيما" (موسيقى) بيت للترانيم والألحان الكنسية على مدار السنة، ويدعى من يتمها "زمارى" أى مرتل وينتقل منها إلى "قداسى" أى حفظ القداس لمن يدخلون الكهنوت.

المرحلة الثالثة: "قينى" (شعر) بيت لنظم الشعر وحفظه وتلاوته، وهى مرحلة رفيعة المستوى أدبياً.

المرحلة الرابعة: "مصهافت" (كتب) بيت وهى المرحلة الأعلى والنهائية وتركز على دراسة وتفسير الكتاب المقدس بعهديه وقد يقضى فيها الدارس خمسة عشر عاماً ويزيد.

وبزت بعض الأديرة غيرها فى مرحلة معينة من الأربعة خاصة المرحلتين الأخيرتين وتخصصت فيها بعلماء معروفين ومشهورين يقصدها الدارسون الراغبون فى التفوق وعلو مستوى التحصيل.

ومثلت مدارس الأديرة قمة التعليم فى الكنيسسة يتوجه إليها أبناء الأغنياء بصحبة آبائهم الذين كانوا يصرون على إلحاقهم بها. ويذهب إليها أولاد الفقراء من تلقاء أنفسهم، مشياً على الأقدام فى مغامرة من حب العلم والشوق إليه. ويحاول بعضهم القيام بخدمة بيوت الأساتذة من الدبترا والكهنة مجاناً لتتاح لهم فرصة التعلم منهم. ويتخرج فيها العلماء والقيادات ورجال الحكم والإدارة. وظلت تقوم بهذا الدور حتى عهد الإمبراطور

(١٦) ولد يارد فى مدينة أكسوم عام ٥٠٥ فى أسرة كهنوتية ورعاه خاله الكاهن جدعون أستاذ العهد القديم بعد موت أبيه. وكان متخلفاً فى دراسته وحاول الهرب أكثر من مرة إلى أن فتح الله ذهنه فأتم دراسة العهدين وألم باللغتين العبرية واليونانية وصار شماساً، وخلف خاله فى التدريس بعد موته. ومات يارد عام ٥٧١ فى مغارة أسفل جبل سيمين حيث اعتاد التدريس. وكان يارد على علاقة وطيدة بالرهبان التسعة الكبار. وشجعه الإمبراطور جبرامسكل وعاونه فى إعداد إحتفالية "هوصانا" (أحد السعف) المشهورة فى مدينة أكسوم والتى يستمر الاحتفال بها حتى الآن. وقصته موجودة بالكامل فى كتاب "كبرانجست".

هايل سلاسى الذى استعان بخريجيها كوزراء وحكام وبرلمانيين. ومازالت تحتفظ بمكانتها الكنسية كمراكز للتعليم التقليدى وبمثابة مدارس إكليريكية مصغرة، رغم الحرب التى أعلنها عليها الحكم الماركسى بينما يعطى الحكم الحالى ظهره لها، ورغم تطور التعليم الأكاديمى الحديث الذى بدأه منليك الثانى وتوسع فيه هايل سلاسى الأول.

والقديس يارد هو أيضاً مبدع **الموسيقى** الكنسية الإثيوبية المعروفة باسم "زيما" والشعر الدينى. ويذكر السنكسار الإثيوبى بتفصيل كيف منحه الروح القدس موهبة التأليف الموسيقى حين أرسل له الله ثلاثة ملائكة على هيئة ثلاثة طيور لتعليمه كانت تنشد وتغنى حوله بلغة الجئز وهو يستمع إليها، ثم حملته إلى أورشليم السمائية حيث استمع إلى المزيد من التسبيح الملائكى، إلى أن تجسدت التسابيح فى قلبه وانكشفت له أسرارها بالروح القدس. ولما عاد إلى الأرض توجه إلى الكنيسة وسبح الثالوث المقدس بتسبحة عرفت باسم "أريان" أى السماء العليا مسكن الله. ومن ثم طلب صنع الآلات الموسيقية التى شاهدها فى السماء (١٧). وهو الذى أدخل التسبيح والترنيم اللذين يصاحبهما الرقص المقدس ذو الايقاع البطئ بمصاحبة الطبلة والصلاصل Sistrum وهى من أصل قبطى. وألف العديد من الترانيم والأناشيد المخصصة لمناسبات معينة فى فصول السنة وشهورها وأيامها وأعياد القديسين والثالوث المقدس. وقسمها إلى أربعة أقسام لأربعة فصول السنة هى فى الواقع أربعة كتب تحمل أسماء "دجوا وزمارى ومواسيت ومثراف" صرف تسع سنوات فى إعدادها. وكل قسم له أنغامه Melody. وصور أدائها فى الكنيسة ثلاثة هى "الجئز" أى الانشاد العادى، وال "إيزل" للجنازات، وال "أرارى" للاحتفالات الكبيرة ويتميز بأنه حر خفيف. وتمثل صور الأداء هذه: الآب والابن والروح القدس بنفس الترتيب. ويسمى الكتاب الذى يضم هذا الانتاج "دجوا"، وأيضاً "ماهلت يارد" أو كنز ألحان وترانيم يارد. ويقول الإثيوبيون إن يارد سبق أوروبا بقرون باعداده للنوتة الموسيقية لعمله الكبير.

وعمل هذا الابداع "الياردى" على أقلمة أو أثوبة ليتورجيا الكنيسة الإثيوبية وموسيقاها لتكون أكثر إنتماء لبيئتها. وهو من صور تطور الكنيسة الإثيوبية وتشكيل شخصيتها ما كان

(١٧) وهذه الآلات هى : إنزيرا Inzira وهى فلوت كبير. ماسينقو وهى كمنجة بوتر واحد. بجينا وهى قيثارة كبيرة. كبرو وهى طبلة صغيرة نوعاً. تسناتسل Sistrum أى صلاصل

يجب أن يغيب عن ملاحظة قيادات الكنيسة القبطية فى حينه فترى فيها بوادر النزوع إلى الاستقلالية التى تنسجم وطبائع الأمور ومنطق النمو والتجديد في الحياة. والمعروف أن الألحان والترانيم وموسيقاها التى أبدعها يارد لكنيسته هى المنطقة التى يتضاءل فيها التطابق أو التشابه بين الليتورجيا القبطية والإثيوبية. وكانت بعيدة عن سلطة المطران الذى لم يكن يضع اليد على الدبترا (علماء الكنيسة) الذين يشكلون جوقات الإنشاد والترنيم والتسبيح مع الرقص المقدس فى الكنيسة.

ومن المفترض أن الطقوس والليتورجيا القبطية بما فيها القداسات الباسيلي والكيرلسى والغريغورى قد ترجمت إلى لغة الجئز منذ البداية ومارستها الكنيسة الإثيوبية الأولى. ويلاحظ الآن وجود تشابه كبير بين الكنيستين فى الليتورجيات الخاصة بالأسرار، وخاصة سر الكهنوت الذى ترجم طقسه مؤخراً فى الأربعينيات من القرن الماضى عند رسامة أول أسقف إثيوبى.

ويؤكد الدارسون أن ترتيب خدمة القداس من البداية إلى النهاية تتشابه تقريباً فى الكنيستين. وتقتصر الاختلافات على الصلوات الثانوية والشعائر غير الموجودة عند أى منهما. فخدمة سر الأفخارستيا يتضح فيها تطابق الليتورجيا خاصة فيما يتعلق بما يفعله الكاهن ويردده. فصلوات الكاهن الواجبة تتلى بدقة كما هى فى القبطية وبنفس الترتيب مثل صلوات قبل وبعد إعداد المذبح، وصلاة التقدمة والتحليل، والصلوات الخاصة بالقراءات وإن كانت تأتى قبلها وليس بعدها كما هو الحال فى القبطية. ويعود هذا التطابق إلى إصرار المطارنة الأقباط فى الماضى على أن يتعلم الكهنة الطقس الصحيح قبل رسامتهم.

إلا أن الاختلاف فى عدد القداسات واسع ولا يعرف له سبب واضح، وإن كان التعليل المعقول يرتبط بمدى التأثير الذى نقله الرهبان الإثيوبيون الذين كانوا يقيمون فى أورشليم أو يترددون عليها وكانوا على اتصال بالكنائس الشرقية وغيرها. كما يرتبط بفترة الصراع العقيدى التى خلالها ساد الارتباك الكنيسة. فالكنيسة القبطية لديها ثلاثة قداسات "أنافورا"(أى الصلاة الرئيسية فى خدمة سر الافخارستيا) بينما الكنيسة الإثيوبية لديها أربعة عشر بيانها كما يلى:

١ ـ أنافورا الرسل

٢ ـ أنافورا سيدنا Our lord.

٣ ـ أنافورا القديس يوحنا الإنجيلي.

٤ ـ أنافورا آباء مجمع نيقية الأرثوذكسيين ال٣١٨ .

٥ ـ أنافورا سيدتنا التى قيل إنها أعدت بواسطة أنبا قرياقوص (أسقف البهنسا).

٦ ـ أنافورا القديس أثناسيوس الرسولي.

٧ ـ أنافورا القديس باسيل/ باسيلسوس من قيصرية.

٨ ـ أنافورا القديس جورجيوس النيسيني (ألنيسى)وتعرف أيضاً بأنافورا هوصانا.

٩ ـ أنافورا أبيفانيوس من قبرص.

١٠ ـ أنافورا القديس يوحنا كريسوستوم.

١١ ـ أنافورا القديس كيرلس الكبير.

١٢ ـ أنافورا القديس يعقوب السروجي.

١٣ ـ أنافورا القديس ديسقوورس الاسكندرى.

١٤ ـ أنافورا القديس أبا جريجوريوس (غريغوريوس).

وقد ترجم المتنيح القمص مرقس داود هذه القداسات إلى العربية فى كتاب من ثلثمائة وعشرين صفحة فى الأربعينيات من القرن الماضى أثناء خدمته فى إثيوبيا وبمساعدة من تلامذته. وذكر فى مقدمة كتابه أنه تاق لترجمة هذه القداسات "المأخوذة أصلاً من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمصر وإعادتها إلى كنيستى فى مصر" ومما يجدر ذكره أن أحد خريجي كلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا (عام ٢٠٠١) قدم بحث تخرجه حول هذه القداسات ومما خلص إليه أن الباحثين يقسمونها إلى قسمين:

(١) مجموعة مترجمة من أنافورا أجنبية وهى الرسل وسيدنا ومرقس الإنجيلي وكانت

معروفة عند الإثيوبيين فى فترة القرون الرابع إلى السادس. وإن كان القداس المرقسى قد نُسي تدريجياً.

(٢)وتعود المجموعة الباقية إلى القرون الوسطى، ومنها ما هو إثيوبى الأصل لبساطة لغته التى لا تبدو مترجمة مثل أنافورا إبيفانيوس ويوحنا الإنجيلى وسيدتنا العذراء مريم وكيرلس الاسكندرى الثانية وديسقورس الإسكندرى.

والرتب الكنسية/ الكهنوتية فى الكنيسة الإثيوبية هى: مِزمّر (مرتل). ليك (رئيس) مزمّر. أناجوستس. يفك دياكون (مساعد شماس). دياكون. ليك دياكون. قسيس. قمص. إِپسكوپوس.پاپاس (أسقف). ليك پاپاس. ولقب غبطة البطريرك هو: "بطريرك رئيس ليكان پاپاسات زا إثيوبيا ليك پاپاس زا أكسوم وإتشيجى زامنبر تكلاهيمانوت".[بطريرك رئيس رؤساء أساقفة (مطارنة) إثيوبيا ومطران أكسوم وإتشيجى كرسى تكلاهيمانوت].

وللعلمانيين مكان مرموق فى الكنيسة الإثيوبية. فمثلاً يوجد رئيس "أَلَكَ" علمانى بكل كنيسة يشرف على شئونها. كما أن "الدبترا"، أى العلماء، يشكلون "جوقة" الإنشاد والتسبيح فى الكنيسة، ويقضون فى الأعياد الليل كله فى التسبيح والترتيل، ويؤدون الرقص المقدس. إلى جانب كونهم معلمين يقومون بالتعليم فى مدارس الأديرة والكنائس، وبنسخ المخطوطات. ويحمل الأستاذ منهم لقب"مارجيتا". وكلمة "دبترا" تعنى خيمة وأطلقت عليهم لاعتيادهم التعليم فى خيام. وهناك أيضاً ألـ "أكابيت" وهى الأرملة القديسة التى تجهز الدقيق لخبز التقدمة/ القربان.

وفيما يتعلق **بالأصوام** فالتطابق كامل سواء فى أعدادها أو مواعيدها وطقوسها. ويحتل الصوم الكبير مكانة خاصة بقداساته اليومية التى لا تنتهى قبل الثالثة بعد الظهر، وبتقاطر المؤمنين إلى الكنائس يصرفون أوقاتاً طويلة فى العبادة والسجدات. وقبل بدايته ببضعة أيام تغلق محال الجزارة أبوابها وتظل مغلقة حتى نهايته، ويختفى البيض ومنتجات الألبان من الأسواق المسيحية. وتحمل آحاده المقدسة الأسماء والدلالات التالية:

الأحد الأول: زاورّد أى الذى نزل من السماء يو ٣: ١٣.

الأحد الثانى: قدّست أى المقدس.

الأحد الثالث: ميكوراب، إشارة إلى المجمع حيث كان السيد يعلم.

الأحد الرابع: مساج، أى المفلوج يو ٥: ١ ـ ٩.

الأحد الخامس: دبرازيت، جبل الزيتون حيث علم السيد عن عودته.

الأحد السادس: العبد الصالح مت ٤٥: ١٤ ـ ٣٠.

الأحد السابع: نيقوديموس يو ٣: ١ ـ ٢١.

الأحد الثامن: السعف.

وتتطابق **الأعياد** السيدية وغيرها (١٨) فى إثيوبيا مع الأعياد القبطية. وتحتفل الكنيسة الإثيوبية بثلاثة آحاد من صوم الميلاد: ففى الأحد الأول قبل عيد الميلاد عيد يدعى "سبكات" أى الوعظ إشارة إلى تعاليم وإنباءات أنبياء العهد القديم عن مقدم المسيح. والأحد الثانى قبل عيد الميلاد عيد "برهان" أى النور، إحتفاء بمقدم السيد ليعطى نوراً للعالم. والأحد الثالث يدعى نولاوى إحتفاء بالسيد الراعى الصالح.

وهناك ثلاثة وثلاثون عيداً للسيدة العذراء على مدار السنة. وأعياد شهرية منها عيد الرب "كدان مهرات" يقع فى اليوم السادس عشر، وعيد للملاك ميخائيل فى اليوم الثانى عشر، وللملاك جبرائيل فى اليوم ١٩، وعيد للثالوث المقدس (ظهور الملائكة الثلاث لابراهيم) فى اليوم السابع.

الفن الإثيوبى:

ارتبط الفن الإثيوبى بكافة صوره، شأن الفن الإفريقى وفنون المجتمعات البشرية عموماً، بما ساد مجتمعه من معتقدات دينية، وكان هو السبيل للتعبير عن هذه المعتقدات وممارسة طقوسها، بل والتعبير عن أفكار الإنسان الإثيوبى وأحلامه وعن أصوله الحضارية. وصار فنا دينياً مسيحى الهوية فى مجمله بعد دخول المسيحية فى القرن الرابع. وقد تباين الحكم عليه وعلى أصوله أو منابعه. فالرحالة جيمس بروس الذى زار إثيوبيا عام ١٦٧٩ وزار مدنها الرئيسية مثل جندر وأكسوم التى وصف أثارها مال إلى اعتباره من أصول فرعونية فى هندسة البناء وغيرها بعدما عثر على مسلة صغيرة للاله حورس وعلى قازات فرعونية، ولاحظ أن المراكب والقوارب فى بحيرة تانا من أصول فرعونية أيضاً. أما المبشر سولت الذى زار

(١٨) سبق الاشارة إلى صور الاحتفال ببعضها فى الباب الأول، إلى جانب عيدى رأس السنة والصليب المقدس.

إثيوبيا بعده، فى القرن التاسع عشر، فقد سجل النقوش التى وجدها على آثار أكسوم وييها Yeha وردّها إلى أصول سبأية باعتبارها تماثل ما اكتشف فى جنوب غربى الجزيرة العربية (اليمن وجوارها). ويتفق هذا مع ما يردده مؤرخو الفن من أن الفن الإثيوبى كان فى البداية استنساخاً للفن السبأى الذى يشاهد بوضوح فى الآثار الموجودة عند ييها وآزبى، ثم جاءت فترة من ستة قرون (القرن الثانى ق م – القرن الرابع ب م) حدث خلالها تلاقح وتمازج بين ما هو سامى الأصل وما هو حامى فى بيئة جغرافية عظيمة التنوع جماداً ونباتاً وحيواناً وانساناً، فبرزت روح إبداع وخلق جديدة عبرت عن نفسها فى شمال إثيوبيا فى ميل عام نحو الضخامة مع المهارة الهندسية. فأقامت المسلات التى تشتهر بها أكسوم والتى وصل وزن بعضها إلى ٤٠٠ ـ ٥٠٠ طن وارتفاعه إلى ٥٠ قدماً، والقصور، والقلاع الضخمة،كما ظهر ذوق خاص نحو تصاميم زخرفية تراعى التناسب والتناسق والخطوط وأشكال خاصة من الهندسة المعمارية.

ثم تأثر الفن فى بداية عهد الكنيسة بأعمال لفنانين أقباط وسريان وهو ما كان يرى واضحاً فى جداريات أول كنيسة شيدت فى أكسوم فى القرن الرابع أو الخامس، ومن وقتها بدأ تزيين الكنائس بلوحات القديسين والعائلة المقدسة. وعاد هذا التأثير فظهر فى عهد لاليبالا (١٩) فى القرن الرابع عشر حيث تمثله كنيسة العذراء مريم بالقرب من مدينة لاليبالا بأقليم لاستا فهى مزينة بموضوعات من الفن القبطى فى السقف والحنيات والأقواس، تعود إلى فترة الفاطميين بمصر، نفذها أقباط من الرهبان والعلمانيين الذين لجأوا إلى إثيوبيا فى عهد الحاكم بأمر الله. وساهموا أيضاً، كما تؤكد بعض المصادر، فى تشييد الكنائس المنحوتة فى مدينة لاليبالا سواء بالمشورة أو بالهندسة والتنفيذ. فقد تم اكتشاف مقبرة فى المنطقة عام ١٩٩٩ – كما ذُكر لى – تضم بقايا عظمية يُعتقد أنها لمجموعة من الأقباط جاءوا إليها وأعجبوا بجمالها واستقروا فيها وساهموا فى بناء كنائسها العجيبة الأحد عشرة. وهى ليست كهوفاً فى بطن الجبال بل كانت ترسم على سطح الأرض الصخرية ثم تقطع وتحرر مما حولهامن صخر بأخاديد عميقة ويجرى تفريغها وتشكيلها كمبنى كنسى بالتصميم المطلوب دون أية عمليات بنائية. وأضخم هذه

(١٩) زار لاليبالا الأراضى المقدسة وطور علاقته مع مصر، واستطاع دعوة معماريين مهرة من مصر وسوريا لمساعدته فى تحقيق مشروعه الضخم وهو نحت أحد عشرة كنيسة فى الصخور الصلدة، تقارن أحياناً بمعابد "أبو سمبل" المنحوتة فى الصخر، وتوحى أيضاً بأجواء معابد قدماء المصريين.

الكنائس وأجملها كنيسة "مدهن ألم" (مخلص العالم). أما أقدسها فكنيسة "الجلجثة" وبها قبر الملك لاليبالا، وأدهشها كنيسة "جورجيوس" وهى على شكل صليب يونانى. ونفذت نقوش هذه الكنائس سواء كانت زخارف أو رسومات هندسية أو صور بالنحت بالأزميل فى الصخر مما دلل على عبقرية جديدة، إثيوبية بالأساس، تمتلك المهارة الفنية والتقنيات الأنسب لأمة جديدة أقامت ما يعتبره الأثريون من أنفس وأعظم الإنجازات المعمارية الكنسية فى كل أجيال التاريخ المسيحى. وتنتشر الكنائس المنحوتة فى الصخر فى شمال إثيوبيا من غرب أديس أبابا وحتى إريتريا شمالاً، وسبقتها مرحلة تحويل الكهوف إلى كنائس ببناء حوائط عند مداخلها وتنسيقها داخلياً بالحفر أو بناء الجدران.والمعروف أن الكنائس الإثيوبية المبنية هى أيضاً ذات معمار فريد، فهى دائرية تأثرت كما يقال بنظام بناء خيمة الاجتماع الإسرائيلية وإن كان تأثرها الأكبر يعود إلى البيئة فبيوت الهضبة التقليدية دائرية بأسقف من القش. ومنها أيضاً المثمن بأضلاعه الثمانية. وجميعها مقسمة من الداخل إلى ثلاثة أجزاء دائرية حول مركزها حيث يقوم " تابوت" الكنيسة على المذبح فى الدائرة المركزية التى تسمى مقدس (قدس الأقداس) بأبوابها الثلاثة، ولا يدخلها إلا القساوسة والشمامسة الخادمون. تليها الدائرة الوسطى "قدست" للإكليروس غير الخادم والشعب المتقدم للأسرار المقدسة، والدائرة الخارجية وتسمى "قينى مهليت" وهى للدبترا المرتلين والمصلين من الشعب. وفناء الكنيسة يعتبر جزءً منها إذ يغص بالمصلين. وكانت كنيسة "مكان سلاسى" قبل أن يدمرها الإمام الأعسر، من أكبر وأجمل الكنائس المستديرة يرتفع وسطها المذبح وقد غطته أقمشة مزركشة منسوجة بخيوط الذهب الوهاج.

ويقرر مؤرخو الفن الإثيوبى أن تأثره بأى فن أجنبى كان عادة يدوم لفترة وجيزة إذ سرعان ما يستوعبه خلالها فى سماته الأصيلة. ولعل هذا الواقع يعلل ضعف تأثير الفن القبطى، أو حتى غيابه، رغم علاقة الكنيستين والشعبين الطويلة والتى تجاوزت ستة عشر قرناً. ولقد جاء الفنانون الأوربيون إلى إثيوبيا، أحدهم من فلورنسا عام ١٤٠٢، وآخر عام ١٤٥٢ عاش فى البلاد أربعين عاماً وهو نيكولاوس برنكاليونى الڤينيسى الذى أدخل الأيقونة اليونانية الإيطالية والذى عهد إليه الأباطرة تزيين جدران كنائس عدة منها كنيسة "جنتاجورجيوس" التى كانت جدرانها مقسمة بانوهات Panelled وتغطى اللوحات الزيتية كل أجزائها الداخلية، وأعمدتها الستة والثلاثون مدهونة بدقة وأبوابها مغشاة برقائق الذهب. وهو معروف بلوحة للعذراء مريم وهى تحمل الطفل على ذراعها الأيسر وفقاً للأسلوب

الغربى، والتى أثارت زوبعة بين الرهبان الإثيوبيين.ولكن تأثيرهما وتأثير غيرهما من الجيزويت لم يدم طويلاً إذ نهض الإثيوبيون فى القرن السادس عشر يدافعون عن فنهم الإثيوبى بملامحه "المصرية" وبالوجوه شبه المستديرة والبيضاوية والعيون الواسعة، ضد الصور التى أدخلها الجيزويت وغيرهم واعتبرت أجنبية غريبة بل وهرطوقية. وبمرور الوقت ظهر نوع من التوازن بين مختلف المؤثرات، كما ظهر نمط جديد قريب من المألوف عند الغربيين مثل اللوحات التى تزين كنيسة القديس أنطونيوس بجندر.

على أن الفنانين الإثيوبيين المعاصرين يتمسكون فى أعمالهم بأصول فن إثيوبى متميز فيه أصالة ونضارة وقوة، تظهر فيه العائلة المقدسة وجميع الرسل والقديسين بوجوه إثيوبية وبعيون واسعة براقة، ويراعون التقليد الإثيوبى بأن تكون وجوه القديسين كاملة وبألوان فاتحة أما غيرهم فبوجوه جانبية (بروفيل) وبألوان داكنة. ويستلهمون فى زخارفهم طبيعة بلادهم الغنية التى تتضوع بكل صور الجمال يرسمونها بألوان قوية زاهية فيها الأحمر والذهبى والأزرق اللازوردى على أرضية يغلب عليها اللون الأزرق، ويشيع فيها الانسجام والتناغم اللونى مع ضوء كثير. وهذه الألوان ليست محصورة فى الصور والرسومات والجداريات بل وفى الأثواب والحلل الفاخرة والمشغولات والحلى الذهبية والفضية والانتاج السياحى من تحف معدنية وخشبية وغيرها.

واهتم الفن الإثيوبى بالمخطوطات التى كتبها على الرّق Parchment، ويوجد آلاف منها من القرون الماضية محفوظة فى أديرة إثيوبيا وإريتريا ومتاحف أوروبا. وكلها دينية حتى عندما تشير إلى أمور تاريخية أو اقتصادية. وقد تفنن الراهب الفنان فى كتابتها بخطوط جميلة رائعة مع استعمال الفواصل التجميلية بين الفصول أو الإصحاحات، كما تفنن فى تجميلها إلى أبعد الحدود مستعملاً الألوان القوية الزاهية، فخصص المداد الأحمر لكتابة السطرين الأولين من كل فصل ولأسماء يسوع ومريم والملائكة والقديسين، والمداد الأسود لبقية السطور. وتتميز المخطوطات بوفرة الصور الصغيرة التى تمثل مختلف الحقب وبالأشكال الهندسية المتعددة، وبأشخاص وحيوانات فى حركات درامية مرسومة بألوان زاهية كالأحمر القانى والأصفر والأخضر والأزرق. وتزين بعض مخطوطات القرون الوسطى صور للوحات والجداريات التى كانت تزين الكنائس المشهورة التى دمرت وللفرسكو الذى كان مصدراً لإعجاب من شاهدوه وكتبوا عنه.

وتمثل العملات الأكسومية التى بدأ سكها أوائل الألفية المسيحية الأولى لوناً آخر من الفن الإثيوبى تميز بالمهارة والتقنية. ومنها ما حمل صوراً لأباطرة تبدو حقيقية ورموزاً للمعتقد الدينى السائد. وحظى الصليب بلمسات فنية وتتباين تصميماته حسب أقاليم الإمبراطورية، ومن أشهرها الأكسومى والجوندرى والجودچامى. وهو أيضاً من ثلاثة أنواع رئيسية: ما يلبسه الشعب وما يحمله الكهنة وما هو مخصص للاحتفالات الكبيرة.

ـ ٢ ـ

أزمات الكنيسة

تعرضت الكنيسة الإثيوبية فى العصور الوسطى لهزتين عاتيتين ستأتى تفاصيلهما فى الفصل التالى الخاص بالصراعات الإثيوبية. كانت الأولى فى النصف الأخير من القرن العاشر على يدى الملكة يوديت اليهودية التى حولت أكسوم إلى ردم ودمرت الكنائس والأديرة دون تمييز وطاردت رجال الدين المسيحى وقتلت منهم جمعاً كبيراً، وإن استطاع الكهنة والشعب تهريب تابوت العهد إلى جزيرة فى بحيرة زواى بإقليم شوا ثم أعادوه إلى مكانه بأكسوم بعد عودة السلام.

ووقعت الهزة الثانية فى النصف الأول من القرن السادس عشر بقيادة الإمام أحمد الغزالى الملقب بالأعسر ، وكانت هجمة أشرس وأشد ضراوة كادت تقضى على المسيحية فى إثيوبيا قضاء مبرماً فتلحق بالنوبة التى اختفت المسيحية منها بأسلوب متدرج خلال القرن نفسه وما قبله.

وجاء عقد السبعينيات من القرن العشرين بأوضاع سياسية هزت مركز الكنيسة بصورة مختلفة حين قام الحكم الشيوعى عام ١٩٧٤ بعد انقلاب عسكرى ضد الإمبراطور هايل سلاسى الأول، قضى على العرش والنظام الامبراطورى وأقام الجمهورية الشعبية الديمقراطية بقيادة منجستو هايل مريم [٢٠]. فقد قبض على

(٢٠) بدأ بانقلاب عسكرى دموى فى ١١ سبتمبر ١٩٧٤ (رأس السنة الإثيوبية) أطاح بالإمبراطور وبأسرته وبنظامه ورجالاته. ويومها سجن من سجن وقتل من قتل واختفى من اختفى. وكان على رأس الانقلاب ضابط مغمور اسمه منجستو قيل إنه ابن غير شرعى.وتضاربت الآراء حول أصوله العرقية، وإن قيل إنه "وولامو أو كوراجى"، وأن أباه كان أحد الخدم فى القصور الإمبراطورية. وفى خلال سنة من الانقلاب استطاع أن يتخلص من زملائه قادة الانقلاب بالتصفية وكان من أبرزهم الجنرال ملس عندوم الذى كان من المعتدلين. وانفرد هو بالسلطة.

الإمبراطور (٢١) العجوز رأس الكنيسة الإثيوبية ووضع فى سيارة ڤولكيس واجن صغيرة بين جنديين، وطافوا به فى شوارع أديس أبابا العاصمة حيث تجمّع الصبية والمأجورون ليقذفوه بأوسخ الألفاظ وعبارات السخرية، وهى نفس الشوارع التى كان يمر فيها بسيارته الإمبراطورية فى بطء، يتقبل تحيات شعبه على الجانبين، ويقف بين الفينة والفينة ليستمع لشكوى متضرر أو يتقبل مكتوباً من صاحب حاجة.

وكان منجستو يعى منذ الوهلة الأولى أن معركته الحقيقية هى مع الكنيسة الأرثوذكسية بقوتها الشعبية وثقلها التقليدى التاريخى. فهادنها فى البداية بأمل أن يقص أجنحتها ويضعفها من الداخل دون مواجهة حادة تثير حفيظة الشعب ضده. وأصدر قرارات ملزمة تحت طائلة العقاب الشديد كان من شأن تنفيذها إبعاد الشعب عن كنيسته، مثل حظر التجوال من منتصف الليل حتى السادسة صباحاً، ومنع قيادة السيارات بكافة أنواعها طوال أيام الآحاد، وعقد الاجتماعات السياسية الجماهيرية صباح الآحاد فى ميعاد الخدمة الكنسية، وتنظيم فصول عقائدية وحملات ضد التعاليم والممارسات الدينية المسيحية والإسلامية. وجاءت النتائج عكسية فالشعب لم يتوقف عن الذهاب إلى الكنائس، ولجأ أصحاب السيارات إلى المشى على الأقدام فى الساعات المبكرة، وتزايدت أعداد الحاضرين بصورة لافتة، وزاد عطاء الشعب المالى والعينى لكنائسه التى ينتمى إليها. فى الوقت الذى تجاهل فيه اجتماعات الحزب الشيوعى غير عابئ بالتهديد أو العقاب.

(٢١) سجن وبعد عملية جراحية (البروستاتا)أجريت له فى منتصف عام ١٩٧٥ أعلن إنه مات فى ٢٠/ ٨/ ١٩٧٥ . والواقع أنه قتل بالسم بخنقه بوسادة مغمورة بالإثير وأخفيت جثته. واتضح فيما بعد أنها دفنت فى مرحاض تحت مكتب منجستو بالقصر الإمبراطورى الجديد الذى كان يعرف بقصر اليوبيل إذ تم تشييده بمناسبة اليوبيل الفضى لجلوس هايل سلاسى على العرش. وحوله منجستو إلى مقر الحكم الجديد وأطلق عليه اسم القصر الوطنى.ويبدو أن النظام تعمد إسدال ستار الكتمان حوله ولم يسمح بمكان معروف لدفنه حتى لا يصبح مزاراً للشعب ويتحول هو إلى شهيد فقديس، لأنه كان يدرك مدى شعبيته خاصة بين العامة الذين كانوا يجدون طريقهم إليه ويقضى لهم حاجاتهم ويوقفون أحياناً موكبه فى الطرقات لتقديم طلباتهم. وفى مصر عبر الشعب القبطى عن حزنه لرحيله وأقام قداسة البابا جنازاً فى الكاتدرائية المرقسية صلى فيه على روحه وأبنه قائلاً "إن العالم لم يعرف إنجازات هذا العاهل العظيم الكبيرة والمشرفة، ولكن الزمن سيسجل تاريخ إثيوبيا المجيد تحت حكم هايل سلاسى الذى أثر تأثيراً بعيد المدى ليس فقط فى إثيوبيا بل وفى قارة إفريقيا العظيمة،،

- وفى نوفمبر ٢٠٠٠ دفن رفاته فى احتفال جنائزى مهيب رأسه البطريرك أنبا پاولوس بحضور الإكليروس ورجالات البلاد وجماهير الشعب الغفيرة.

ولم تمض شهور قليلة حتى بدأ الحكم يكشر عن أنيابه، فركزت أبواقه على الدعاية ضد الكنيسة والتنديد بأخطائها وانحرافاتها، والهجوم عليها باعتبارها صنيعة العرش وحليفة الحكم الإمبراطورى الاستبدادى. وهاجمت البطريرك أنبا ثاوفيلس حين عجز النظام الجديد عن احتوائه وضمان ولائه. وقبض عليه فعلاً فى ١٧/ ٢/ ١٩٧٦ ومعه عدد من الأساقفة والكهنة النشيطين. ووضع فى حبس إنفرادى فى القصر الوطنى (الإمبراطورى سابقا) . ومع أنه تمكن من الهرب فى اليوم التالى ليلاً ولجأ مشياً على الأقدام إلى كنيسة الملاك جبرائيل بضاحية "جوفا" بالعاصمة فقد أعيد القبض عليه وربطت يداه وقدماه وظل على هذه الحال أربعة أيام فى سجن انفرادى. ثم نقل إلى عنبر يضم المعتقلين من رجال الدولة السابقين. وظل صائماً بعد القبض عليه فى الكنيسة قرابة أربعين يوماً إلى أن أقنعه زملاؤه فى المعتقل بإنهائه. وأخضع لتعذيب مستمر بواسطة الماجور "سيمى" الذى دأب على أن يناديه باسمه الرهبانى "ملاكتو" (٢٢) ويطالبه بالتوقيع بهذا الاسم على أوراق مختلفة منها وثيقة بالتنازل عن كرسى البطريركية. ثم شكل النظام جبهة من الإكليروس معارضة له أخذت تهاجمه فى الصحف والإذاعة وبالنشرات، وتوجه إليه العديد من الاتهامات وتطالبه بالتنحى من أجل صالح الكنيسة. وانتهى الأمر بإعدامه فى ١٤/ ٧/ ١٩٧٩ فى دار للرأس

(٢٢) ولد فى ٢٤/ ٤/ ١٩١٠ فى منطقة دابرا إلياس بجودجام وترهبن في دير تكلاهيمانوت بدبرالبانوس باسم الأب ملاكتو. وكان واحداً من عشرين من علماء الكنيسة (ليكاونت) الشبان اختارهم الإمبراطور عام ١٩٤٢ ليلتحقوا بمدرسة القصر اللاهوتية لتعليم اللغات. وانتقلت هذه المدرسة فيما بعد إلى مقر كلية سلاسى اللاهوتية بجوار كاتدرائية سلاسى (الثالوث) فى أرات كيلو حين افتتحت فى ديسمبر ١٩٤٤ . ورفع إلى رتبة ممهر (أستاذ) ثم إلى رتبة ليكاسلطنات (رئيس سلطة) عام ١٩٤٣ وصار رئيساً لكاتدرائية سلاسى. واختير للأسقفية مع آخرين ورسمه البابا يوساب باسم أنبا ثاؤفيلس فى ٢٥/ ٧/ ١٩٤٨ وصار أسقف إقليم هرر ثم نائباً للبطريرك عام ١٩٥٩ إلى أن اختير للبطريركية ورسم لها فى ٩/ ٥/ ١٩٧١ ورسمه أنبا أنطونيوس مطران سوهاج وقائمقام البطريرك فى كاتدرائية سلاسى بأديس أبابا. وفى مدة حبريته رسم ستة أساقفة عام ١٩٧٢ وثلاثة عام ١٩٧٥ من بينهم أنبا باولوس البطريرك الحالى. وكان دائماً موضع ثقة الإمبراطور.

● وقد درسته خلال السنة الدراسية ٤٥/ ١٩٤٦ وكان يحيطنى بعطفه واهتمامه. وحدث بالصدفة أن سافرنا على طائرة إثيوبية واحدة متوجهة إلى القاهرة عام ١٩٤٨ وحطت فى مطار الأقصر حيث كان ينتظرنى وفد من شعب أرمنت ونزل نيافته وقضى ساعة فى حديث ودى معهم.

كاسا ودفن فى ساحتها. وظل الشعب يجهل نهايته هذه طوال إثنتى عشر عاماً أى حتى سقوط النظام الماركسى فى مايو ١٩٩١ . وفى ظل الحكم الجديد بدأ محبوه البحث عن قبره قرابة عام ولكنهم عجزوا عن الوصول إليه. وحدث أن اتصل أحد الأطباء "براديو إثيوبيا" وزوده بمعلومات عن مقبرته مما ساعد الباحثين على العثور على رفاته فى ٣٠/ ٤/ ١٩٩٢ ودفن فى ١/ ٥/ ٩٢.

وصادر النظام أملاك الكنيسة من عقارات وأراض زراعية وغيرها، وأغلق كلية سلاسى اللاهوتية عام ١٩٧٦ وشتت طلبتها وبدد مكتبتها وحولها إلى كلية علوم للبنات. وفعل الشئ نفسه مع مدرسة پاولوس الإكليريكية. وواصل عمليات قمع رجال الإكليروس وقيادات الأديرة، وأحال عام ١٩٨٠ كبار السن من المطارنة إلى المعاش وعين محلهم شباباً يتفقون مع توجهاته. ولم تسلم الإرساليات من تصرفاته التعسفية.

ونشطت كوادره وتنظيماته فى نشر الأفكار الماركسية بين الشعب فى كافة أرجاء البلاد بقصد تحويله عن إيمانه،وذلك بالدعاية المركزة فى وسائل الاعلام الموجه، وبعقد الندوات والدورات التثقيفية والاجتماعية الثابتة صباح أيام الآحاد، وبأساليب غسل المخ وعصف العقل وبالقهر أيضاً، لدرجة أن أعوانه كانوا ينزعون عن أعناق الصغار الصلبان التى كانت توضع حول أعناقهم بعد العماد لتبقى حتى الممات، وتعرف فى الأمهرية باسم "ماتب".

ورغم كل هذا لم يستطع النظام تغيير شئ يذكر من عادات الشعب وسلوكه الدينى أو من شعائره الكنسية واحتفالاته الموسمية التى نشأ فيها وعليها. وعلى العكس فقد اكتظت الكنائس بالمصلين وانتعشت الحياة الدينية كجزء من المقاومة ضد النظام، ونشطت حركة بناء الكنائس بأموال الشعب فتم بناء تسعة وثلاثين كنيسة جديدة فى منطقة أديس أبابا

الكبرى وحدها خلال السنوات الأخيرة من نظام منجستو قبل سقوطه [٢٣] وكانت غالبية الكنائس قبل سقوط النظام الإمبراطورى تبنى بأموال الأباطرة والأمراء فى أنحاء البلاد.

ولا جدال فى أن النظام الماركسى الذى استمر فى الحكم قرابة سبعة عشر عاماً قد ترك بصمات عدة على حياة إثيوبيا الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب السياسية. فقد تفكك النظام الاقطاعى أو كاد خاصة بعد إقصاء الأسرة المالكة والرءوس والنبلاء وكبار الملاّك، ومصادرة أملاكهم وأملاك الكنيسة وإعادة توزيع معظمها، فاستفادت بعض طبقات الشعب الدنيا، وكان الأورومو (الجلا) على رأس المستفيدين، فقد جرى كما قيل قهرهم وإخضاعهم بعد حروب طويلة وضع منليك الثانى نهاية لها وضم أراضيهم إلى أملاك العرش. وتقلصت إلى حد ما الفوارق الطبقية المتزمتة، وطفت إلى السطح بعض العرقيات والطبقات التى كانت فى القاع. وشاعت أيضاً بعض مظاهر العلمنة والتحرر فى العلاقات والسلوك العام. وانتشر مثلاً لبس البلوچين والتى شرت بين الشباب على حساب اللباس الوطنى، واعتبر ذلك من مظاهر الخروج على التقاليد والمألوف. وأغلق النظام بيوت الشراب "ططج بيت" التى كانت تديرها النساء لأعمال الدعارة، والتى كانت تنتشر فى المدن وتتميز بعناقيد الخرز التى كانت تتدلى على أبوابها وبأنوارها الحمراء ليلاً، وكانت حقا سبة فى

(٢٣) عرف منجستو بتشدده العقيدى اليسارى وبغلو فكره وممارساته الماركسية حتى قيل إنه كان ماركسياً أكثر من ماركس. واستمر نظامه حتى مايو١٩٩١. فقد تحالفت ضده عناصر يسارية أخرى أغلبها من التيجريين والإريتريين والأورومو (الجالا) وزحفوا بميلشياتهم من الشمال الشرقى والشرق واستمرت المعارك بضعة شهور انتهت بسقوط العاصمة وفرار منجستو وأعوانه إلى زيمبابوى حيث استقروا وحصلوا على حق اللجوء السياسى. كما هرب البطريرك مرقوريوس بطريرك إثيوبيا الرابع الذى اختاره منجستو إلى كينيا ومنها إلى الولايات المتحدة حيث يروج أنه البطريرك الشرعى. وكان سقوط هذا النظام متوقعاً بعد ما حل بنظم أوروبا الشرقية الأمر الذى دلل على أن النظم الشمولية وذات الحزب الواحد لم يعد لها مكان فى عالم اليوم.

- والنظام الحاكم الجديد اضطر إلى التخفيف من توجهه اليسارى بعد الذى أصاب الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام العالمى الجديد. ويعلن إنه علمانى ديمقراطى يقف موقف الحياد من الدين. وأقام حكماً فدرالياً يعترف بأن إثيوبيا تتكون من شعوب وأجناس مختلفة، وصار بمقتضاه لكل شعب أو جنس إقليمه وبرلمانه المحلى وحقه فى استعمال لغته الخاصة وتعليمها فى مدارسه إلى جانب الأمهرية، بل ومن حقه حسب الدستور الجديد تقرير مصيره إلى حد إعلان الانفصال، وهذا ما يخيف عدداً من شعوب البلاد كالأمهرا والجودجامى والجندرى ويعتبرونه دعوة لتفكيك إثيوبيا الحديثة التى بنى صرحها الأباطرة العظام، يوهنس الرابع ومنليك الثانى وهايل سلاسى الأول.

جبين المجتمع الإثيوبى. وأقبلت على أعمال التجارة جماعات مثل الأمهرا كانت تأنف منها باعتبارها نشاطاً تحف به شبهات الغش والاستغلال. وكان تفضيلها يتجه إلى واحد من ثلاثة هى العسكرية والكهنوت والفلاحة.

وبعد ما اعتقل النظام أنبا ثاوفيلس اتجه منجستو إلى الكنيسة القبطية يحاول الحصول على موافقتها وتواجدها فى الاحتفال بتنصيب بطريرك جديد. وكان هذا محاولة منه لإضفاء الشرعية على ما يقوم به خلافاً للتقاليد الكنسية،واحتفاظاً بالشكليات لضمان سيطرته على شئون الكنيسة وأنشطتها واحتوائها ضمن نفوذ وسيطرة النظام الماركسى. وأدان المجمع المقدس القبطى فى القاهرة فى انعقاده ١٤/ ٨/ ١٩٧٦ عملية القبض على البطريرك ثاوفيلس، كما أدان انتخاب بديل له باعتباره غير قانونى إذ لا يتفق والقانون الكنسى الذى بمقتضاه لا يعزل بطريرك إلا بقرار من مجمع مقدس وبعد تقديم دفاعه أمامه. وتمسكت الكنيسة القبطية، بقيادة قداسة البابا شنودة، بالتقاليد الكنسية المرعية التى لا تسمح برسامة بطريرك جديد إلا بعد نياحة سلفه. ولهذا أصرت على معرفة مصير أنبا ثاؤفيلس أولاً. وهو موقف سليم من جانب كنيسة مصر لم تتحول عنه وشاركتها فيه كنائس الأسرة الشرقية وكنائس أخرى. وأدى هذا الموقف المبدأى بديهياً إلى غياب الكنيسة عن الساحة الإثيوبية (٢٤) وعما يجرى فى كنيستها طوال فترة الحكم الماركسى.

وقرر النظام أن يتحرك غير عابئ بموقف الكنيسة القبطية، وأسند مهمة شغل الكرسى البطريركى إلى أنبا يوهنس القائمقام. فاجتمع المجمع المقدس الإثيوبى برئاسته فى مايو

(٢٤) تردد آنذاك أنه كان بإمكان الكنيسة القبطية أن ترسل بعثة حسن نوايا وصداقة تعمل فى الوقت نفسه على تقصى الحقائق وتوضيح موقفها للسلطات بأمل الوصول إلى قرار مناسب.

+ ومن أعجب التعليقات التى سمعتها حول موقف الكنيسة القبطية هذا ما قاله أحد الأساقفة الإثيوبيين فى اجتماع لمجمعهم المقدس دعانى قداسة البطريرك أبونا پاولوس لحضوره فى ٢٧/ ١/ ١٩٩٣، فقد قال: "لقد ركزت الكنيسة القبطية على أمر واحد وهو التأكد من وفاة أنبا ثاوفيلس. ولكنها لم تهتم قط بمساعدة الكنيسة الإثيوبية فى محنتها والوقوف بجانبها فى الظروف القاسية التى كانت تمر فيها. واتصال الحكم الماركسى بها فيما يتعلق بموضوع رسامة بطريرك جديد كان بإمكانها استغلاله لكى ترسل الخدام والمعلمين لمساندة القائمين على الكنيسة، يحملون معهم المساعدات ولو بعض الكتب النافعة وأوانى الخدمة الكنسية.

وكان ردى: ماذا كنتم تقولون الآن لو أنها فعلت ذلك فى حينه؟ أكنتم تتهمونها بالتعاون مع خصوم الكنيسة الإثيوبية؟!

١٩٧٦ وشكل لجنة مؤقته من ثلاثة عشر عضواً من بينهم أربعة أساقفة لتشرف إشرافاً كاملاً على عملية انتخاب البطريرك الجديد. فقامت بوضع القواعد المنظمة للانتخابات، وأشرفت على توعية الشعب حول مواصفات البطريرك المطلوب على مدى شهرين. وفى الأسبوع الأول من شهر يوليو من العام نفسه عقد فى كاتدرائية سلاسى بأديس أبابا اجتماع موسع ضم أعضاء المجمع المقدس وأعضاء اللجنة المؤقتة و٨٠٩ مندوباً من إيبارشيات البلاد العشرة ومراقبين حكوميين لاختيار المرشح الأفضل للكرسى البطريركى. وفى اقتراع سرى وقع الاختيار على الأب ملاكو ولدميكايل رئيس كنيسة تكلاهيمانوت بدير منكيرات بمنطقة ولايتّا والذى سبق ورسمه المتنيح أنبا كيرلس كاهناً. وبعد أسبوعين من انتخابه رسم مطراناً باسم تكلاهيمانوت (١٨/ ٧/ ١٩٧٦) ثم جرى تجليسه بطريركاً لإثيوبيا فى ٢٩/ ٨. وفى مدة حبريته رسم ٢٨ أسقفاً ومطراناً لمواجهة احتياجات الخدمة والرعاية المتزايدة في الكنيسة. وتنيح فى ٨/ ٦/ ١٩٨٨ . وصار المطران أبراهام قائمقام البطريرك.

وخلفه فى البطريركية أبونا (أنبا) مرقوريوس البطريرك الرابع لإثيوبيا، وجرى تجليسه فى كاتدرائية سلاسى فى ٤/ ٩/ ١٩٨٨، بعدما تم انتخابه من بين ثلاثة مرشحين على غرار ما اتبع فى انتخاب سلفه. وكان واحداً من الأساقفة الذين رسمهم البطريرك تكلاهيمانوت عام ١٩٧٩ كأسقف لإقليم أوجادين فى شرقى البلاد.

وبعد سقوط الحكم الماركسى مباشرة (مايو ١٩٩١) اجتمع المجمع المقدس الإثيوبى فى ٢٦/ ٦/ ١٩٩١ وقرر تنحية البطريرك مرقوريوس بدعوى اعتلال صحته وعدم قدرته على القيام بأعباء مسئولياته، مع أنه كان قد غادر البلاد هربا مع رجال النظام البائد.ومع أن الأسباب الحقيقية لتنحيته لم تعلن فالواضح أن النظام الجديد لم يشأ أن يبقى فى هذا المركز الحساس رجل تم اختياره وتنصيبه فى العهد الذى سبقه والذى حاربه بقوة السلاح.

وأسند المجمع المقدس القائمقامية لإثنين من الأساقفة هما أبونا (أنبا) أبراهام وياكوب. وتكررت عمليتا الترشيح والانتخاب لمنصب البطريرك بالأسلوب السابق، وتم اختيار أنبا پاولوس بطريركاً فى ٥ يوليو ١٩٩٢، وبعد أسبوع جرى تجليسه فى كاتدرائية سلاسى

(١٢ يوليو) كالبطريرك الخامس لإثيوبيا (٢٥). والأنبا پاولوس واحد من الأساقفة الذين رسمهم البطريرك ثاوفيلس فى سبتمبر ١٩٧٥. وبعد سنة من رسامته اعتقله النظام الماركسى وظل ست سنوات معتقلاً، ثم نفى عام ١٩٨٤ إلى خارج البلاد، واستقر فى نيويورك يخدم فى كنائس الجاليات الإثيوبية حتى استدعاه المجمع المقدس فى أكتوبر ١٩٩١ ليرشح نفسه بين المرشحين للبطريركية. ويبدو أن رسامته لم تلق الترحيب الواجب من فريق من الإكليروس ومن قطاعات من الشعب وخاصة بين الأمهرا. ويعود ذلك بالأساس إلى أنه من أصول تيجيرينية وهى نفس الأصول العرقية التى ينتمى إليها النظام الحاكم الجديد. ويعتبره معارضوه "رجل السلطة" القائمة (٢٦). ومن بين منتقديه من يرى أن تعليمه العالى وفى أمريكا بالذات جعله بعيداً عن قطاعات من الشعب تفضل الرجل التقليدى البسيط. وقد عبر لى عن هذا الرأى مطران هو نفسه من أصول تيجرينية وقد تعلم فى إكليريكية القاهرة وعاش زمناً فى الأديرة القبطية.

وبعد استقرار الأمور نسبياً فى البلاد وفى الكنيسة بدأ البطريرك ومعه المجمع المقدس جهوده لاسترداد بعض أملاك الكنيسة التى صادرها النظام السابق حتى تجد الكنيسة المصدر المالى الذى يساعدها على مواصلة خدماتها وأنشطتها. وأظهرت الحكومة تجاوبها وبدأت بتقديم مساعدة مالية سنوية إلى حين تسوية قضية الأملاك التى تضم عقارات كبيرة متعددة تتمثل فى عمارات سكنية وإدارية ومحلات تجارية فى أديس أبابا وغيرها. وكلما استردت الكنيسة جزءاً منها خفضت الدولة مساعداتها المالية ومن ثم توقفت نهائياً عام ١٩٩٩.

(٢٥) بعد أن أتم دراساته الكنسية واللاهوتية التقليدية فى ثلاثة أديرة مهمة رسم راهباً باسم أبا جبرا مدهن. والتحق بكلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا عام ١٩٥٧. وقتها كنت نائباً للمدير، وكان واحداً من تلامذتى لمدة عامين. وكان طالباً نجيباً ملتزماً ومتحمساً للخدمة لهذا أرسله أنبا ثاؤفيلوس إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة فحصل على بكالريوس فى اللاهوت من جامعة ييل وحصل على الماجيستير من جامعة برنستون ثم دكتوراه فى الدراسات اللاهوتية منها أيضاً. وبعد عودته عينه أنبا ثاؤفيلس مديراً لإدارة الدراسات الإنجيلية والكرازية.

(٢٦) كأن البطاركة الذين سبقوه لم يكونوا كذلك. ففى العهد الإمبراطورى كان هايل سلاسى الأول هو المرجع الأساسى فى اختيار كل من باسيليوس أول البطاركة وثاؤفيلس. وفى العهد الماركسى كان منجستو هو المرجع بدليل أن المجمع المقدس نحى مرقوريوس الذى تمت رسامته فى عهده وبموافقته.

واهتـمت الكنيسة بمراكز التدريس الاكليريكى/ اللاهوتى فجددت مدرستها الإكليريكية المتوسطة المعروفة باسم "قدوس باولوس" بضاحية كولفـى وأعـادت افتتـاحها عام ١٩٩٣ . واستطاعت استرداد كلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا بعد تحـولها إلى كـلية للعلوم طوال ثمانى عشرة عاماً. وافتتحتها للدراسة فى أكتوبر ١٩٩٤ (٢٧). وتقبل الكلية (٢٨) الذين أتموا دراستهم الثانوية، وقبلها دراستهم التقليدية فى مدارس الأديرة ليكون الدارس جامعا بين ما هوللروح وماهو للعلم. وبها قسمان قسم للدبلوم ومدته سنتان زيدت إلى ثلاثة بتوصية منى لتخريج المساعدين فى أنشطة الكنيسة الإدارية والتعليمية، وقسم للبكالوريوس ومدته خمس سنوات. وتم تخريج أول دفعة بكالوريوس فى عهدها الجديد فى يوليو ١٩٩٩ ، وكان عدد الخريجين تسعاً وأربعين تم تعينهم جميعاً فى كنائس أديس أبابا وضواحيها كوعاظ ومدرسين للتربية المسيحية. فقد أصررت على تخصيص fund فى ميزانيتها لتغطية مرتب أى خريج كليا أو جزئياً إذا ما عجزت الكنيسة التى يعين فيها عن تغطيته خاصة فى كنائس الإيبارشيات. وأشرفت الكلية لسنوات ثلاث متتالية على برنامج دورى لتدريب الإكليروس والعاملين بالإدارات التربوية والتنموية والمالية بالايبارشيات الرئيسية مدته ثلاثة شهور ويتكرر ثلاث مرات فى العام واستفاد منه المئات. وتحول الآن إلى إشراف عدد من الإيبارشيات الرئيسية.

(٢٧) وقد وجه غبطة البطريرك باولوس رسالة إلىّ عن طريق سفير إثيوبيا بالقاهرة "أتو تشوما جوما" يدعونى فيها للانضمام إلى هيئة التدريس بالكلية ولأكون نائباً للمطران أبا جاريما الذى اسندت إليه رئاسة مجلس الكلية. وذهبت فعلاً وقضيت بها بضعة أشهر عام ٩٤/ ١٩٩٥ . وظللت أتردد عليها من آن لآخر للمساعدة فى التدريس والإدارة حتى عام ١٩٩٧حين أصرّ البطريرك على أن أتسلم الإدارة باعتبارى العميد الرئيسى "ونّا دين" لوجود مطران مسئول بها. وصرفت ثلاث سنوات فى هذه المسئولية. وكانت هذه أول مرة يتسلم قبطى هذه المسئولية منذ عام ١٩٥٤ حين انتهت مدة عمل المتنيح القس مرقس داود. فقد تناوب على إدارتها هنود وأرمنى حتى أغلقها النظام الماركسى. وقد بعثت بفاكس لنيافة أنبا موسى بأمر هذا التعيين الذى اغتبط له قداسة البابا شنودة حين علم به من نيافته. وقد كرست جهدى لخدمة الكلية الوحيدة من نوعها فى البلاد. فتطورت مناهجها وتضاعفت مساحة مكتبتها وأعداد الكتب والدوريات فيها. وتنوعت أنشطتها وتأسس فيها مسرح للدراما المسيحية وفتحت أبوابها لمختلف الأنشطة الكنسية والروحية بما فى ذلك مؤسسة مدارس الأحد. واستعادت جزءاً من أرضها المتاخمة لها تهيئة لإقامة عيادة متكاملة ومكتبة حديثة. وكنت أعتبرها الخيط الرفيع والوحيد الذى يربط بين الكنيستين. وكان أملى أن تحظى بدعم واسع من كنيستنا كى تنمو وتؤدى رسالتها الحيوية بصورة أكمل.

(٢٨) فى العام الدراسى ٢٠٠٠/ ٢٠٠١ أفتتحت الكلية اللاهوتية الثانية فى البلاد، وذلك فى ماكالى عاصمة إقليم تيجراى باسم "فرومنتيوس أبونا سلامة" تخليداً له وإحياءً لمدرسة افتتحها فى القرن الرابع.

وتتكون الكنيسة الإثيوبية من اثنتين وثلاثين إيبارشية إلى جانب سبعة فى المهجر. ويبلغ عدد مطارنتها وأساقفتها إثنين وخمسين من بينهم أسقف لإفريقيا هو أنبا بطرس درس فى الكلية الاكليريكية بالقاهرة أواخر السبعينيات. ويقدر كتاب أصدرته البطريركية حديثاً عدد مسيحيى إثيوبيا بأربعين مليوناً وعدد الكنائس والأديرة بثلاثين ألفاً وعدد الإكليروس بأربعمئة ألف. وعدد الكنائس الإثيوبية فى المهجر يتزايد، فلها كنائس فى الولايات المتحدة وترينداد وجاميكا وفى إفريقيا، أحدثها فى جوها نسبرج بجنوب إفريقيا كان لنيافة أنبا أنطونيوس مرقس أسقف عام شئون إفريقيا دور مشكور فى تأسيسها.

ـ ٣ ـ

وهناك **طريق تاريخى** طويل انطلق قروناً عبر الزمان وامتد لمئات الأميال عبر المكان، بدأ رحلته من منطقة ساحل البحر الأحمر فى الشمال والشرق، وسار متعرجاً عبر الهضبة الضخمة حيث ديار المسيحيين الإثيوبيين ومستقر المسيحية الأرثوذكسية. وهو بمثابة بانوراما كنسية قالوا فيه إنه مزدحم بالقرى والمدن و"مرصع" بالكنائس والأديرة التى تميزت مئات منها بالروعة وما حوته من كنوز ثمينة وذخائر من المخطوطات القيمة، وشهدت على عظمة الكنيسة الإثيوبية وحيوية شعوبها. وقد وصفه الراهب البرتغالى فرانسسكو الفارز Alvares (٢٩) أثناء زيارته لإثيوبيا ضمن بعثة برتغالية أوائل القرن السادس عشر (١٥٢٠ ـ ١٥٢٦)، قبل أن تمتد إليه يد التخريب والتدمير، وأكد أن ما شاهده فيه من أديرة وكنائس ضخمة فاق فى العدد ما كان يعرفه منها فى أوروبا، فحيثما ذهب المرء شاهد خمس أو ست كنائس وكل جبل يتوجه دير. وقد ضاع معظمه وإن بقيت منه آثار موضعه

---

(٢٩) وقد جمع هذا الوصف فى كتاب نشره فى لشبونه عام ١٥٤٠ وصار مصدراً مهماً وأساسياً لمعلومات عن كنائس وأديرة وقصور جرى تدميرها بالكامل بعد زيارته لها بسنوات قليلة. أما المصادر الأخرى فهى: (١) ما كتبه جوب لودولف Ludolf عن إثيوبيا التى لم يزرها ولكنه استقى معلوماته عنها على مدى عشر سنوات من الراهب جورجوريوس الإثيوبى. (٢) ما كتبه المستكشف الإسكتلندى جيمس بروس Bruce الذى قضى ثلاث سنوات فى إثيوبيا (١٧٦٩ ـ١٧٧٢) وإن افتقد الدقة فى وصفه للمعالم الإثيوبية. (٣) وصف تفصيلى لأكسوم أعده هنرى سولت Salt الذى زار إثيوبيا أوائل القرن التاسع عشر وبدأ فى أكسوم أول عملية تنقيب للآثار فى البلاد. (٤) تيودور بنت Bent الذى زار أكسوم ومنطقة يبها الأثرية. (٥) أما أول بعثة أثرية عملت فى أكسوم فكانت ألمانية بقيادة إنّو ليتمان Dr. Litman وبرعاية قيصر ألمانيا وذلك عام ١٩١٣، وسجلت كل النقوش التى وجدتها فى أكسوم وآثار يبها ودبرا دامو وبعض المناطق المجاورة. (٦) وعاصرتها بعثة أخرى باشرت حفائرها فى ميناء أدوليس.

● أسست الحكومة الإثيوبية معهداً للآثار عام ١٩٥٢ بتعاون فرنسى. وتوقف نشاطه بعد الثورة الماركسية. وعاد إلى نشاطه فى التسعينيات من القرن الماضى.

وكمزارات أو أطلاله أو أوصافه كما سجلها الذين شاهدوه. وينتظر بعضه الصدفة الطيبة لاكتشافه مثل دير دابراسيجى الذى اكتشف بالصدفة عند باراما فى أقليم وللو.

ولقد كشفت الحفريات الحديثة ثلاث كنائس مستطيلة بازيليكية الطراز لكل منها معموديتها عند موقع ميناء عدول (أدوليس) القديم نقطة البداية فى هذا الطريق التاريخى. وكانت أدوليس بوابة مملكة أكسوم القديمة التى ضمت إقليم تيجراى وامتداده شمالاً فيما يعرف الان بإريتريا التى تعتز بوجود دير دابرابيزان الذى يواجه عاصمتها أسمرة من جهة الشرق وينتصب كحصن منيع فوق تل منعزل. وقد أسسه الأب (أبّا) فيلبس تلميذ يواستاتيوس رفيق القديس تكلاهيمانوت وأدهش زائريه بتصميم بنائه وبلوحاته.

وتنتشر فى إقليم تيجراى العريق خرب مدنه القديمة، وهو مهد التقاليد الإمبراطورية والمسيحية الإثيوبية ويعتز بتاريخ كنائسه وأديرتها التى حظى بعضها بحياة طويلة كنواة ثقافية وبؤرة إشعاع روحى للبلاد. ويشقه **الطريق التاريخى** جنوباً إلى بلدتى توكندا وكوهايتو الواقعتين فى شماله حيث يمكن بصعوبه تبين أطلال كنائس بازيليكية بنيت على أرصفة صخرية وصفوف من الأعمدة المربعة. ثم يمر فى منطقة وعرة مشهورة بجبالها المخروطية شديدة الانحدار أطلق عليها الإثيوبيون اسم "أمبا" وتخيروها مواقع لبناء أديرتهم طلباً فى العزلة.هنا تقوم مدينة "ماترا" التاريخية التى يقع إلى الشرق منها دير دابر لبانوس القديم عند "هام" والذى أسسه أيام الإمبراطور جبرامسكل القديس لبانوس أو متى، الذى ذكر أن أنبا باخوميوس أرسله إلى إثيوبيا. وقد تقوى الدير بأملاكه وتراثه وكان ينافس دير دابرا دامو فى القرون الوسطى إلى أن دمر فى القرن السادس عشر. وتم الكشف فى المنطقة عن ثلاث كنائس بمعموديات عميقة، إحداها مكونة من ثلاث خوارس وكانت تتغذى معموديتها العميقة من خلال مجموعة جرار مستوردة.

وإلى الجنوب من "ماترا" يمر **الطريق** بديرين تاريخيين هما: (١) دير "جوندا جوندى" إلى الشرق فى وادٍ سحيق شديد الانحدار غير صحى، حماه موقعة من المغيرين والمخربين وظل حصناً للأرثوذكسية وأكبر مركز جهاد ضد الجيزويت، ويضم مجموعة ثمينة من المخطوطات نقلت إليه من أديرة أخرى لحمايتها. واحتفظ بكنيسته ذات النموذج المعمارى

الرائع للقرون الوسطى. (٢) دير دابرا دامو التاريخى ذو الشهرة الواسعة الذى بناه الأب أرجاوى أحد الرهبان التسعة وصار أعظم مركز ثقافى دينى فى القرون ١٤ ـ ١٦، وهو قائم على جرف (amba) مرتفع لايمكن الوصول إليه إلا من الجانب الشرقى بتسلق حبل طوله سبعة عشر متراً، وإن ذكر التقليد أن ثعباناً ضخماً كان يحمل القديس إليه على ذيله. وتم تجديده عدة مرات. وبنى الإمبراطور جبرامكسل كنيسة هذا الدير التى تعتبر من أقدم كنائس إثيوبيا، وجرى تجديدها عام ١٩٤٨ مع احتفاظها ببعض معالمها الهندسية وبسقفها الخشبى المقسم إلى بانوهات مربعة حفرت فيهاصور لأسود وجمال وأبقار الوحش وغيرها، وهى تمثل معمار كنائس أكسوم وزخارفها ذات الطابع القبطى.

وفى الطريق إلى أكسوم وإلى الشرق منها يمر الطريق ببلدة ييها القديمة حيث أقامت ملكة سبأ كما يقول تقليد أكسومى. وهى تعتبر من أقدم الأماكن المقدسة فى البلاد بمعبدها الذى يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد كما قدره الأثريون، ولم يبق منه إلا جزء من برجه وبعض الجدران وبقايا مذابح كرست لعبادة إله القمر سين وأشتار أو نورو. وحوله بعض المسلات.وعلى مقربة منه تقوم الكنيسة البيضاء الحديثة التى حلت محل القديمة التى كانت مكرسة لأبا أفتس Aftse أحد الرهبان التسعة والتى لم يبق منها إلا بعض كتل الحجارة التى تحمل نقوشاً بأشكال هندسية. وعلى بعد منها بقايا أعمدة ضخمة عالية كانت لبازيليكا قديمة من طراز كنائس كوهايتو.أما دير جاريما أحد الرهبان التسعة فيقع قريباً من مدينة عدوة ذات الشهرة التاريخية وبها كنيسة مستديرة "لمدهن آلم" سقفها من عيدان الغاب المجدول بتصميم متميز.

ولدى الاقتراب من مدينة أكسوم تطالع عابر الطريق كنيسة أبا بانتاليون البهية القائمة على جرف عالٍ. وأكسوم ذاتها لها مكانتها فى التاريخ الإثيوبى وعند الشعب الإثيوبى باعتبارها مدينة مقدسة وعاصمة مملكة أكسوم العريقة حتى القرن السابع الميلادى ومقر تتويج الأباطرة حتى القرن التاسع عشر، ومكان أول مطرانية لمطران المملكة الأول أنبا سلامة الأول الذى بنى فيها أول كنيسة أرثوذكسية لم يبق منها أو من غيرها شئ يذكر. وتشتهر المدينة بكاتدرائية "صيون مريم" (مريم صهيون) التى بناها الملك إيزانا فى القرن الرابع، وإن رجّح البعض أن بانيها هو خلفه الملك كالب، وهى قائمة على رصيف صخرى مرتفع فى موقع معبد قديم ترتقى إليها عدة درجات حجرية، وهو نمط تميزت به كنائس المدينة. وتشتهر بأنها المكان الذى يحتفظ فيه بتابوت العهد، والذى كانت تتوج فيه أباطرة إثيوبيا.

ووصفها الفارز بإسهاب وإعجاب قبل تدميرها عام ١٥٣٥ وأعيد بناؤها عدة مرات، والحالية أعاد بناءها الإمبراطور فاسيليداس عام ١٦٥٧ ورممها ياسو الثانى عام ١٧٥٠.

ولم يبق شئ من معابد أكسوم القديمة وقصورها إلا بعض الأطلال والعروش الحجرية وقواعدها. أما الخزفيات فمتعددة. كما ترى المسلات فى صفوف فى أنحائها، وكثير منها راقد على الأرض فى تجمعات بمختلف مناطق المدينة، وتتراوح بين جسم ضخم من الحجر الجرانيتى أشبه بالأبرة أعلاه بشكل مخروطى أو مستدير بما يشبه القوس الذى يشير إلى عبادة القمر والشمس التى كانت منتشرة قبل دخول المسيحية، أو جسم قصير رفيع من نفس الحجر. ولا يحمل أغلبها نقوشاً تذكر، ويعتقد إنها كانت مجرد نصب تذكارية، والأغلب إنها كانت بمثابة مدافن أو علامات لما تحتها من مدافن ولتقديم التقدمات للمتوفين. وبعض الراقد على الأرض ضخم تزن الواحدة مئتى طن ويزيد طولها على خمسين قدماً ومكونة من طبقات. ومما يذكر أن الامبراطور إيزانا سجل على بعضها حملاته العسكرية وانتصاراته.

ويتجه **الطريق** شرقاً من أكسوم صوب بلدة "ووجرو" حيث كنيستها المنحوتة فى الصخر بما فى ذلك مذبحها، ثم يتجول فى منطقة واسعة تمتد من ديرا مروراً بمدينة أزبى وحتى بحيرة أشانجى جنوباً تنتشر فيها صخور بنقوش ورسوم ملونة وآثار تعود للعهد السبأى لم يكتشف منها إلا القليل بواسطة بعض الأثريين الأجانب فى الخمسينيات من القرن الماضى، هى أربع طاسات ثلاثة منها من مصر الفرعونية، ومذبح بخور دشنه أحد ملوك أكسوم باسم "جدر" وتمثال صغير جالس على قاعدة مكعبة يمثل أحد الآلهة.

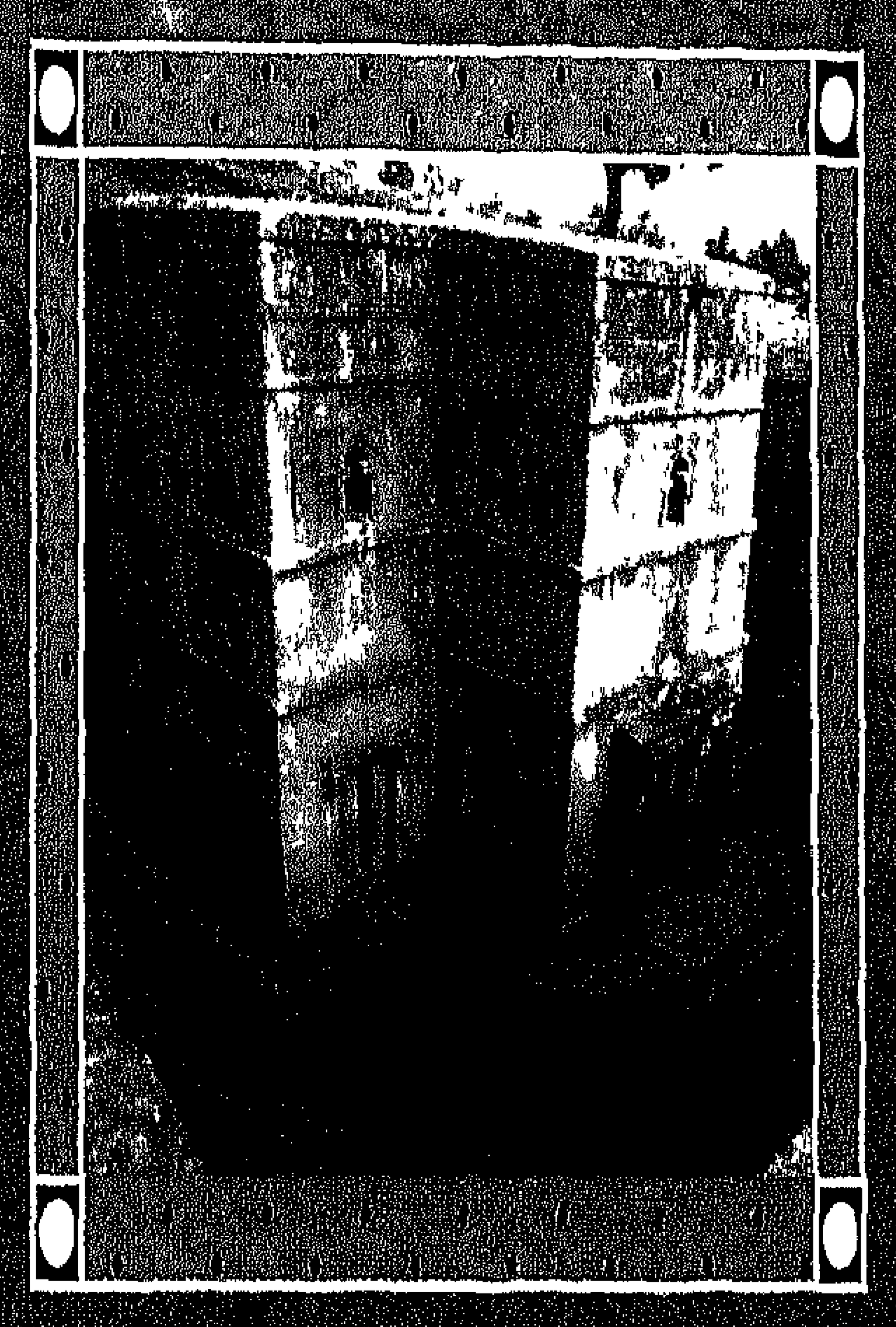
أما إلى الغرب فدير أبونا "هادير" فى مقاطعة تامبين، وتقوم بينه وبين جبال سميين الشاهقة أديرة "والديبا" المشهورة على أراضٍ منخفضة هى جزء من مستنقعات نهر تكازى الشديدة الحرارة والتى يصعب الوصول إليها. هنا يقيـم حـوالى ألفا راهب من النساك يحكم حياتهم نظام قديم يطاع بدقة، يعيشون بمقتضاه حياة النسـك والصلاة طوال حياتهم، ويمارسون الصمت وصوراً قاسية من قمع الجسد. وكان يقـصدها النـبلاء والكبراء إما للخلوة الروحـية أو طلباً فى اللجوء والحماية. ويقـوم دير أنـبا صـموئيل عند قويصة فى الجنوب أيضاً.



كنيسة سهاى مريم (مريم الشمس) أعلى جبل أنطوطو



كنيسة مرها كريستوس الجميلة مبنية داخل كهف فى الجبال



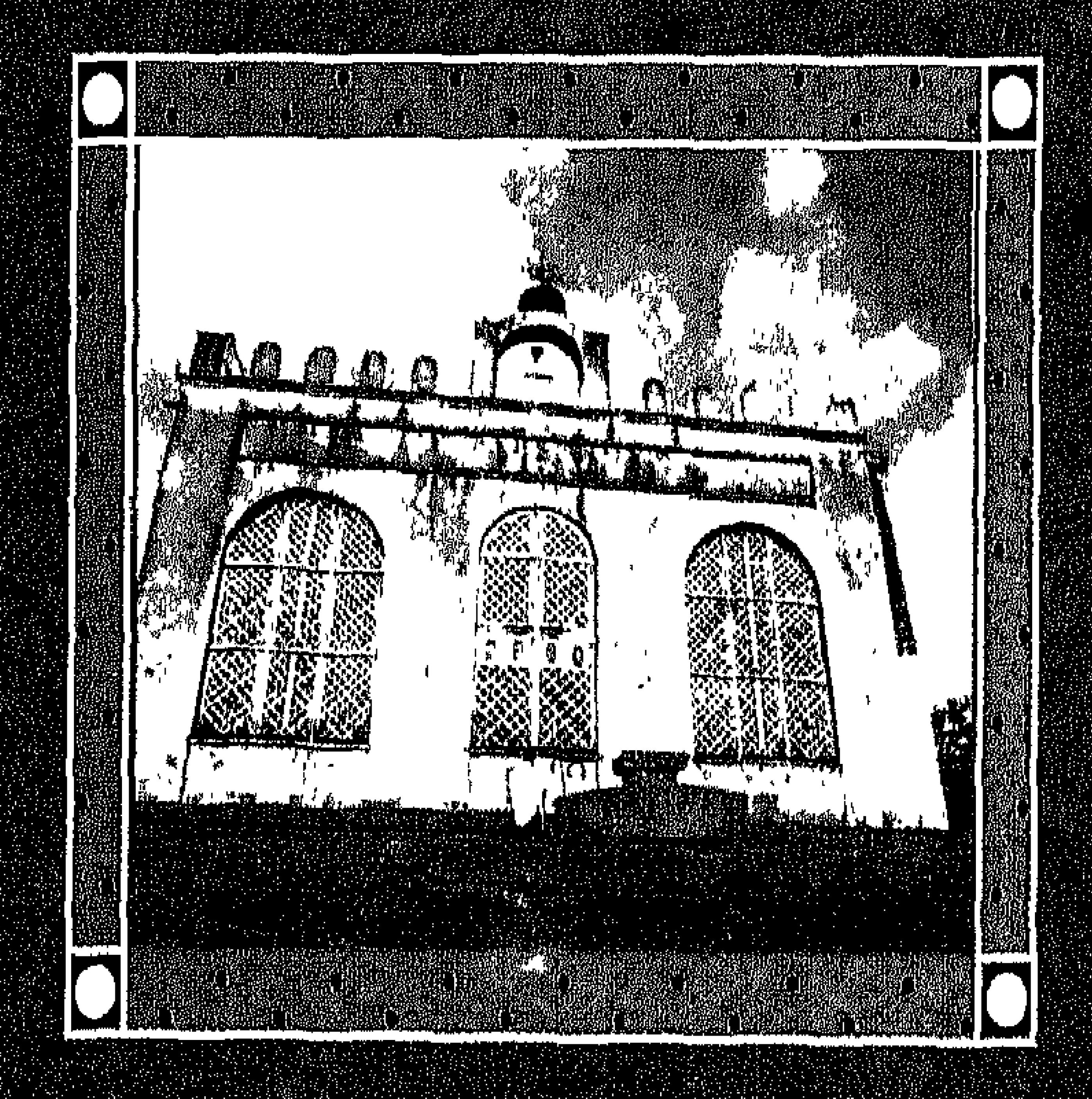
كنيسة بيت جورجيوس المنحوتة فى الصخر
(واحدة من كنائس لاليبالا المشهورة)



إحدى كنائس لاليبالا المنحوتة فى الصخر من الداخل



دير دابرا دامو المشهور والوصول إليه بتسلق
الحبل الطويل



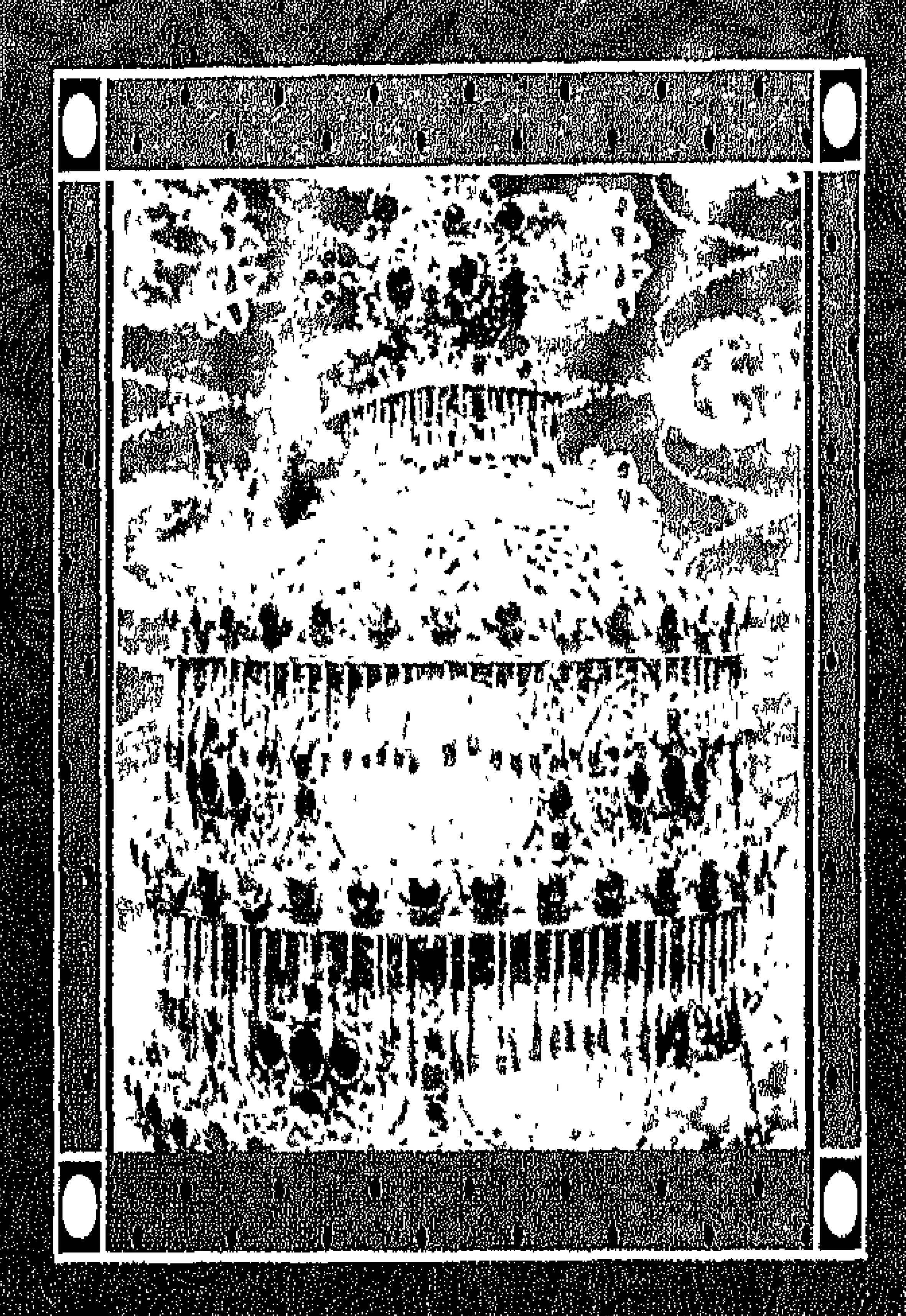
كنيسة «مريم صيون» باكسوم التى تعود للقرن
الرابع / الخامس بعد تجديدها . ويقال إنها تضم تابوت
العهد الموسوى فى مكان سرى



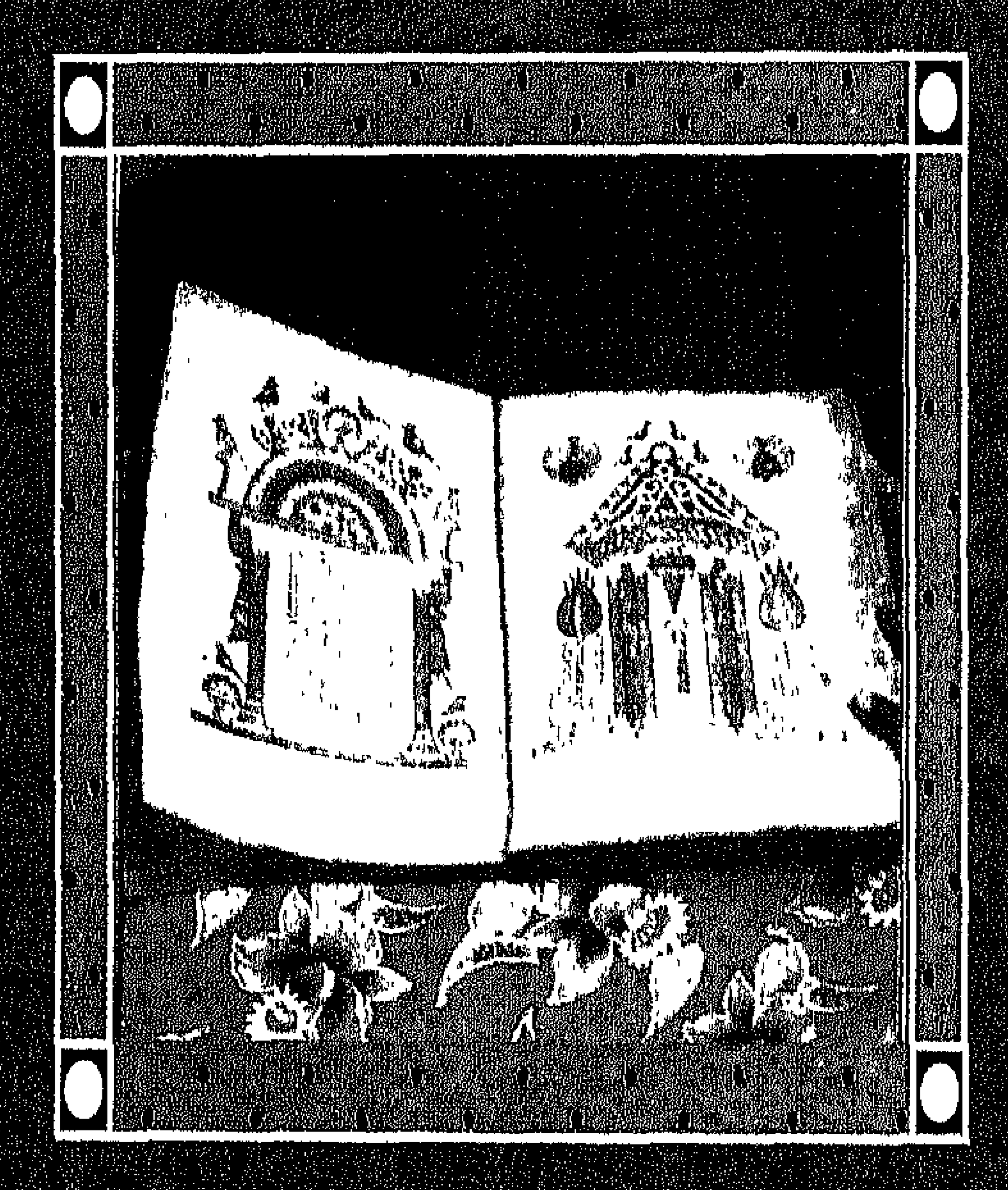
من الفن الإثيوبي: جدارية «بكنيسة أمد صيون»



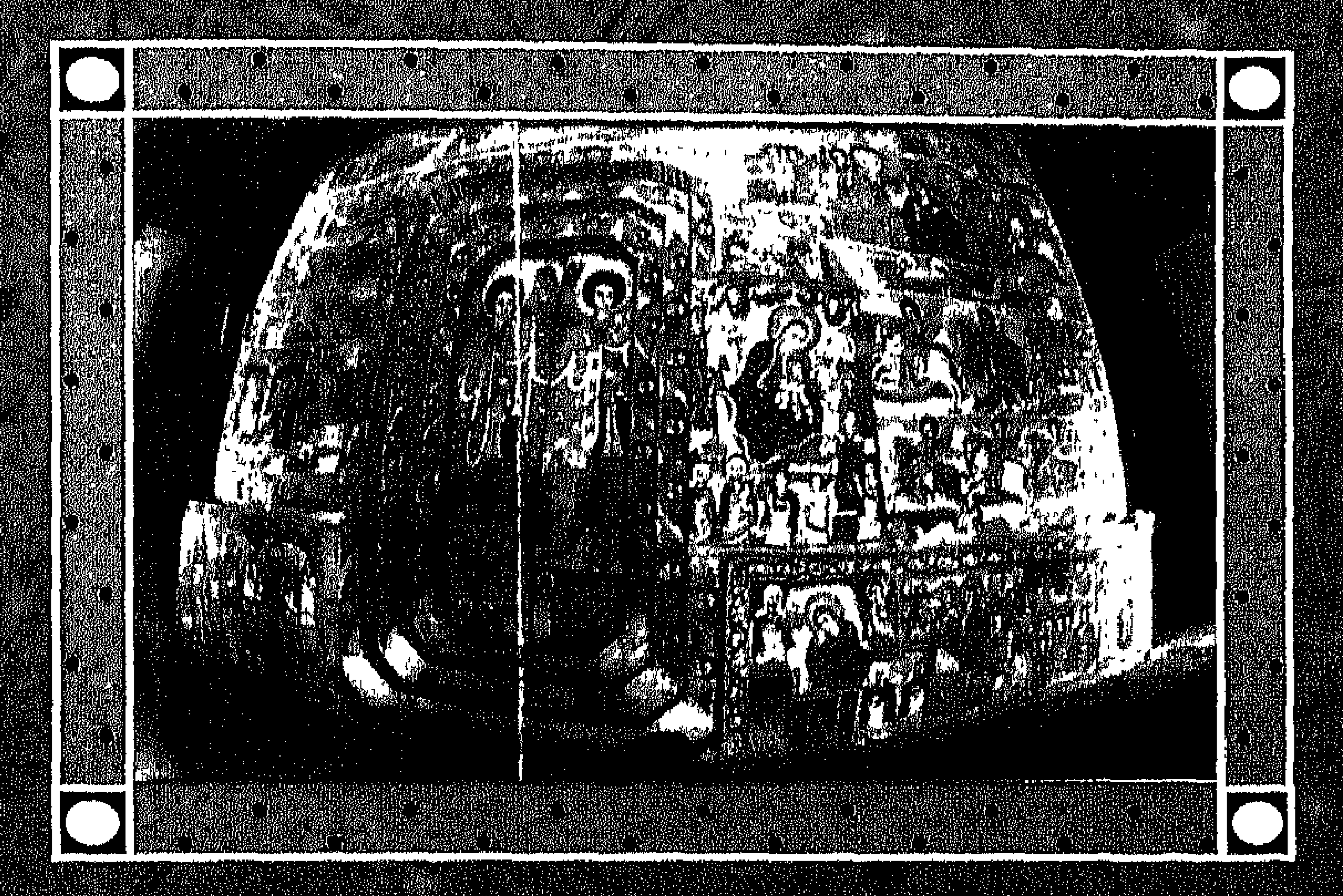
أيقونة إثيوبية



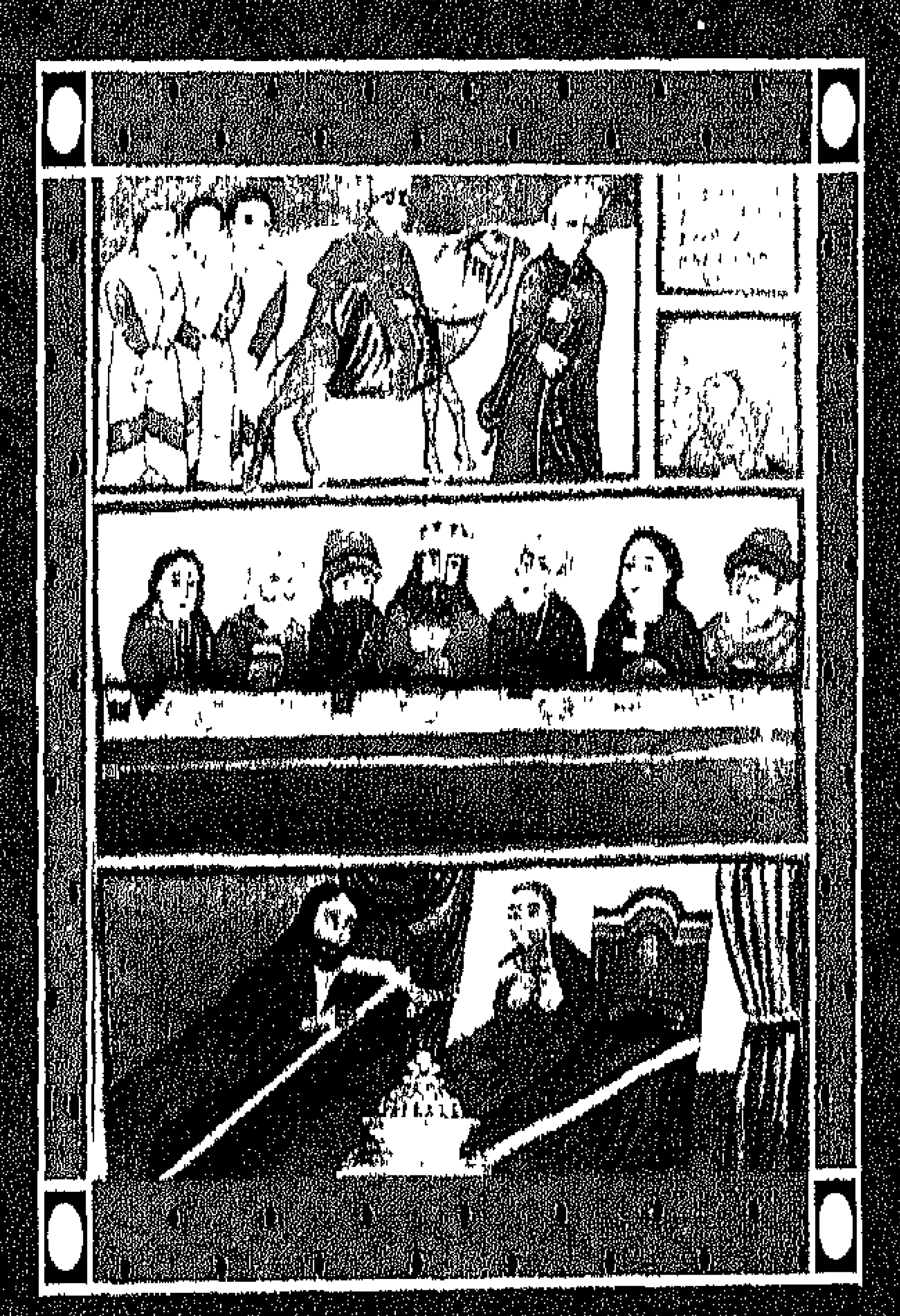
أحد التيجان من كنوز كنيسة «مريم صيون» باكسوم



مخطوطة إثيوبية



باب إلى «قدس الأقداس» (الهيكل) فى أحد أديرة بحيرة تانا



ملكة سبأ تزور الملك سليمان
(فن إثيوبى)



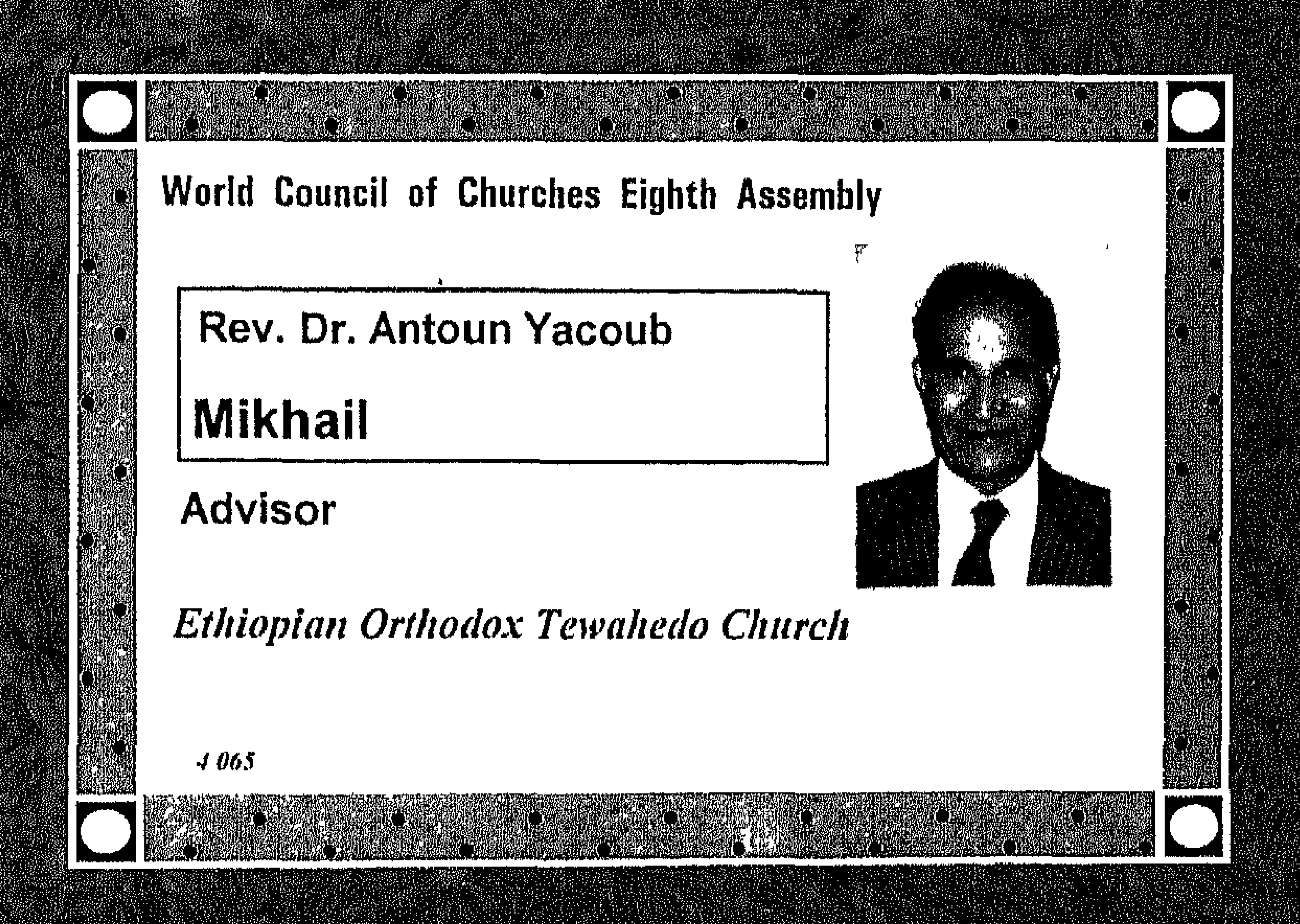
الاحتفال بعيد الصليب فى ميدان «مسقل» بأديس أبابا



مدخل كلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا



حديث هامس بين المؤلف وقداسة بطريرك إثيوبيا



ويدخل **الطريق** إقليم لاستا بعد ما يزيد على مائة ميل فى مناطق جبلية وعرة. وقد اختارته الأسرة الزجوية لـلاستقرار فيه وتأسيس مملكتها بعد ما قضت على أكسوم وإمبراطوريتها السليمانية. واتخذت من روها عاصمة لها، وهى التى احتلت مكاناً أثيراً فى قلب الملك لاليبالا وحملت اسمه فيما بعد، وأراد أن يجعل منهاأورشليم الثانية، وجرى القول "إن المجئ إلى لاليبالا جيد كالذهاب إلى أورشليم". ولاليبالا الذى اعتلى العرش أواخر القرن الثالث عشر لم يكن شخصاً عادياً، فقد تملكته روحانية متميزة إقتاتت على الرؤى التى ذكر إنه كان يراها حتى قبل أن يصير ملكاً، صعد فى إحداها إلى السماء الثالثة حيث أراه الله نمط المسكن الذى يريد منه أن يبنيه له على الأرض، وعلى التأثيرات الروحية والوجدانية التى تأثر بها أثناء زيارته لأورشليم وغيرها من مناطق الأراضى المقدسة. وتؤخذ روحانيته هذه على أنها التفسير للكنائسس العجيبة التى بناها والتى قيل إن الملائكة كانت تعمل فيها ليلاً والعمال نيام! فقد انطوت هذه الكنائس على تصور روحى جديد ليس من السهل ترجمته. ولقد كانت هناك كنائس منحوتة فى الصخر قبل لاليبالا وبعده، مثل كنيسة "أمرها كريستوس" المبنية داخل كهوف بالقرب من لاليبالا، وكنيسة "سيكوها" فى تيجراى وكنيسة " أدادى مريم" فى جنوب شوا، إلا أن هذا النمط بلغ قمته بابداع هذا الملك. وبنى منها أحد عشرة فى تجاويف عميقة فى الجبال على جانبى النهر الصغير الذى يشق روها وأطلق عليه اسم نهر الأردن. وشكلت ثلاث مجموعات على مستويات مختلفة يجرى الانتقال من واحدة إلى أخرى من خلال ممر تحت الأرض أو بعبور خندق فوق جسر خشبى. وأجملها كنيسة "مدهن آلم" (مخلص العالم) أكبر كنيسة منحوتة فى العالم وهى مستطيلة بحوائط يصل سمكها إلى مترين ومكونة من خمسة خوارس وأربعين من الأعمدة، يعلو كل عمود منها تاج ويكوّن كل اثنين منها قوساً. وبجانبها كنيسة "جنات مريم" (فردوس مريم) بأعمدتها وجنباتها المزخرفة بالألوان وشبابيكها الأكسومية، وهى محاطة بأعمدة تبدو وكأنها تحمل السقف. وتتميز كنيسة جورجيوس بأنها على شكل صليب يونانى وتنتصب مرتفعة على قاعدة مقطوعة فى الصخر. وكنيسة إيمانويل بخوارسها الثلاثة وزخارفها الأكسومية الطابع. وتحتل كنيسة الجلجثة منزلة خاصة من التقديس ' والتكريم وبها قبر الملك لاليبالا وتزين اللوحات والتماثيل جدرانها وتضم كنيستين فرعيتين. وكان للملك قصر ضخم أشبه بالقلاع بنافورات داخلية يتصل بالكنائس بطريق تحت الأرض.وقيل إن بعثة بطريركية من مصر زارته فى القرن الرابع عشر ووصفت روعته

عند عودتها. وحظى لاليبالا بتقديس الشعب له وعيده يقع فى ١٩ يونيو (١٢ بؤونه) ويتدفق الحجاج إلى مدينته لإحياء ذكراه.

ويتجه **الطريق** جنوباً إلى إقليم وولو الذى كان يعرف قبلاً ببيت أمهرا، وحيث بنيت أماكن مقدسة عديدة زاخرة بالكنوز الثمينة للكنيسة والدولة. وقد شهد الإقليم فى القرن السابع حركة واسعة لنشر الانجيل وبناء الكنائس والأديرة خاصة فى مناطق ولكا وهضبة منز فى الجنوب. ويعوّل الآن على الصدفة لاكتشاف ما دمر ودفن من الأماكن المقدسة فى هذه الأنحاء مثلما حدث لدير "صجا" (النعمة) عند بورانا. وتتميز فيه بحيرة هايك بجزرها الكثيرة التى بنيت عليها عدة كنائس وأديرة. فدير اسطفانوس المشهور بناه الإمبراطور نأود عام ٨٥٠ على جزيرة "نجود جواد" وأسكن فيه ثلثمائة من الإكليروس القادمين من أكسوم. وترأسه القديس إياسوس موا (يسوع الغالب) مدة أربعين سنة بدءاً من عام ١٢٤٨، وعلّم يكونوأملاك الذى أعاد الأسرة السليمانية إلى العرش، وترهبن القديس تكلاهيمانوت على يديه. ونهبه الإمام الأعسر عام ١٥٣١ وخربه، ومع ذلك احتفظ بمخطوطات ثمينة ومجموعة أيقونات، وعاش فيه رهبان أقباط ساهموا فى أعمال الترجمة، وبه صورة صغيرة لرأس القديس مرقس إلى جانب مؤثرات قبطية أخرى. أما دير "جبرا إجزيابهير" (عبد الرب) فقد بنى على شاطئ البحيرة عام ٦٢٧. وإلى الشمال الغربى منها بنى لاليبالا كنيسة اجزيابهيرآب عند أمباجيشين فى مكان معبد وثنى حول شجرة مقدسة لدى القدماء، وتشتهر بوجود قطعة من صليب السيد المسيح الحقيقى بها أحضرها الإمبراطور داود الأول (١٣٨٢ ـ ١٤١١) من أورشليم. وبالقرب منها كنيسة "تدبابا مريم" ودير دابرا زبيت إلى الغرب ودير جيشون مريم على جرف شديد الانحدار. وأجمل كنائس وولو كانت كنيسة "مكان سلاسى" (مكان الثالوث) التى وصفها الأب الفارز بإسهاب وإعجاب. كانت ترتفع إلى أكثر من أربعين متراً وبريق الذهب الذى يغطيها من الخارج يخطف الأبصار من مسافات بعيدة. وكانت جدرانها من الداخل مغشاة حتى السقف بالذهب والفضة واللؤلؤ ومزينة بمناظر وصور مختلفة. ودمرها الإمام الأعسر فى لحظات رغم انبهارة بروعتها.

ويتعرج **الطريق** إلى الغرب ليدخل أقليم بيجامدر حيث مدينة دابراتابور المشهورة بكنائسها ومنها كنيسة "منبر نجست مريم" (كرسى الملكة مريم) التى بناها الإمبراطور زارايا كوب، ودير "دابرا إياسوس" (يسوع) الذى بناه الإمبراطور توودروس، وكنيسة "هيروى جورجيوس" (القديس جورج) التى بناها الإمبراطور يوهنس.

ويأتى الطريق إلى مشارف بحيرة تانا التى عرفها الإغريق باسم "پسيبو" أو كلوه. وهى إلى جانب شهرتها الجغرافية كبداية لنهر النيل العظيم الذى يحمل اسم أباى (النيل الأزرق) لدى خروجه منها، تشتهر أيضاً بتاريخها وتراثها الكنسيين (٣٠). ففيها ما يقرب من أربعين جزيرة معمورة بالكنائس والأديرة أخفيت فى بعضها كنوز فى فترات الاضطرابات ويعود بعضها إلى القرن الرابع عشر. ووسيلة الوصول إليها زوارق من أعواد البردى والغاب وقريبة الشبه بمراكب قدماء المصريين.

وقد بنى الإمبراطور أمدصيون ديرى كفران وجاليلا زكريا على جزرها، كما توجدمقابر ملكية فى جزر داجا وكفران، ودفن الإمبراطور زارا ياكوب عام ١٤٦٨ فى جزيرة داك، بينما دفن الإمبراطور ياسو الكبير (١٦٨٢ ـ ١٧٠٦) على جزيرة ماترها، ويعتبره المؤرخون آخر الملوك العظماء قبل عهد الفوضى الكبير (١٧٨٠ ـ ١٨٥٥) وقد اتسم عهده بالازدهار وعمّر الكثير من الكنائس التى خربها الإمام الأعسر. وكان تقياً مدققاً من الناحية الأخلاقية. وتنازل عن العرش لابنه واتجه إلى أديرة تانا حيث عاش حياة الزهد والنسك، ولكنه قتل غيلة خوفاً من أن يعود إلى العرش. وبكاه الشعب فى جنازة ضخمة ترددت فيها ألحان جنائزية وإنشاد حزين أعد له خصيصاً.

وإلى شمال البحيرة تقوم كنيسة جوجورا بهندسة معمارية جديدة أخذت طابعاً إثيوبياً متحرراً من اللاتينى والقبطى وزخرفها الداخلى كثيف ومحفور بأسلوب الركوكو الرشيق

(٣٠) فى أطرافها الشمالية كانت تسكن مجموعات من "الأجاو" تدين باليهودية عرفت بالفلاشا. وإلى الشمال الشرقى منها بلدة "ويناداجا" حيث قتل الإمام الأعسر عام ١٥٤٢ وهزمت قواته.

- والفلاشا Felasha مفردها Felasi وتعنى فى لغتى الجئز والتيجرينيا الشخص الذى يهجر موطنه ليعيش فى مكان آخر. وتنسبهم بعض كتابات الأجانب إلى قبائل "الأجوا" من الأصل الحامى. فى حين يقترح بعض العلماء المحدثين أصولهم إلى جماعات من اليهود الذين هربوا من بلادهم بعدما خربها نبوخذنصر عام ٥١٨ ق.م واستقروا فى جنوب مصر، أو إلى الذين هربوا بعدما خرب تيطس الهيكل عام ٧٠ م إلى خارج الإمبراطورية الرومانية واستقروا فى جنوب غرب الجزيرة العربية وكونوا لأنفسهم مملكة. أما الإثيوبيون فيعتبرونهم ذرية لجماعات عبرية استقرت فى إثيوبيا قبل الميلاد رغم أنهم لا يتكلمون العبرية وكتاب العهد القديم عندهم مترجم من الجئز ولا يملكون التلمود أو المشنا. ويهوديتهم ذات طابع موسوى عتيق. وتأثروا بالمسيحية فى بعض نواحى حياتهم فعندهم مثلاً نظام رهبانى بدأوه فى القرن الرابع الميلادى، ويتزوج كهنتهم مرة واحدة. واختاروا لاستقرارهم فى إثيوبيا مناطق جبلية فى إقاليم سيمين ولاستا وجندر حيث تقيم بقيتهم التى تقدر بستة آلاف بعدما هاجر أغلبهم إلى إسرائيل خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

الرقيق. فى حين كانت كنيسة "بارياجنت" يغلب عليها النمط القبطى وبقبة عالية. وهناك دير تانا تشيركوس على الجانب الشرقى للبحيرة حيث وضع منليك الأول تابوت العهد فكان أول مكان يستضيفه.

ومن بحيرة تانا شمالاً يتجه **الطريق** إلى اقليم ووجيرا الذى تتوسطه جندر المدينة التى تبوأت مكاناً متميزاً فى تاريخ البلاد ومكانة خاصة فى حياة الكنيسة، والتى اجتذبت الأباطرة صوب منطقتها فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ليس فقط تجنباً لقبائل الجالا التى انتشرت فى الشرق، بل وسعياً إلى اعتدال مناخها ودفء شمسها والخضرة التى تنتشر فى أرجائها وخصوبة تربتها وجودها. وكان الإمبراطور "سرسا دنجل" (١٥٦٣ ـ ١٥٩٧) الذى توج فى أكسوم باسم "ملاك سجَد" (الملوك يعبدونه) فى حفل ضخم لم تر المدينة مثله منذ أيام الإمبراطور زارايا كوب، أول من جاء إلى المنطقة، وكان مغواراً قوى الشكيمة حارب أعداء بلاده من الجالا والشناكل والأتراك وانتصر عليهم، وبنى عند بلدة أبيا كنيسة باسم "كيدانا مهرت" (عهد الرحمة). أما الإمبراطورفاسيليداس (١٦٣٢ ـ ١٦٦٧) فهو الذى جعلها عاصمة عام ١٦٣٥ وبنى له فيها قصراً منيفاً بمغطس كبير يستخدم فى احتفالات عيد الغطاس ونافورات داخلية.

وتشتهر جندر بقصورها وقلاعها وكنائسها التى قدر عددها بثلاثين بنيت فى عهود الأباطرة من فاسيليداس إلى ياسو الثانى. من بينها كنيسة دبرابرهان (النور) أهم الكنائس المتبقية والتى بناها الإمبراطور ياسو الكبير وتتميز بلوحاتها المقدسة التى تزين جدران مقدسها الأربعة وبالصليب الذى يعلو سقفها بكراته الذهبية. ودير قسقوام أو كنيسة دابراسهاى (الشمس) الدائرية الرائعة التى يحيط بها سور عالٍ بأبراج على مسافات لإقامة الرهبان، وقد بنتها الإمبراطورة منتواب أم ياسو الكبير ومازالت فى حالة معقولة. وكنيسة القديس أنطونيوس التى بناها الإمبراطور يوهنس (١٦٦٧ ـ ١٦٨٢) الذى اشتهر "بالعادل" وتُعرف بلوحاتها الجميلة ذات الألوان الدافئة والمتأثرة بالفن القبطى. وكنيسة ميكايل (رئيس الملائكة ميخائيل) المربعة والتى تماثل فى معمارها الكنائس الأكسومية الأولى وتتميز بواجهة ذات حنيات واسعة وببرج مستدير على كل ركن.

ومع إنه يشار إلى جندر الآن بمدينة الأربعة والأربعين كنيسة فإنه لم يبق من مبانى أيام مجدها إلا القليل فى حالة معقولة، بينما الغالبية أطلال أو مزارات أو اختفت تماماً وإن

بقيت أوصافها. ويعود ذلك إلى التدمير الذى ألحقه بها دراويش السودان والإمبراطور تيودروس الثانى (٣١). وتقوم الآن أديرة مهبراسلاسى (مجمع الثالوث) المشهورة إلى الغرب من الإقليم.

ويمضى **الطريق** جنوباً إلى اقليم جودچام الذى دخل التاريخ الكنسى متأخراً إذ لم يكتمل تحوله إلى المسيحية إلا بعد القرن السادس عشر. وقد امتلأ أيام عزه بالكنائس الفخمة والأديرة التى اشتهرت كمراكز للتعليم المسيحى. فدير ديما أو دير الصليب من أشهر أديرة إثيوبيا وعرف باهتمامه بالعلوم الكنسية والألحان والتسابيح وبتدريب المكلفين بالحفاظ عليها. ودير دابراورك (الذهب) بنى فى عهد داوود الأول (١٣٨٢ ـ ١٤١١) وساهم فى بنائه حرفيون من فلورنس لجأوا إلى الأقاليم. كما بنت الإمبراطورة هيلانة زوجة نأود كنيسة "مارتولا مريم" (خيمة مريم) على الطراز الغربى بزخارف إيطالية يمكن مشاهدتها فيما تبقى منها من جدران، وفيها تقبّل الحفيد سوسينيوس التاج والملابس الملكية عام ١٦٠٤ بينما كان يصارع خصومه الطامعين فى العرش واحتفظ بها وبحقه فى العرش حتى توج فى أكسوم عام ١٦٠٨ . وقد بنى حديثاً دير "إسقيط تكلاهيمانوت" بالقرب من دبرا مرقس العاصمة.

وسجل الذين زاروا جودچام مشاهدتهم، كالحال فى إقليم شوا، لأناس لهم سمات مصرية فى القامة وشكل الشعر، وفيما يلبسون من لباس ويتحلون به من حلى، مما يؤكد ما كان فى الماضى من هجرات ونشاط تجارى ودينى بين مصر وإثيوبيا.

وكل المناطق التى يعبرها **الطريق** من جودچام شرقاً إلى إقليمى منز وشوا عبارة عن سلاسل جبال ضخمة تفصلها هضاب شاسعة ترتبط ببعضها بممرات ذات أخاديد عميقة. وتنتشر فيها عمائر مقدسة أحدث عمراً عما فى الشمال، بنى بعضها فى مناطق منعزلة وعرة، وأخرى عند ينابيع ماء أو فى مراكز عبادات قديمة مثل جيشين ودير أبو زقوالا، وقد ازدحمت منطقة دير دابرابرهان بالكنائس التى بناها زارا ياكوب ومن جاءوا بعده، ومازالت هذه المنطقة والدير ذاته المركز الأكبر للرهبنة الإثيوبية.

(٣١) نقل مقره إلى ماكدلا كى ينفصل تماماً عن مركز السلطة فى جندر فأعاد بذلك مكان الحكم إلى إقليم أمهرا لأول مرة منذ القرون الوسطى، أى منذ سقوط الأسرة السليمانية الأولى. إلا إنه تمادى فعمل على تجريد العاصمة من كل ما تبقى بها من ثروة فنزع كل الكنوز والمخطوطات من كنائسها وأديرتها الأربعة والأربعين وحملها إلى ماكدلا، وترك المدينة لتحترق !

ويعتز إقليم منز ببعض الكنائس المبهرة مثل كنيسة "أترونسا مريم" (عرش مريم) التى كانت تحفة من الذهب، وكنيسة "جنات مريم" (فردوس مريم) التى كانت تحتوى على كنوز ملكية وتيجان حديثة وشعارات قدامى الأباطرة وعدد من التوابيت ومذبح من الذهب الخالص نهبها الأعسر قبل أن يدمر المكان. وكنيسة "جناتا جورجيوس" الخشبية التى كانت ترتكز على ستة وثلاثين عموداً مزينة بأشكال فنية رائعة وعلى جدرانها مشاهد من العهد القديم من أعمال الفنان الإيطالى برانكاليونى. والكنيسة التحفة "مكان سلاسى" (مقر الثالوث) التى بناها الإمبراطور نأود (١٤٩٤ ـ ١٥٠٨) وقد غطت جدرانها صفائح من الذهب وتزينت أبوابها بالجواهر فتشاهد من بعيد وهى تتلألأ. وأدهشت البرتغاليين الذين زاروها. وبهرت الإمام الأعسر حتى إنه التفت إليها وهى تحترق وتساءل مع من حوله "هل يوجد فى طول الإمبراطورية البيزنطية أو فى الهند أو فى غيرها مبنى مثل هذا يضم هذه الثروة من أعمال الفن؟! وكانت مربعة بطول خمسين متراً تقريباً وقمتها يزيد ارتفاعها على أربعين متراً. وتغطت جدرانها الداخلية بالذهب وبلوحات مطعمة باللؤلؤ.

ويشتهر إقليم شوا بدير دابر لبانوس المعروف الذى بناه الإمبراطور زارا ياكوب عند نبع ماء مكان دير قديم باسم أسبو، واحتل مكانة الدير الذى يحمل نفس الاسم فى اقليم تيجراى وزادت مكانته وقوته حين صار رئيسه هو إتشيجى الكنيسة الإثيوبية، ويضم مزارالقديس تكلاهيمانوت. وإلى جانبه كنيسة جورجيوس التى بناها الإمبراطور منليك الثانى تزينها لوحات لفنانين إثيوبيين اشتهروا فى ذلك الوقت. وإلى الشرق منه دير دابرا برهان (النور) وقد أُعطى هذا الاسم لظهور نور من السماء استمر عدة أيام فوق بقعته، وقضى فيه الراهب إستفانوس أواخر أيامه وهو الراهب الذى رفض بعض الممارسات مثل المغالاة فى "عبادة" الصليب وأيقونة العذراء باعتبار أن السجود والعبادة هما للثالوث الأقدس وحده الآب والابن والروح القدس. واعتبرت هذه التوجهات بدعة أطلق عليها الإستفانوسية واضطهدت واضطهد أتباعها زماناً ليس بقليل. ويقع دير دابراسينا إلى الشمال الشرقى منه وينسب بناؤه إلى الأب يوهنس (يوحنا) وهو راهب قبطى أرسله أنبا باخوميوس إلى البلاد.

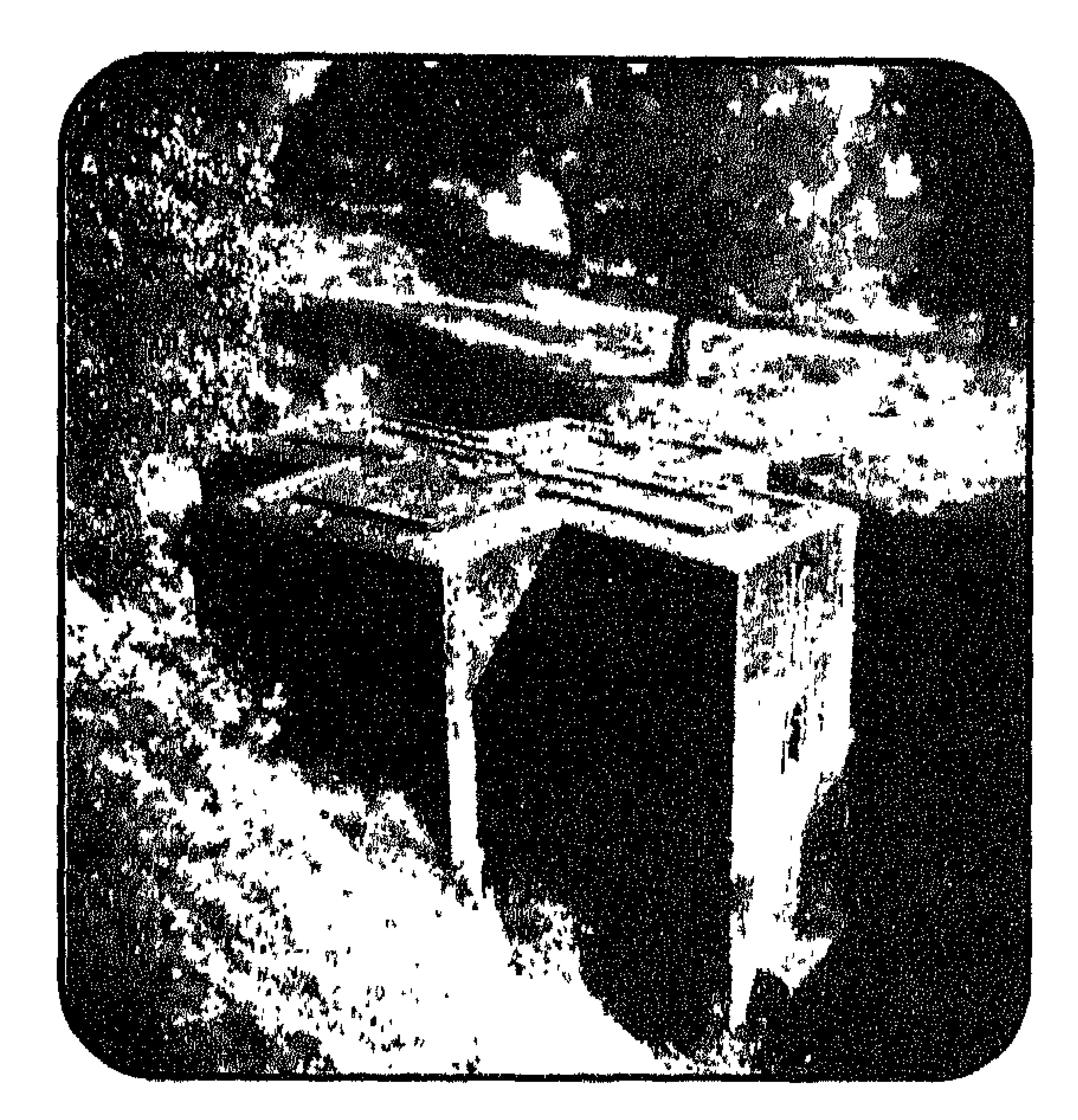
ويختتم **الطريق** التاريخى رحلته عند عاصمة البلاد الحالية أديس أبابا ذات الكنائس المائة التى تعود إلى القرنين التاسع عشر والعشرين (٣٢). وبعضها "جدامات" أى كنائس

(٣٢) راجع الفصل الأول من الكتاب.

ديرية يعيش فيها رهبان. وإلى الجنوب من العاصمة يشتهر دير زقوالا على بحيرة جبل زقوالا البركانية حيث بنى عمداً فى مكان للعبادات القديمة للقضاء عليها، ويعرف بدير أبّو وهو الاسم الذى يطلق على القديس جبرا منفس قدوس الذى ترهبن فى دير إهناسيا بصعيد مصر واستقر فيه بعد عودته إلى البلاد. وهو غير عامر الآن ولكنه مزار مهم يحج إليه المؤمنون خاصة فى عيد القديس الذى يقع فى الخامس من كل شهر إثيوبى. وإلى الجنوب الغربى كنيسة "أدادى مريم" (أمنا مريم) وهى واحدة من الكنائس المنحوتة فى الصخر التى بنيت فى مختلف الأقاليم وخُرب أغلبها. وبالقرب من ديرپداوه المدينة الرئيسية إلى الشرق من العاصمة تقوم كنيسة مشهورة للملاك جبرائيل عند بلدة كولوبى باسم "كولوبى جبرييل" وهى معروفة بما يجرى فيها من معجزات شفاء وغيرها، ومزار مهم يقصده الألوف من أنحاء البلاد خاصة فى عيدى شهر ديسمبر ويوليو. وفى وسط المسافة بين ديرپداوه والعاصمة يقع دير أوجاج فى منطقة صحراوية.



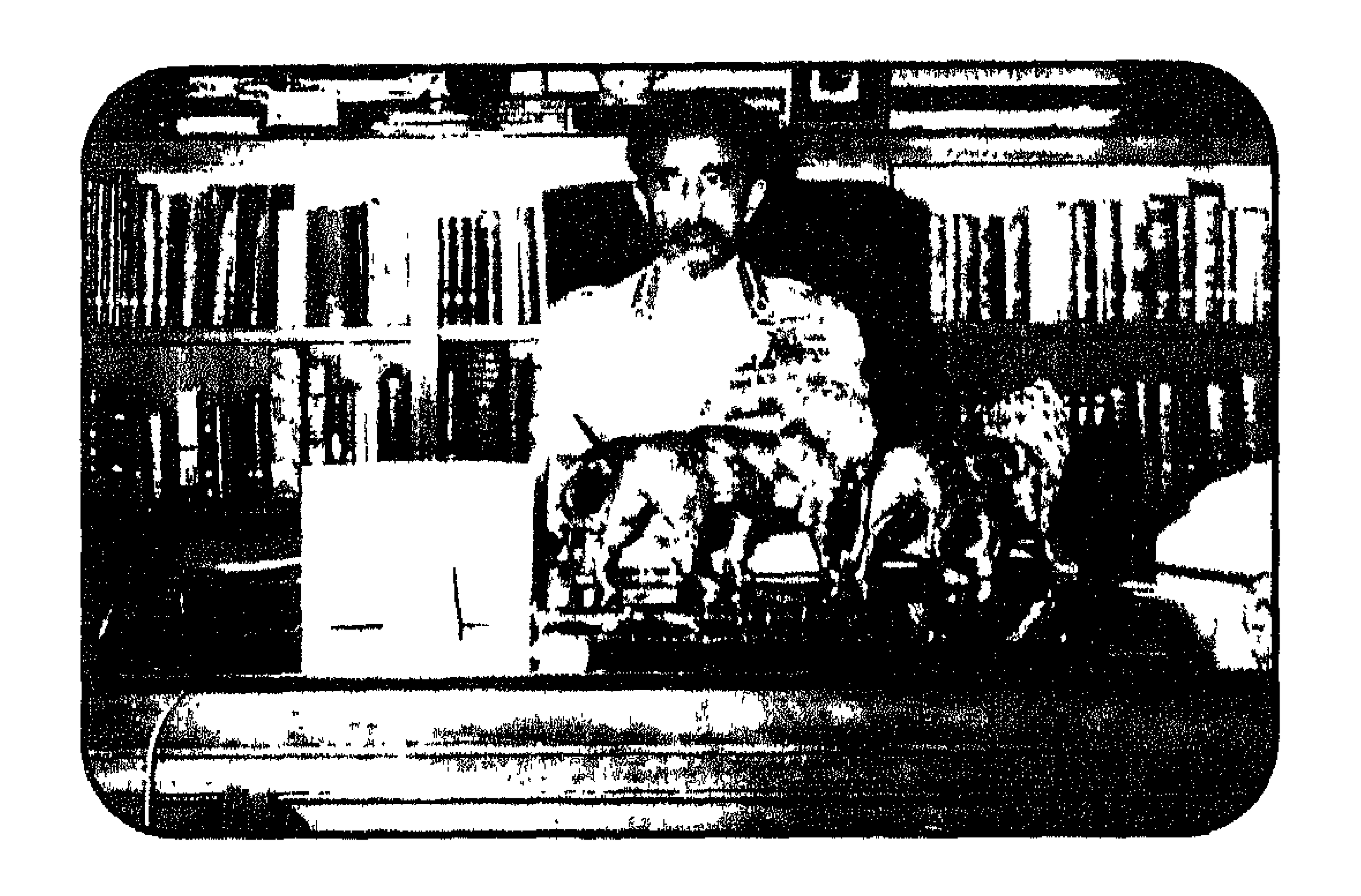
موكب الاحتفال بعيد الغطاس (كهنه يحملون توابيت كنائسهم)



كنيسة القديس جورجيوس المحفورة في الصخر بهيئة صليب



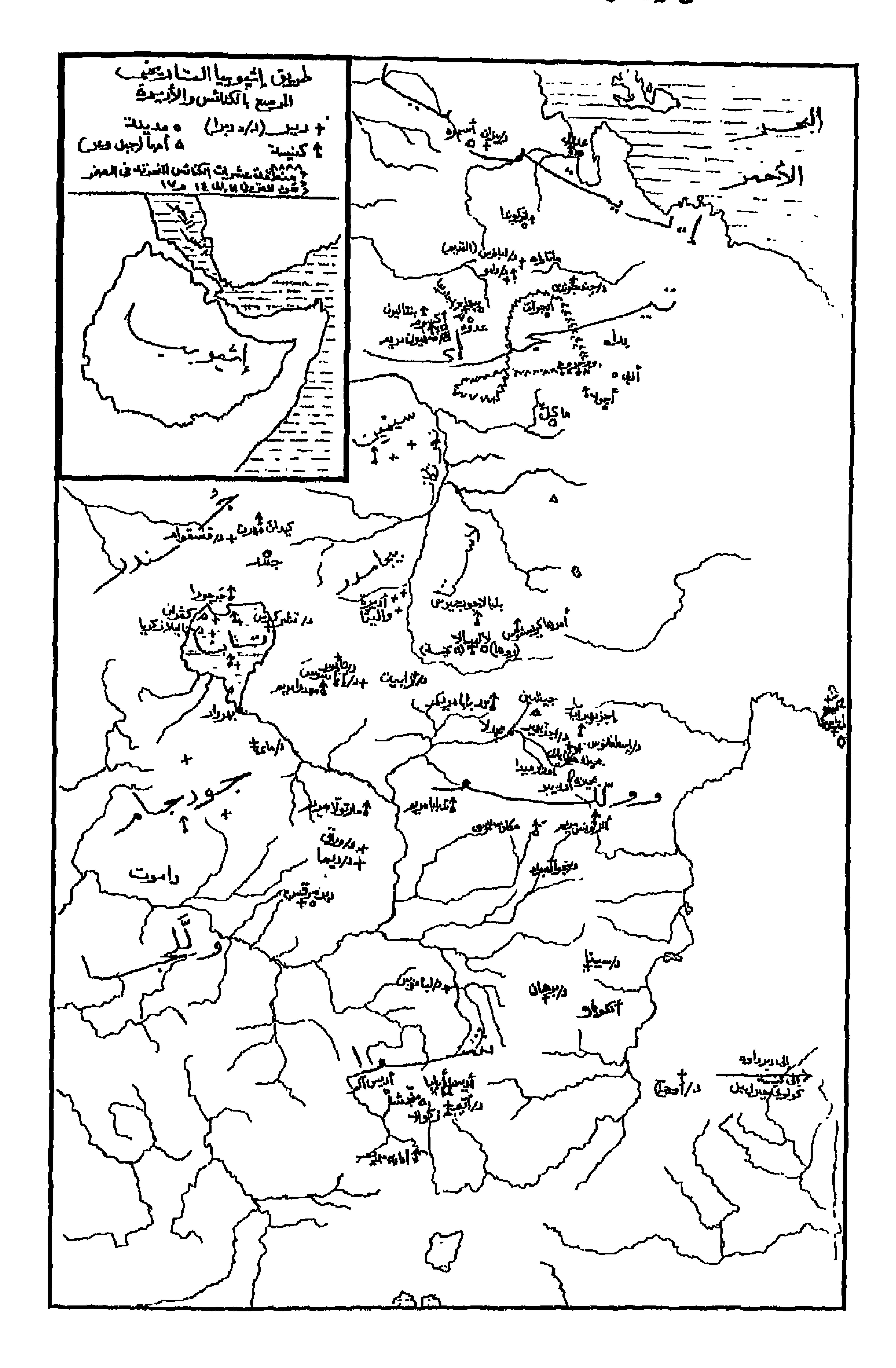
كنيسة «مسقل كبرا» (مجد الصليب) المحفورة بالكامل في الصخر (أوائل القرن ال١٣)



الإمبراطور هايل سلاسي (١٨٩٣ ـ ١٩٧٥)



جدارية تمثل الرقص المقدس: مجموعتان من الدبترا يواجهان
بعضهما ويرقصان بمصاحبة الطبلة والصلاصل



طريق إثيوبيا التاريخي
المرصع بالكنائس والأديرة
دير (د/ دبرا)
مدينة
كنيسة
أمبا (جبل وعر)
البحر
الأحمر

صراعات إثيوبية



الوفد القبطى المفاوض برئاسة أنبا يؤنس مطران الجيزة
(١٩٥٦) وحوله أعضاء الجالية القبطية



حفلة الجالية المصرية لتوديع سفير بلادها



الإيغومانس إبراهيم لوقا فى مهمة تفاوضية بأديس أبابا (١٩٤٩).
هنا مع أنبا ثاوفيلس والقس مرقس داود

- ١ -

يتبادل الإنسان وبيئته المؤثرات فيما بينهما ويصنعان معا تاريخ المنطقة، وتقدم إثيوبيا نموذجاً حياً لهذا التبادل الذى لا يتوقف، إذ أنها تتميز بطبيعة جبلية معقدة وعرة المسالك(١) صعّبت الانتقال بين أجزائها، كما صعّبت على سكان السهول حول الهضبة الوصول إلى أعلاها. وتتفاقم هذه الصعوبة فى فصل المطر الكبير (يونيو ـ سبتمبر) المعروف بأمطاره الرعدية الغزيرة التى تتسبب فى أنهيار الطرق غير المعبدة، والمعبدة أحياناً. ورسمت هذه البيئة الجغرافية لإثيوبيا خريطة سياسية لا تخلو من متناقضات فبينما حافظت لها على استقلالها أمدا طويلاً يقدره شعبها بثلاثة آلاف سنة، مكنت القبائل غير المروضة من الاحتفاظ باستقلاليتها هى أيضاً ردحا من الزمن خاصة وأن طبيعة البلاد خلقت الإثيوبى المستعد دائماً للقتال دفاعاً عن نفسه وحريته وأرضه، وساعدت على تمزيق البلاد إلى إمارات أو ممالك مستقلة تتطاحن فيما بينها بين الفينة والفينة. أى أنها لم تساعد على قيام

(١) إن إثيوبيا أساسا هضبة ضخمة تكاد تكون مستديرة من صخور بركانية الأصل وعرة ذات إنحدار شديد يأخذ إتجاهاً شمالياً غربياً. ويتراوح أرتفاعها بين ١٧٠٠م و٢٤٠٠م وهى بهذا أعلى هضبات إفريقيا، وجبالها أيضاً أعلاها إذ يصل ارتفاع بعض قممها إلى ما يزيد على خمسة آلاف متر مثل قمة جاشان فى جبال سيمين شمالاً التى تهطل عليها الثلوج. وتحيط بها أراض منخفضة مثل سهول السودان فى الشمال والغرب وصحراء الدناكل والأوجادين فى الشرق. ويقسمها من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى الأخدود الإفريقى العظيم" والعميق الذى يضم مجموعة من البحيرات منها رودلف فى الجنوب وزاوى فى الوسط. أما بحيرة تانا فهى فى وسط الهضبة خارج الأخدود بمساحة تبلغ ٣٠٦٠ كم مربعاً وعلى ارتفاع يقدر بـ ١٨٤٠ مترا فوق سطح البحر وتغذيها مجموعة كبيرة من الأنهار التى تحمل إليها كميات هائلة من مياه الأمطار والغرين. ويجرى فيها إثنا عشر نهراً دولياً جوانب أغلبها شديدة الانحدار تشترك إثيوبيا فى معظمها مع جيرانها وتجعل منها "نافورة إفريقيا"، وأهمها النيل الأزرق ويعرف فيها بنهر أباى وينبع قرب أديس أبابا ويبلغ عمقه ألف متر. وأواش وهو نهر داخلى بدون مصب وينبع أيضاً بالقرب من أديس أبابا. ونهر أومو فى الجنوب الغربى ويصب فى بحيرة رودلف ونهر شبللى فى الجنوب الشرقى ويصب فى المحيط الهندى مروراً بالصومال. وتنبسط بين وديان هذه الأنهار هضبات متسعة مستوية السطح تمثل سهولاً خصبة التربة، كالحال فى جودجام وشوا وكافا وأروسى تصلح فى أغلبها لاستقرار الإنسان وممارسة الرعى إلى جانب كونها مناطق الزراعة المطرية الرئيسية فى البلاد. وترتفع فوق الهضبة عدة سلاسل غير منتظمة من الجبال يشار محلياً إلى العديد منها بإسم "أمبا" وهى مخروطية الشكل مسطحة السطح حادة الجوانب يصعب جداً إجتيازها. وقد لعبت دورا مهما فى تاريخ إثيوبيا إذ تحولت إلى معاقل للقبائل غير الخاضعة وللمتمردين ضد ملوكهم. كما شكلت ملاجىء للشعب من وجه الغزاة. وتم اختيارها لإقامة الأديرة التى نجا العديد منها بفضلها أثناء الغزوات والحروب الأهلية. كما استخدم الملوك بعضها كمخابىء لكنوزهم وكسجون لخصومهم السياسيين. واشتهرت قمة "جاشان (جيشان)" كمعزل للذكور من الأسر المالكة لمنعهم من منافسة من يصبير ملكاً أو من تهديد حياته.

دولة متحدة ذات حكومة مركزية لأنها كانت تحول دون امتداد سلطة الحكومات إلى كافة المناطق (٢). ومع أن الوحدة تحققت فى فترات معينة مثل عهد إيزانا منتصف القرن الرابع الميلادى وزارايا كوب أواخر القرن الخامس عشر، فقد انتظرت حتى أيام يوهنس الرابع ومنليك الثانى الذى وسع نطاق الإمبراطورية وبسط نفوذ الدولة المركزية ودعم وحدة البلاد أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتعاظمت أيام هايل سلاسى الأول الذى تمكن من بسط سلطانه على جميع أجزاء البلاد نتيجة لتطور طرق المواصلات نسبيا، الى جانب حنكته ودهائه وأساليبه السياسية التى أضعفت من سلطة الرؤوس والملوك إذ جمعهم فى العاصمة وعين حكاماً للأقاليم من الطبقة الوسطى يدينون له مباشرة.

ولا تبوح السجلات إلا بالقليل عن تاريخ إثيوبيا القديم وإن ارتبط جله بالبحر الأحمر، وهو بحر ضيق يبلغ إتساعه عند باب المندب حوالى ثلاثين كيلومترا، هادىء للملاحة أغلب أيام السنة. وكان بمثابة منفذها الوحيد إلى العالم الخارجى وطريق تجارتها الرئيسى، كما كان طريق الوافدين إليها حتى القرون الحديثة.

وتؤكد أسطورة ملكة سبأ مدى سيطرة هذا البحر على التاريخ الإثيوبى القديم، كما تلقى ضوءاً قوياً على هذا التاريخ، فروايتها تشير إلى وجود إمبراطورية باسم أكسوم فى بدايات القرن العاشر قبل الميلاد. وأكسوم هذه تعتبر بداية إثيوبيا الحاضر وأولى إمبراطوريات الشعب الإثيوبى وحاملة الحضارة الإثيوبية. وقد تحولت عن الوثنية إلى اليهودية بعد زيارة الملكة لسليمان الملك فى أورشليم (٣) وبعد أن صار إبنها منليك الأول من سليمان ملكا عليها. وكانت فى الواقع تمتد على جانبى البحر الغربى والشرقى فيما يعرف الآن باليمن. وهذا الربط بين جانبى البحر كان ظاهرة تكررت قبل وبعد الميلاد حين حكم ملوك

(٢) وعملت على تخلف بعض مناطقها الداخلية التى كانت تعجز عن توصيل إنتاجها إلى أسواق جيرانها. كما ساعدت على عزلتها فالعالم الغربى لم يوجه إهتمامه إليها إلا فى القرن الثانى عشر وبناء على أشاعات، كان مصدرها فى الغالب رهبانا إثيوبيين فى الأراضى المقدسة، وصلت البلاد البرتغالية ودوائر الفاتيكان بروما عن ملك أو إمبراطور مسيحى باسم برستورجون Prester John غنى وقوى ويسيطر على إمبراطورية واسعة قد تكون سنداً للمسيحية.

(٣) تشير بعض الكتابات الإثيوبية إلى أن زيارة الملكة ماكدا جاءت نتيجة وجود علاقات قديمة بين إثيوبيا وإسرائيل وأن الشعبين إشتركا فى الإيمان بالعهد القديم وحفظ ناموس موسى. وكان الأكسوميون يعيدون الفصح وعيدى المظال والفطير فى أورشليم.

أكسوميون القطرين معاً، فقد ترك إيزاناً (عيزانا) أول ملك مسيحى لأكسوم نقوشا تؤكد سيطرته على الجانب الشرقى للبحر الأحمر. وسبقت هذا الوضع هجرات متوالية عبر التاريخ بين الجانبين. فقد هاجر الإثيوبيون إلى الجزيرة العربية وانخرطوا فى مختلف الأعمال والأنشطة، واشتهروا بالأمانة والإخلاص فى أعمالهم، فأقبل عليهم العرب يستعينون بهم فى حراسة قوافلهم وفى حروبهم القبلية حتى أنهم كانوا يشكلون معظم جنود مكة من المرتزقة. وقبلهم ، كما تذكر بعض المصادر، وصل السبئيون وعلموا أهل جنوب الجزيرة حضارتهم.

أما هجرات القبائل السامية من الجزيرة العربية إلى الأراضى الأكسومية فكانت الأوسع نطاقاً والأقوى تأثيراً. فمما يذكر أنه خلال النصف الأول للألف الأولى قبل الميلاد عبرت إلى إثيوبيا قبائل سامية احتلت تدريجياً الجزء الشمالى من هضبتها، عرفت إحداها باسم حبشات استقرت فى غربى تيجراى بالقرب من مدينتى ييها وأكسوم، وقد التصق اسمها بالهضبة ومازالت إثيوبيا تعرف به بين الناطقين بالعربية، كما اشتق الغرب منه اسم أبسينيا Abyssinia. وعرفت قبيلة أخرى باسم أجازيان أو أجازى / جعزى التى تحركت جنوباً واستقرت عند أجامى وجوزاى واستقرت القبيلتان وغيرهما وسط شعوب من بينها الحامى كانت لها صلات بشعوب أخرى كالمصريين وغيرهم، ونقلت إليها مهاراتها وفنونها ومنها الزراعة بنظام المدرجات terrace farming الذى يلائم المناطق الجبلية. وباختلاطها جميعاً بالزواج والمصاهرة وغيرهما على المدى الزمنى تكونت هوية جديدة هى الأكسومية بلغة جديدة هى الجئز بحروف شكلها الأكسوميون متشابكة بعلامات لتحريك الحروف الساكنة، وكتبوها من الشمال إلى اليمين على عكس أصلها السبأى الذى ارتبط بالأبجدية الفينيقية، وصارت لغة الأدب والليتورچيا وساعدت على تحقيق الإنجازات الأدبية الكبيرة فى البلاد. وقد توقفت كلغة حية للتخاطب بين القرنين العاشر والحادى عشر حين حلت اللغة الأمهرية محلها.

والكتاب الذى يضم أسطورة ملكة سبأ يدعى "كبرا نجست" أى مجد الملوك، ويسجل أسماء الملوك أو الأباطرة منذ منليك الأول. ويقال إنه محفوظ فى أكسوم مدينتهم المقدسة ولا يطلع عليه إلا القلة من أهل الثقة. وبالكتاب ملحوظة أو تذييل فى آخره يشير إلى أنه ترجم من العربية عام ١٢٢٥م عن أصل قبطى موجـود فى المكتبة البطـريركية

بالأسكندرية [٤] وكان أبو صالح الذى كتب عن تاريخ كنائس مصر وأديرتها يعرف بأمره. وهو يعود بنسب ملوك إثيوبيا إلى موسى الذى تزوج قطورة الكوشية (عد ١٢ : ١) أو الإثيوبية حسب الترجمة السبعينية. ويذكر أن أول من استوطنوا إثيوبيا كانوا نسل نوح، وأن نوح أنجب كوش الذى أنجب Ethiopic ومنه صار اسم البلاد. وإيثوب أنجب أكسوماى وهو الذى أسس مدينة أكسوم، وهو أيضاً إسم الإمبراطورية.

– ٢ –

صراع المهاجرين

إن من يقرأ تاريخ إثيوبيا يجد جغرافيتها وأنثروبولوچيتها بارزتين بالأحرف الكبيرة، ويقرأهما بوضوح فى المناخ "الصراعى" الذى ساد فى ربوعها منذ البداية. فالجمهورية الأولى (١٩٧٤ ـ ١٩٩١) والثانية (١٩٩١) مثلا ولدتا فى دوامة الصراع السياسى والعسكرى وفى خلفيته الصراع العرقى.

وقبل سقوط النظام الإمبراطورى فى سبتمبر ١٩٧٤، والذى استمر حسب كتاب "كبرانجست" ثلاثة آلاف سنة إلا قليلا، كان الحكم ملكيا استبداديا، يستند الملك أو الإمبراطور فى حكمه على حق إلهى ورثه وآل إليه من منليك الأول إبن سليمان الملك، ويفترض أن يرثه إبنه الأكبر، ولكن كثيراً ما كان يرثه الإبن الأقوى الذى يأخذ بكل أسباب الحيطة كى يستمر على العرش، ومنها جمع "ذكور" الأسرة خاصة الإخوة والأعمام وأولادهم وحبسهم فى قمة جاشان / جيشين الوعرة حيث يعيشون مع عائلاتهم ويموتون منقطعين عن العالم. [٥]

وكان اللقب الرسمى للإمبراطور هو "الأسد المنتصر الخارج من سبط يهوذا المختار من الله ملك ملوك إثيوبيا" [٦]. وكان حقاً ملك الملوك Negus Nagast لأنه كان فى العادة

(٤) يعتقد أيضاً أنه ترجمة لأصل قبطى وجد قبل ٣٢٥م وسط كنوز القديسة صوفيا القسطنطينية. وقد تمت ترجمته حديثاً إلى الإنجليزية بقلم Miguel F. Cooper والناشر Red Sea Publication

(٥) ويذكر أن إيزانا هو الذى بدأ هذا الأسلوب القسرى ضد منافسيه. وهو واحد من الأساليب المألوفة منذ القدم فى نظم الحكم المطلقة أو الاستبدادية كما كان الحال فى الإمبراطورية الرومانية الشرقية ومصر المملوكية وتركيا العثمانية وغيرها.

(٦) كان للإمبراطور يوهنس الرابع خاتم يحمل عبارة "ملك صهيون إثيوبيا" و"ملك صهيون فى إثيوبيا".

يحكم مجموعة من الممالك الصغيرة التى يحكمها ملوك وفقا لما يرضى الإمبراطور وإلا نشبت المنازعات. وكان من بينها إمارات أو أقاليم يحكمها رؤوس لا حق لهم فى ترك مناطقهم إلا إذا استدعاهم الإمبراطور. فإذا ذهبوا إليه اصطحبوا معهم عائلاتهم ومقتنياتهم لاحتمال عدم عودتهم. وكانوا يعسكرون فى خيام ينتظرون الأوامر بالدخول، فإذا استدعوا للمثول بين يديه دخلوا ونصفهم الأعلى عاريا تماما خوفا من حملهم للسلاح.

وكانت هناك أقاليم أخرى فى جنوب البلاد وشرقها تقع أغلبها فى مناطق السهول المنخفضة يحكمها مسلمون أو من أتباع الديانات الإفريقية، يشار إلى بعضها بالسلطنات، والبعض الآخر بالإمارات. وكان حكامها إقطاعيين Vassals موالين للإمبراطور الذى كان يرتبط بهم بالمصاهرة، "ويكفر" عن ممارسة تعدد الزوجات بتحويلهن إلى المسيحية (٧).

ولقد ذكر كتاب "كبراجنست" أسماء قرابة خمس وعشرين ملكا توارثوا عرش أكسوم بعد منليك الأول، أى منذ أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا الادعاء فى هيئة سجلات رسمية أو آثار تاريخية. وما يعود إلى هذه الفترة من آثاركشفت عنه بعثة ليتمان عام ١٩٠٥ ويتمثل فى أعداد من المسلات راقدة على الأرض أو قائمة تملأ صورها كتب التاريخ ونشرات السياحة، ويشير القوس الذى يعلوها إلى أرتباطها بعبادة الشمس التى كانت سائدة قبل دخول المسيحية، وقد تحمل نقوشا زخرفية لا تتضمن أية إشارات تاريخية عمن أقامها أو سبب إقامتها. أما الآثار التى أكتشفت عام ١٩٥٣ فضمت تمثالاً لملك ومذبح من حجر جيرى يعودان للقرن الخامس قبل الميلاد وعليهما كتابة سبأية لا يستدل منها على اسم الملك أو سنى حكمه.

وخلا الكتاب من أية إشارات عن الشعب وعن أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد تلقى الضوء على تلك الحقبة التاريخية الطويلة. وهذا شأن كتب التاريخ القديم عموما. إذ كانت تدور حول الحكام وحسب. على أن العملات البرونزية القديمة التى تم العثور عليها عام ١٩٥٨ ، وتحمل أسماء وصوراً، أيدت وجود بعض من ملوك أكسوم التى ذكرها فى حقبة ما بعد الميلاد، ومنهم زوكالاس وأفيلاس، إلى جانب أديبيس

---

(٧) حدث أن رفض الإمبراطور "لبنا دنجل" الزواج من بنت سلطان ولاية "هاديا" بسبب بروز أسنانها (بضب)، فقامت الحرب بينهما واتسع نطاقها لتشمل ولايات أخرى. وقد اضطرت الفتاة للزواج من أحد أمرائه لأنها كانت تنصرت ولا يمكنها العودة إلى أسرتها.

ووازيب الأول اللذين حملت العملات إسميهما بالجئز. وتميز إيزانا بأنه ترك لوحات سجل عليها حملاته العسكرية بالإغريقية والسبأيه والجئز، أكتشفتها بعثة ليتمان عام ١٩٠٥، تؤكد ما جاء عنه فى المصادر التاريخية من أنه كان من أعظم من حكموا أكسوم. فقد مد سلطتها إلى حمير وريدان وسنا وصالحين فى اليمن شرقا، وإلى مروه فى النوبة غربا والتى هاجمها حوالى عام ٣٤٠م بسبب المنافسة الاقتصادية واعتداءاتها على حلفائه، وإلى أراضى البجة الموالية للرومان شمالا بسبب اعتداءاتها على جيرانها ونهبهم. وقد حقق لأكسوم السلام والازدهار (٨) بحملاته ضد قبائل محلية فى الشرق والجنوب وحتى "ساسو" غربى بحيرة تانا حيث مناجم الذهب.

والعلاقات بين المهاجرين الذين استقروا غرب البحر الأحمر وبين موطنهم الأصلى شرقه استمرت متواصلة ردحا طويلا من الزمن، وإن اتسمت بالمنافسة أحيانا وبالتوتر والصراع أحايين أخرى. ففى القرون الميلادية الأولى قام الأكسوميون بحملات لتأديب الحمريين وغيرهم من شعوب جنوب غربى الجزيرة بسبب تهديدهم للتجارة الإثيوبية بالتصدى والنهب. ثم أتجهوا إلى السيطرة الكاملة على المنطقة لموقعها الجغرافى الذى كان يتحكم فى طرق التجارة البرية المتجهة منها إلى أراضى ما بين النهرين وسوريا والبحر المتوسط، والطرق البحرية المرتبطة بالبحر الأحمر والمحيط الهندى والبلاد المطلة عليهما فى كل من إفريقيا وآسيا. وإلى جانب ثرواتها الطبيعية. وبعد تحولهم إلى المسيحية إتخذ تدخلهم بعدا دينياً. فاليهود الذين تشتتوا بعد خراب الهيكل عام ٧٠م استقرت أعداد منهم بقيادة فنحاس فى الجزيرة العربية وفى اليمن بالذات، إلى جانب إثيوبيا. ولما تزايد عددهم فى اليمن خصوصاً فى القرن الرابع بعد ما جعل ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ ـ ٣٩٥) المسيحية الديانة الرسمية للدولة الرومانية الشرقية، وآلت إليهم الأمور وتوطد مركزهم فى البلاد، أخذوا يضطهدون المسيحيين الذين استقروا فى حمير+. لهذا قام "إلأميدا Ella 'Amida الأكسومى بمهاجمة اليمن واحتلالها عام ٣٤٥م. وبعد ذلك بقرنين تقريباً (٥٢٢م)

(٨) زار "كوزماس" السكندرى أكسوم وميناء عدول وهو فى طريق عودته من الهند وانبهر بما شاهده من كنائس وقصور، وبنشاط الميناء وازدحامه بالسفن القادمة من السواحل المصرية وإيلات وموانى آسيا. وأشاد بالعلاقات التجارية بين أكسوم واليمن وفارس والهند، وبتحكمها فى طرق القوافل البرية إلى الصومال جنوبا وبلاد حوض النيل غرباً.

+ كان أغلبهم من الأرثوذكس اللاخلقدونيين وكانت مملكة حمير وحدها تضم أربع أسقفيات فى ظفار وعدن ونجران وبها العديد من الكنائس وأديرة للرهبان وأخرى للراهبات.

هاجم كالب ملك أكسوم اليمن لنفس الأسباب أيام "ذى نواس" الذى هرب بعد هزيمته. فلما عاد هاجمه كالب ثانية عام ٥٢٤ بجيش قوامه ١٢٠ ألف مقاتل، لأنه ضاعف اضطهاده للمسيحيين ووسع نطاقه. واحتل اليمن وقضى على ذى نواس وعين أبرهة الأشرم حاكما لها (٩). واستمر هذا الاحتلال حتى أواخر القرن السادس حين ثارت البلاد بقيادة "سيف ذى يزن" الذى استنجد بالفرس فخفوا لنجدته بجيوش جرارة هزمت الإثيوبيين وحلوا محلهم، وعبر كثيرون منهم إلى الساحل الإفريقى ومدن إثيوبيا حيث مارسوا التجارة.

ولم تسلم إثيوبيا ذاتها من هوج التعصب اليهودى على يدى الملكة يوديت التى لقبت بالنار Isat وبالوحش كما جاء ذكره فى الفصل السابق. وقصتها موضع خلاف(١٠). فالبعض يعتبرها واحدة من الحكام الصغار الذين كانوا يحكمون ممالك أو إمارات صغيرة تخضع لأكسوم بصورة أو بأخرى أو مستقلة عنها. وأنها استغلت الضعف الذى أصاب البيت الأكسومى بداية بالقرن السابع الميلادى، وقامت بما قامت به فى النصف الثانى من القرن العاشر (٩٧٠) نتيجة للصراع التاريخى "الصامت" بين الحامية والسامية.

وهناك من يعتبرها أولى حكام البيت الزجوى zagwe الذى اقتلع الأسرة السليمانية. وأن البيت الزجوى نفسه لم يكن يهوديا ولكنه استعان بعناصر متمردة على البلاط الأكسومى حامية الأصل من قبائل الأجوا القوية والتى كانت تحتفظ بالقديم من اليهودية

---

(٩) تذكر السجلات أن الإمبراطور يوستين هو الذى حث كالب على نجدة مسيحيى اليمن بحكم ما كان بينهما من علاقات طيبة، وعرض عليه أسطولا رومانياً لمساندته. وكان البابا تيموثاوس الثالث (٥١٨ ـ ٥٣٥) بابا الأسكندرية قد استنجد بيوستين بعد ما بلغته أخبار فظائع ذى نواس الذى حفر أخدودا عميقاً يلقى بالمسيحيين فيه ويشعل فيهم النار.

(١٠) ويعود هذا الخلاف وغيره إلى عدم وجود سجلات تؤرخ لهذه الأحداث بتفصيل. فالسجلات الموجودة محدودة وقاصرة على ذكر أسماء الملوك والأباطرة التى كثيرا ما تسبب البلبلة لأن الأباطرة حين يتوجون يعطون "أسماء عرش" جديدة إلى جانب أسماء الميلاد وأسماء الشهرة، فيصبح لهم أكثر من إسم. ثم أن مصادر التاريخ الرئيسية وهى النقل الشفهى والمخطوطات والكتب والآثار المشيدة تعرضت لأخطار جسيمة منذ القرن العاشر الميلادى، أدت إلى قتل مصادر التاريخ الشفهى وحرق الكتب والمخطوطات وتدمير الآثار القائمة من كنائس وأديرة ومسلات وغيرها. ثم أن فصل المطر الغزير فى إثيوبيا يعمل على حت الآثار وتفكيكها واكتساحها، بعكس الحال فى مصر حيث ساعد المناخ الصحراوى الجاف على الحفاظ على الكثير من الآثار فى حالة جيدة.

* ومن القصص التى ذكرت عن يوديت أنها كانت من أميرات أكسوم ولكنها سقطت فى المعصية وطردت فى خزى، فلما عادت كانت تشتعل حقدا ورغبة فى الانتقام.

الشعوب السامية وديانتها المسيحية، وضد سطوتها. ومما يؤيد ذلك أن الذى خلف يوديت كان الملك تكلاهيمانوت المسيحى الذى عمل على إعادة الكنائس والأديرة التى دمرت، وأعاد العلاقات مع الكنيسة المصرية وطلب رسامة مطران جديد ليرأس الكنيسة الإثيوبية وفقا للتقليد. وجاء فعلا أنبا دانيال (أوائل القرن الحادى عشر؟) بوساطة من زكريا ملك النوبة، واستطاع توحيد الأسرة المالكة المسيحية. وكان سابع ملوك هذه الأسرة كما جاء فى كتاب "كبرانجست" الملك لاليبالا الذى أطلق عليه الإثيوبيون اسم "سليمان الثانى" ورفعوه إلى مرتبة القديسين ناسبين إليه العديد من المعجزات التى جرت أثناء حياته ومنها ما حدث قبل ولادته وبعد موته، وصار اسمه بعد اعتلائه العرش "جبرا مسقل (عبد الصليب)" وازدهى عصره بالسلام والعمران إذ اهتم بتعمير الكنائس والأديرة وبنى كنائسه المشهورة المنحوتة فى الصخر والتى قدر عددها بإحدى عشرة بعضها باق حتى الآن. وأراد أن يقيم فى منطقة عاصمته الجبلية التى كانت تعرف باسم روها Roha مثالاً لأورشليم، ويشار إليها بأورشليم الجديدة حتى الآن. وقيل إنه زار مصر والأراضى المقدسة قبل موته.

ومما يجدر ذكره أن تاريخ قيام الأسرة الزجوية ذاته موضع خلاف وإن انعقد إجماع حول تاريخ سقوطها وهو عام ١٢٧٠م. فبعض المصادر تقول إنها استمرت فى الحكم ثلاثة قرون تقريباً وفى هذه الحالة تكون يوديت وأعمالها هى التى أجهزت على الأسرة السليمانية ومهدت لقيام الأسرة الزجوية، أو تكون هى مؤسستها. فى حين يقدر البعض الآخر فترة حكمها بنصف هذه المدة تقريباً، وأن قيامها كان أوائل القرن الثانى عشر أو حوالى عام ١١٣٧، ومع ذلك لا تقدم المصادر الإثيوبية شيئاً عما حدث فى نصف المدة الأول. يضاف إلى ذلك أن الملابسات غير واضحة. فمصدر يقول إن يوديت قطعت علاقتها بالكنيسة القبطية وطردت المطران القبطى. فهى كانت ملكة داموت وهى مملكة وثنية مستقلة تعرف باسم "بانو ألداموته". وفى مصادر أخرى تستند إلى ما جاء فى أخبار بطاركة الإسكندرية، أن إمبراطور إثيوبيا (لم يذكر اسمه) بعث بسفارة إلى چورچ ملك النوبة يصف له ما حل ببلاده من خراب على يد يوديت وينسب أسباب هذه البلوى إلى الانقطاع الطويل للعلاقة بين الكنيستين منذ بداية القرن العاشر بسبب ما حل بأنبا بطرس الأول من سجن وتعذيب(١١). ويطلب منه أن يتوسط لدى بابا الإسكندرية فى طلب الصفح وإرسال مطران جديد. ونجحت وساطة الملك چورچ بوصول المطران الجديد وهو أنبا دانيال.

---

(١١) راجع صـ١٨٧ من الكتاب

والواضح من كل هذا أن ضعف أكسوم الذى بدأت مظاهره بعد حكم كالب العظيم وإبنه "أتسى جبرا مسقل" أواخر القرن السادس، واستكمل حلقاته بعد ظهور الإسلام وسيطرته على سواحل البحر الأحمر فى القرن السابع، أدى إلى إنطوائها على نفسها داخل حدودها خوفا على كيانها وعلى عقيدتها بعد ما انقطعت علاقتها بالعالم المسيحى أو كادت، وباتت مهددة بالإسلام من الشرق، ومن الشمال عن طريق قبائل البجة (١٢)، إلى جانب التهديد الوثنى من جانب الجلا فى الجنوب. كما انفتح الباب لصراعات داخلية وتطاحن على الحكم والعرش، إنتهى فى إحدى مراحله إلى قيام الأسرة الزجوية التى بنت شرعيتها أيضاً على أصول سليمانية تعود إلى ابن لسليمان أنجبه من وصيفة ملكة سبأ! وإن قيل أيضاً أن مؤسسها تزوج من "أرماد" أو "دلانّاد" بنت أحد ملوك أكسوم، وانقلب على صهره وانتزع العرش لنفسه ولزوجته كملكة اعترفت بها الكنيسة. ومع أن أصول هذه الأسرة كانت حامية فثقافتها كانت سامية ولغتها كانت الجئز. ونقلت عاصمتها إلى منطقة لاستا الجبلية الوعرة عند منابع نهر تكزّ على بعد مائتى كيلومترا جنوب شرق أكسوم إمعاناً فى تحصين كيانها، ولكنها لم تهنأ بالحكم طويلاً بسبب استمرار الصراع الداخلى خاصة وأنها اغتصبت الحكم، وظلت فى نظر التاريخ مغتصبة رغم عظمة بعض ملوكها ومآثرهم على البلاد وكنيستها (١٣).

والثابت أن ملوك الأسرة السليمانية هربت (١٤) واستقرت فى مناطق من هضبة جودچام وفى إقليم شوا بالذات، وهناك انزوت وخفضت جناحها وابتعدت عن الأضواء، وإن ظلت متكتلة تحافظ على تسلسلها وتتحين الفرصة لتستعيد عرشها السليب. وقد حانت هذه الفرصة أواخر القرن الثالث عشر حين تقلص نفوذ غريمتها وانتهزها أحد

(١٢) كان موطنهم يمتد بين النيل والبحر الأحمر شمال إثيوبيا، وتحركت إلى هذه المناطق بعدما هزم "سلكو" النوبى البلمييين منتصف القرن السادس الميلادى. وحفل تاريخهم بحركات توسعية اتجهت صوب حدود مصر شمالا وإريتريا جنوباً. وبعد دخول العرب مصر بدأوا يهتمون بأرض البجة وهاجرت بطونهم إليها، وبدأ دخول أهلها فى الإسلام عن طريق التجارة والمصاهرة، واستطاعوا اختراق هضبة إريتريا ومنها إلى شمال إثيوبيا ومعهم الإسلام عن طريق وادى بركة آواخر القرن السابع.

(١٣) من رأى بعض الذين كتبوا عن هذه الحقبة أنه كان من الخطأ الكبير أن يتعاون الإكليروس مع يكونو أملاك ضد الأسرة الزجوية التى أعطت الكثير للكنيسة فى مدة حكمها القصير وتركت معمارا وآثارا تفخر بها إثيوبيا اليوم.

(١٤) وتذكر الروايات أن يوديت هاجمت المكان الذى كان يسجن فيه أعضاء عائلة الإمبراطور القائم من الذكور، كما هى العادة، وقتلتهم جميعاً إلا واحدا تمكن من الهرب وهو الذى جاء من نسله يكونوأملاك الذى أعاد الأسرة السليمانية. وقيل إن عادة جمع الأمراء وحبسهم مدى الحياة توقفت بعد ما فعلته يوديت بهم ولكنها أعيدت فى الغالب فى عهد باإيدامريم (١٤٦٨ ـ ١٤٧٨) والذى أختار قمة (أمبا) جيشان لهذا الغرض.

أمرائها الأقوياء واسمه يكونو أملاك الذى لعب أوراقه بحكمة. فقد خرج من المنطقة الحصينة المعروفة باسم "بوروميدا" بالقرب من بحيرة هايك التاريخية فى إقليم شوا وأعلن تمرده على الملك الزجوى "يتبارك". واعتمد فى تحركه على مصدرين للدعم أحدهما سلمى وهو الكنيسة حين تقرب من قياداتها وعلى رأسها تكلاهيمانوت رئيس دير دابرالبانوس ليقوم بالترويج لدعواه ويعبىء الشعب وراءه. والثانى عسكرى حين تقرب إلى سلطان ولاية إيفات المسلمة ليمده بقوات عسكرية فى مقابل أن يطلق يده فى سلطنة شوا الإسلامية ليضمها إلى ولايته. وفى عام ١٢٧٠ تحقق ليكونو أملاك هدفه فى القضاء على الزجويين بالدعمين معاً ونقل عاصمته إلى تاجيلات بشوا وأعاد الأسرة السليمانية إلى السلطة(١٥). وإن ذكر أن تكلاهيمانوت استطاع بالإغراء وبالتهديد والتلويح بالتدخل العسكرى أن يقنع الملك الزجوى بالتنازل عن العرش سلميا. وحظى تكلاهيمانوت بمكافأة ثلاثية: احتفظ برئاسة دير دابرالبانوس ورّفع إلى درجة جديدة هى الإتشيجى ليكون رئيسا للرهبان والأديرة الإثيوبية، وكرّم بأن نسب أصله إلى صادوق الكاهن الذى رافق منليك الأول ابن سليمان، ورفع إلى مرتبة القديسين الذين تعترف بهم الكنيسة القبطية. ومنحه يكونو أملاك ثلث أراضى الدولة، بمقتضى وعد قطعه على نفسه، وذلك لتتمكن الكنيسة من تأدية رسالتها مستعينة بدخل متحرر من كافة الضرائب. أما ثالث المكافأة فكان السعى لاستعادة العلاقة مع الكنيسة القبطية الأم التى وهنت وكانت شبه منقطعة قرابة أربعين عاما، لأسباب مختلفة من بينها الحروب الصليبية . ومما يذكر أن تكلاهيمانوت شغل كرسى المطرانية حتى وصل المطران الجديد وهو أنبا يؤنس فأعلن له خضوعه وانصرف إلى خدمته ومهام وظيفته كإتشيجى، وان ذكرت المصادر أن يؤنس رسمه أسقفا فى سابقة غير مسبوقة.

– ٣ –

صراع دينى

تورط الإمبراطور يكونوأملاك فى الصراع الإسلامى عندما حاول الوفاء بوعده لسلطان إيفات، عمرو لسمع، بأن يطلق يده فى سلطنة شوا الإسلامية ليقهرها ويضمها لسلطنته، إذ لم يتحقق لعمرو ذلك إلا عام ١٢٩٠ بعد عشرين سنة من المناورات السياسية والصراع المسلح ساعده خلاله يكونوأملاك وبسبب ذلك أذيع عنه فى العالم الإسلامى خطأ أنه

(١٥) بدأت هذه الأسرة نظام تسجيل أحداث الإمبراطورية رسميا بإنشاء منصب "تصهافى يئزاز" أو وزير القلم.

يحارب المسلمين فغضب سلطان مصر الظاهر بيبرس ومنع البابا كيرلس الثالث من الاستجابة لرغبة الإمبراطور فى رسامة مطران جديد لكنيسته والتى عبر عنها برسائل موجهة للبابا والسلطان.

والتواجد الإسلامى فى شرقى إثيوبيا جاء نتيجة طبيعية للهجرات العربية المستمرة من بلدان الجزيرة العربية. فما أن ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى حتى كان القادمون من المسلمين (١٦). وتزايد عددهم نتيجة للصراعات الدامية التى اندلعت أيام الأمويين والعباسيين خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. واشتغل معظمهم بالتجارة فى مختلف السلع والمنتجات، وكانت تجارة الرقيق الإفريقى هى الأوفر حظا لعائدها الضخم من الأرباح. وحققوا ثروات طائلة منحتهم قوة مؤثرة مع الأيام بينما كانت أكسوم تعانى الضعف+ حتى أنها عجزت عن حماية شعبها مما دفع بعضه إلى اللجوء إلى مناطق المسلمين يلوذ بحمايتهم. وبدأت تتشكل مراكز قوى إسلامية فى شرقى إثيوبيا كان أولها فى شرق إقليم شوا حيث حلت به قبيلة مخزوم حوالى عام ٨٨٤م ونمت ثروتها وقوتها مما مكنها من تأسيس سلطنة إسلامية استمرت زهاء أربعة قرون حتى قضى عليها عمرو لسمع وضمها إلى سلطنته إيفات. وقد حافظت على ما يبدو على علاقات ودية وسلمية مع أكسوم مما شجع بعض ملوكها على اللجوء إليها فى الحماية أو سعياً للمساعدة كلما نشب صراع بين الطامعين فى العرش.

وتكونت بالتدريج ست سلطنات إسلامية أخرى شكلت ما يشبه الحزام حول الهضبة الإثيوبية وهى إيفات وبالى وداره ودوارو وأرابينى وهديه (هدايا) التى كانت تعتبر أقواها

(١٦) فى عام ٦١٥ م لجأ بعض الصحابة من وجه اضطهاد قريش إلى بلاط ملك أكسوم حيث توقعوا أن يجدوا عنده الحماية والسلام والعدل كما أكد لهم النبى الذى أوصى بالإثيوبيين خيرا، ومدح شجاعتهم ووصفها بأنها تمثل تسعة أعشار شجاعة الجنس البشرى. إلا أن العلاقات بدأت تتغير بعد أقل من عقدين من الزمان بسبب أعمال القرصنة البحرية. وفى عام ٧٠٢ احتل المسلمون مصوع وجزر دهلك وأشعلوا النار فى ميناء عدول مما أدى إلى سقوطها شبه النهائى كما دمروا موانىء أخرى مما أدى إلى طرد الأكسوميين من السواحل وهبوط أكسوم إلى قوة سياسية لا يعتد بها. وذكر أن هذا كان ردا على هجمات القراصنة الإثيوبيين المتكررة وعلى هجوم ثقيل لهم ضد جدة.

+ وكانت الكنيسة الإثيوبية تعانى الضعف نتيجة لضعف الكنيسة المصرية حسب قول زاهر رياض، بحيث عجزت عن رعاية شعبها دينيا وروحيا واجتماعيا. ولم يجد بعض المسيحيين غضاضة فى تقديم بناتهم للمسلمين ليصهروا إليهم طلبا فى الأمن.

وأغناها وأوسعها تجارة خاصة بتجارة الرقيق. وكانت هذه السلطنات مستقلة إدارياً وثقافياً وتزخر بالمدارس والمساجد، وإن كانت عمليا تتبع إمبراطور إثيوبيا، وهو الذى يتولى تعيين أمرائها (١٧) ويتزوج من بناتهم ويتلقى منهم الضرائب. وشكلت السلطنات الست ومعها سلطنة شوا الإسلامية ما يشبه الحاجز الذى حال دون إثيوبيا والبحر وبالتالى بقية العالم. فالسواحل تحت سيطرتها والتجارة الخارجية والداخلية فى حوزتها، وباتت تمثل دور الوسيط middleman بين إثيوبيا والعالم الخارجى.

ومثلت تجارة الرقيق استنزافاً بالغا للثروة البشرية الإثيوبية، ومكنت تجارها من أن تكون لهم سطوة وكلمة نافذة فى شئون الإمارات، وقدرة على إثارة الأمراء بعضهم ضد بعض بل وضد السلطة المركزية الإثيوبية من أجل تحقيق مصالحهم. وكانوا يجمعون الرقيق بكافة السبل إلى نقاط لهم على السواحل لتحمله سفنهم إلى مراكز التجمع فى جزر دهلك وصنعاء ومنها إلى الأسواق العربية فى اليمن وباقى الجزيرة العربية ومصر، والى أسواق بعيدة فى فارس والعراق والشام وأوربا. وتميز الرقيق الإثيوبى بالصدق والأمانة فكانوا يعينون أمناء على الحريم والأولاد والأموال (١٨).

وأدت هذه التجارة أيضاً إلى استنزاف هيبة الإمبراطورية أمام شعبها كلما عجزت سلطاتها عن وقفها وعن وقف الممارسات اللاإنسانية التى يتعرض لها أبناؤها، كما تحولت إلى مصدر احتكاك بين هذه السلطات وحكام السلطنات، ثم زادت التحديات وتطورت الأوضاع إلى صراع مع بداية القرن الرابع عشر الميلادى. وبدأت الشرارة كما يبدو من ولاية حديثة باسم عَدَلْ قامت حول بحيرة أواسا وحتى خليج عدن وحاكمها السلطان صدر الدين، وكانت بسبب المنافسات التجارية كما نسب إلى سلطانها قتل الممثل التجارى والجمركى الإثيوبى فى ميناء زيلع.واستمر الصراع مستعرا سواء بين الإمارات بعضها ضد

---

(١٧) فإذا مات سلطان إحداها قصد أهله وأتباعه إلى قصر الإمبراطور يتنافسون فى التقرب إليه وتقديم الولاء والعطايا له ليختار من بينهم من يتولى أمور السلطنة، التى كانت تعرف أيضاً بالإمارة وبالمملكة، ويدعى حاكمها بالإمام أحياناً.

(١٨) المرأة التى قال عنها النبى "أم أيمن أمى بعد أمى" وأحب من أجلها الإثيوبيين كانت جارية إثيوبية لعبد الله بن عبد المطلب وشهدت ولادته بعد وفاة أبيه وصارت له بمثابة الأم بعد موت أمه آمنة، وظلت تعتنى به فى بيت عمه عبد المطلب.

بعض أو بينها وبين السلطة المركزية قرابة القرنين، فى دورات من الكر والفر تنتهى كل دورة برضوخ السلطنات، لتبدأ تحالفات جديدة للتمرد والثورة. وكانت سلطنتا إيفات وعدل وراء غالبية الحروب. وبرز اسم الإمبراطور أمدصيون (عمود صهيون ١٤١٤ ـ ١٣٤٤) (١٩) فى القرن الرابع عشر، وزارايا كوب (١٤٣٤ ـ ١٤٦٨) فى القرن الخامس عشر ودورهما فى هذا الصراع وقدرتهما على احتواء السلطنات، وخاصة الثانى الذى قضى على تجارة الرقيق وعصابات الإجرام، واحتوى السلطنات فى قبضته. فاستقرت أحوال الإمبراطورية فى عهده وازدهرت نسبياً قرابة ستة عقود أى حتى منتصف حكم لبنادنجل (بخور العذراء) ١٥٠٨ ـ ١٥٤٠ حين اشتعل الصراع مرة أخرى أوائل القرن السادس عشر، فهاجم لبنادنجل عدل ودمر قصر السلطان، وأغضب سلطان هدية حين رفض الزواج من أبنته، وحارب أبوبكر بن آزر سلطان إيفات، بؤرة الصراع ومأوى العصابات، وهزمه ثم أبقاه فى مكانه بعد ما أظهر الندم والخضوع له. وكان أحمد بن إبراهيم الغزالى المعروف بالأشول(٢٠) من حلفاء لبنادنجل فى معاركه فعينه حاكما لهرر تقديرا لولائه ولبلائه، ولكن للأسف وقعت القطيعة بين الرجلين بتحريض من أبوبكر بن آزر واندلعت المعارك بينهما وانتهت بهزيمة لبنادنجل وأبوبكر.

فى هذه الأثناء، أى أوائل القرن السادس عشر، ظهر حليف جديد للسلطنات الشرقية مما أدى إلى تفجر الصراع وتطوره حتى بلغ قمة النكبة لإثيوبيا. ولم يكن هذا الحليف إلا تركيا العثمانية التى وصلت إلى اليمن عام ١٥٢٥ واحتلت عدن عام ١٥٣٨ واستولت على زيلع وسواكن ثم مصوع عام ١٥٥٧، وبات البحر الأحمر تحت سيطرتها وأغلق تماماً فى وجه الإثيوبيين. وكانت أطماع تركيا العثمانية بعد إنهيار الإمبراطورية البيزنطية لا حدود لها، إذ كانت تريد إقامة إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف تناطح بها أحلام الدول الأوربية وخاصة البرتغال التى كانت هى أيضاً منهمكة فى بناء إمبراطورية لها فى الهند وشرقى

(١٩) بدأ أمد صيون حياته ماجنا ولما بكّته أحد الرهبان أمر بجلده فى شوارع العاصمة، وحدث ليلتها أن شب حريق أتى على أجزاء من المدينة وفسره الرهبان بأنه قصاص حل بسبب جلد الراهب. المهم أن حياته تغيرت بعد هذا الحادث وتحول إلى الاهتمام بإمبراطوريته. وأعد كتابا فى الحكم باسم سرآت منجست.

(٢٠) قيل إنه بدأ حياته جندياً نظامياً فى الجيش الإمبراطورى، ولفت تدينه الأنظار إليه وزوجه السلطان محفوظ سلطان هرر إبنته وصار هو حاكما لهرر ثم تدهورت علاقته بلبنادنجل، ومن القصص التى تدور حوله أن أباه كان مسيحيا، ولما وقع فى خطية الزنا حكم عليه الرهبان بالموت، فغرست أمه فيه رغبة الانتقام لأبيه.

إفريقيا. ووجد العثمانيون فى أحمد الغزالى حاكم هرر ضالتهم التى يحقق لهم أهدافهم. وهو رجل اشتهر بين أتباعه بالتقوى والاستقامة ولقبوه بالإمام. واتصل به الأتراك من زيلع وأقنعوه بحلمهم الذى يدور حول إمبراطورية إسلامية يكون هو قطبها فى البحر الأحمر وإثيوبيا. وزودوه فعلا بالسلاح النارى الحديث من بنادق ومدافع والذى لم تعرفه إثيوبيا. وقام بعض الجنود الإنكشارية بتدريب قواته على استعمال الأسلحة الجديدة.

وبدأ الإمام فى تحقيق المشروع المشترك بالاتصال بالسلطنات الشرقية الإسلامية لضمان ولائها وتعاونها، وتجمع له جيش جرار ضم عدداً كبيرا من الصوماليين والدناكل شديدى التعصب والبأس. وبدأ حملته "الجهاد" ضد الإمبراطورية عام ١٥٢٧ واستمرت حتى عام ١٥٤٢ . فبعد انتصار ساحق فى معركة "شامبرى كوير" احتل السلطنات الشرقية، ثم اجتاح مناطق الهضبة من بحيرة هايك حتى أكسوم ومنها إلى بحيرة تانا، ووصل غرباً إلى حدود دولة الفنج على النيل الأبيض. وحيثما حل كان التخريب والتدمير والتنكيل بالبشر، فحرق الكهنة والرهبان وكل من رفض الأسلمة، ودمر الأديرة بما حوت من مخطوطات كانت تشكل قوام آداب الأمة، ودمر حرقا الكنوز الإثيوبية التى تجمعت عبر القرون بواسطة الأباطرة، كما نهب ودمر الآثار التاريخية والكنائس العظيمة من بينها كنيسة "مكان سلاسى" التى كان بإمكان الأعين أن تشاهد من بعيد بريق الذهب الذى كان يغطيها بطولها. أما داخلها فكانت الجدران حتى السقف مغطاة بالذهب والفضة المطعمين باللؤلؤ.

وعاود الإمبراطور لبنادنجل (٢١) من مخابئه التى كان يلجأ إليها هارباً من وجه الإمام الاتصال بالبرتغاليين (٢٢) طلبا فى نجدتهم له، واستطاع عام ١٥٣٥ تهريب رسالة خارج

(٢١) عرف أيضاً باسم داويت الثانى وتاج سجد.

(٢٢) وهى اتصالات قصد بها الحصول على دعم من العالم المسيحى فى مواجهة التهديد الإسلامى وبدأها الإمبراطوران إسحق وزارا ياكوب. وجاءت الاستجابة على رسائلهما عام ١٤٩٣ بوصول أول مبعوث وهو Pedro de Covilham. وتابعتها الإمبراطورة إلينا أوهلنا زوجة الإمبراطور ناءود وأم لبنادنجل وقت أن كانت وصية عليه، إذ بعثت بماثيو الأرمنى إلى دون مانويل ملك البرتغال الذى أرسل بعثة وصلت إثيوبيا عام ١٥٢٠ وغادرتها عام ١٥٢٦ وكان كاهنها "الفارز" الذى كتب وصفا مطولاً للبلاد فى غاية الأهمية. وطلب الإمبراطور من البعثة العمل على أن تتعاون البرتغال وأوربا على مساعدة إثيوبيا وطلب سلاحا وحرفيين مهرة. وطلبت البعثة من الإمبراطور أن يتنازل عن مصوع للبرتغال لتكون قاعدة لها فوافق. ومما يذكر أن إلينا قدمت لملك البرتغال عرضا بالمصاهرة لإبنها لبنادنجل.

بلاده إلى البرتغاليين حملها برمودز Bermudez أحد رجال (حلاّق) البعثة البرتغالية الذى تخلف بعد مغادرتها عام ١٥٢٦ . وتمكن من تسليمها لملك البرتغال الذى قرر إرسال نجدة عسكرية من مستعمرتهم "جوا" بالهند. وفى يوليو ١٥٤١ وصلت النجدة ميناء مصوع وكان قوامها ٤٠٠ جندى بأسلحتهم تحت قيادة كريستوفر دى جاما. وكان كلاوديوس (جلاوديوس ١٥٤٠ ـ ١٥٥٩) على العرش خلفا للبنادنجل الذى مات عام ١٥٤٠ . ودارت معارك صمد المسلمون فى بعضها وهزموا فى معظمها، جرح خلالها القائد البرتغالى وأسر ومزق جسده، وجرح الإمام الأعسر أيضاً. وفى النهاية استطاع كلاوديوس بقواته وبما تبقى من القوات البرتغالية من القيام بهجمة مفاجئة على الأعسر فى معسكره بالقرب من بحيرة تانا فقتله وهو فى حالة استرخاء وقضى على قواته التى تفرقت هربا بعد موته. (٢٣).

وأسدل الستار على حرب كريهة استمرت قرابة خمسة عشر عاما. لم تكن صراعا بين رجال يتمايزون فى الفروسية أو بين أسلحة تقعقع، بل كانت عملية "حرث وتقليب" لكل ما هو قائم من تراث وحضارة على أرض إثيوبيا. كانت غشاوة التعصب المقيت سميكة على البصائر والضمائر لدرجة أن العيون التى انبهرت بالكنائس وما حوت من فن وروعة عجزت عن كف يد الغدر عن حرقها وتدميرها. وضاع تاريخ وضاعت وثائقه وضاع معه تراث إنسانى، لأنه عز على المخرب أن يترك حتى الأطلال وراءه. أما الملايين من الناس فقد "نفق" الكثير منهم شأن البهائم وإن اعتبروا حقا شهداء للإيمان والعقيدة، وهام من هام شأن الخفافيش (٢٤). ومن بقى حيا خسر نفسه يستوى فى ذلك رجل الدين والعلمانى. أما الكنيسة فلم تستعد قوتها وشأنها تماماً بعد هذه الحرب وما تلتها من هجمات الأتراك والجالا وإن استطاعت على مدى السنين إعادة بناء الكثير مما هدم أو أحرق، فى حين اختفى البعض نهائياً مثل دير دابراكِرْب فلم يبق إلا فى المخطوطات أو كنقطة أثرية.

(٢٣) الذى نقل المادة الخاصة عن غزوه الأشول / الأعسر كما كتبها أحد أتباعه إلى الأمهرية هو حبقوق أو إنباكوم وكان تاجرا مسلما تحول إلى المسيحية وشغل منصب إلانشيجى وكتب كتاباً باسم Ankasa Amin ـ البوابة إلى الإيمان وضح فيه أسباب اعتناقه المسيحية.

(٢٤) ظل الناس فى إثيوبيا طوال خمسة عشر عاما يعيشون فى ظلام دامس إذ كانوا يخافون أن يوقدوا سراجاً أو يشعلوا ناراً فيتصيدهم رجال الإمام الأعسر. وقيل إن الإثيوبيين تعودوا على أكل اللحم النيئ (غير المطبوخ) فى تلك الفترة واستمرت عادة متبعة بعد ذلك.

وليت الثمن الباهظ الذى دفعته إثيوبيا فى القرن السادس عشر يذّكر الناس على مدى العصور، وفى عصر العولمة بالذات، بخطر قنبلة التعصب الموقوته، وبالنكبات والمآسى التى تنفجر حين تلعب السياسة بورقة الدين. ومن العجيب أن الأتراك الذين وسوسوا فى صدر الأعسر وقواده أبقوا على الكثير من معالم الحضارة المسيحية حين هزموا بيزنطة ودخلوا القسطنطينية فاتحين. وسلك الإسبان نفس المسلك الحضارى حين أنهوا الحكم الإسلامى فى الأندلس فأبقوا على التراث الإسلامى الأندلسى. بل إن الكتائب الإسلامية حين دخلت مصر لم تمس كنيسة أو ديرا، بل أمنت الناس على معتقداتهم الدينية. ولم يكن هناك سبب لهذه الضغينة الشوهاء التى ملأت قلب الأعسر وأنصاره إذ شهدت كتابات العرب والمسلمين من رحالة (٢٥) ومؤرخين للتسامح الدينى الإثيوبى. ويقول زاهر رياض إن إثيوبيا فى تاريخها الدينى كله لم تعرف العداوة الدينية، ولا التعصب لمذهب دون آخر. فقد اختلفت دياناتها منذ القدم. دخلت اليهودية فلم يرغم حكامها أصحاب الديانات القديمة على اعتناقها، كما لم تقم الحروب بين قبائلها بسبب اختلافهم فى الدين (٢٦). ولما دخلت المسيحية فى القرن الرابع واعتنقها ملوكها أولا واتخذوها ديانة رسمية للدولة لم يحاول الملوك فرضها على الشعب بل انتشرت انتشارا هادئا بطيئا على يد الرهبان والقسوس من إثيوبيين وأقباط دون تدخل الدولة. كما عاشت الوثنية بعاداتها القديمة جنبا إلى جنب مع اليهودية حتى القرن الرابع، وواصلت وجودها ومعها المسيحية حتى الآن. والناس أحرار فى اعتناق ما يشاءون وترك ما يشاءون. وقد عرف عن ملوك إثيوبيا منذ القدم هذا الأفق المتسع حتى تسامح بين الناس فى كافة الأقطار. وقال عنهم نبى الإسلام إن ملك الحبشة لا يظلم عنده أحد. وترددت أقوال مأثورة عن إثيوبيا كأمة "تتعطش للعدل ورعايته".

وبعد هذه الهجمة الشرسة التى قضت أو كادت على قرون من علاقات حسن الجوار، تعرضت البلاد لهجمات الأتراك الذين احتلوا مصوع عام ١٥٥٧ واستقروا فى اقليم

(٢٥) كتب الرحالة عن حكام الإثيوبيين وخصالهم فذكروا أنهم يتميزون بالشجاعة عادلون فى رعيتهم يتفقدون مساكينها ويتريثون فى أحكامهم حتى يتبينوا. وقالوا عن الشعب إنه يحب الغريب ويكرم الضيف. وقل أن يوجد عنده رياء والصديق عندهم لا ينقض عهدا لصديقه. إذا تعاهدوا أكدوا المحبة وأظهروها وإذا غضبوا أعلنوا المباينة وأجهروها غالباً.

(٢٦) من المعروف أن المشكلة الحقيقية فى إثيوبيا، كما فى غيرها من البلاد الإفريقية، هى العرق/ السلالات. والحكم الفدرالى القائم فيها الآن يقوم على تقسيم البلاد إلى ولايات على أساس العرق.

تيجراى، ووصلوا إلى دير دابرا دامو، المكان المقدس، وحاصروه ثم احتلوه وذبحوا الرهبان ونهبوا الكنيسة. واستقروا بالسواحل إذ تمكنت القوات الإمبراطورية من منعهم من التوغل داخل البلاد. وقامت قبائل الجالا بدورها فى تهديد البلاد وتدمير مقوماتها. وهى قبائل كانت وثنية وقريبة عرقيا من الصوماليين. وأصلهم غير معروف وإن قيل إنهم قدموا من وديان وابى wabi وجوبا Juba فى المرتفعات التى تقع بين الهضبة الإثيوبية والسهل الصومالى فى الجنوب الشرقى، وتسللوا شمالاً وغربا مستغلين الاضطرابات التى سادت بين الصوماليين. وعندما وصلوا إلى دورا وفاتاجار فى الجنوب الشرقى تصدى لهم كلاوديوس فى الفترة ١٥٤٥ ـ ١٥٤٧ فاتجهوا شرقا صوب هرر ودمروها. وفى خلال عشرين عاما وصلوا الحدود الشرقية للهضبة وشقوا طريقهم إلى أقاليم أنجوت وأمهرا وبجمادر عند بحيرة تانا، واكتسحوا ثلث الإمبراطورية أواخر حكم الإمبراطور ميناس، مسببين خرابا ومجاعات حيثما حلوا.

– ٤ –

صراع مذهبى

بعد ما توقف الصراع الدينى ووئدت الفتنة، وجراح إثيوبيا مازالت تنزف، أخذت تتجمع فى الأفق عاصفة صراع مذهبى عقيم. فقد اتضح أن المساعدات العسكرية التى قدمتها البرتغال لم تكن لوجه الله، ولم تكن باسم الإخوة وروح المشاركة المسيحية، بل كانت لتحقيق أهداف سلطوية توسعية للبابوية وللبرتغال.

وبالإمكان تتبع تطور العلاقات بين إثيوبيا من جهة وبين البرتغال وروما ممثلين للكاثوليكية من جهة أخرى فى المراحل التالية:

+ قبل أن تعرف أوربا شيئا محققا عن إثيوبيا، وقبل أن تطأها قدم أحد أبنائها، راجت شائعات فى أوربا خلال القرون ١٢ ـ ١٤ عن ملك مسيحى عظيم يجمع بين الملوكية والكهنوت باسم "برستور جون"، وعن ثرائه وقوته وملكه المترامى الأطراف الذى يقع إما فى أوروبا أو فى آسيا صوب المحيط الهندى. وكانت كاثوليكية أوروبا تتمنى أن تتحالف معه فى صراعها ضد الإسلام.

+ يشير المؤرخون إلى رسالة وجهها البابا الكسندر الثالث عام ١١٧٧ إلى ملك يخاطبه بعبارة "الابن المحبوب فى المسيح يوحنا ملك الهنود العظيم" ويعتقدون أنها كانت موجهة إلى ملك إثيوبيا فترة حكم الأسرة الزجوية التى فترت علاقتها مع بطريرك الأسكندرية وكانت تبحث عن بديل لاستقدام مطران للبلاد. وأشار البابا فى رسالته إلى لقاء تم بين طبيبه ومبعوثين للملك أثناء زيارة له فى الشرق عبروا خلاله عن رغبة ملكهم فى الارتباط بكنيسة روما وخضوعه لها. وطلبوا من الفاتيكان أن يتنازل عن كنيسة فى روما ومذبح فى كنيسة القبر المقدس بأورشليم كانا تابعين للاتين. وعبر البابا فى رسالته عن استعداده لتحقيق المطلبين لو أرسل الملك بعثة ومعها رسالة تحمل مقترحاته.

+ أرسل الإمبراطور زارايا كوب (١٤٣٤ ـ ١٤٦٨) ممثلين من الكنيسة الإثيوبية إلى مؤتمر فلورنسا الذى عقد عام ١٤٤١ فى عهد البابا يوجينس الرابع، دعا إليه الإمبراطور چون الثامن من أجل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية وإنقاذ القسطنطينية من الخطر العثمانى. وتمثلت فيه الكنيسة القبطية بالآب إندرواس رئيس دير أنبا أنطونيوس. وقيل إن الممثلين الإثيوبيين زودوا بصلاحيات لإعلان التقارب مع كنيسة روما والخضوع لها.

+ وفى عهد زارايا كوب أيضاً وصل إلى إثيوبيا مبعوث للبابا يوليوس الثالث باسم الأب فرانك يعتبر أول من وصل إليها من الغرب، ودخل فى حوار لاهوتى ساخن مع لاهوتيين إثيوبيين وأفحموه.

+ فى أواخر القرن الخامس عشر (١٤٨١) وصلت إلى روما مجموعة من الرهبان الإثيوبيين بصحبة رهبان فرنسيسكان وقابلوا البابا الذى وافق على طلبهم بإقامة دير لهم، وأقاموه إلى جوار كنيسة القديس بطرس وبنوا به كنيسة صغيرة باسم القديس إسطفانوس.

+ فى عهد الإمبراطور الإثيوبى إسكندر (١٤٨٧ ـ ١٤٩٤) وصل عام ١٤٩٣ بدرو دى كوفلهام de Covilham وألفونسو بايو كسائحين إلى إثيوبيا وظل الأول بها حتى وفاته. وهو الذى ساعد فى ترجمة رسالتى لبنادنجل إلى البابا وملك البرتغال. وقبل وصوله أرسل ملك البرتغال حملة إلى سواحل إفريقيا الشرقية بقيادة بارتولوميو دياز Diaz بأمل الوصول إلى برستورچون لاعتقاده بفائدة التحالف معه.

+ وجاء بعده الرسام الفينيشى نيكولاوس برانكليون الذى قضى فى إثيوبيا أربعين عاما يزين كنائسها بلوحاته.

+ أرسلت الملكة هلينا (إلينا) زوجة الملك ناءود (١٤٩٤ ـ ١٥٠٨) باعتبارها وصية على إبنها لبنادنجل ماثيو الأرمنى مبعوثاً إلى ملك البرتغال دون مانويل Don Manuel تطلب منه إرسال أسطول برتغالى يحتل موانىء بلادها ليقطع السلاح عن السلطنات الإسلامية.

+ فى عهد الإمبراطور لبنادنجل وصلت مصوع عام ١٥٢٠ بعثة دبلوماسية برتغالية، استجابة لرسالة الملكة هلينا، ورحب بها الإمبراطور الذى لم يكن سعيدا لأنها لم تحضر سلاحا. وكانت البعثة برئاسة رودريجودى ليما ودون دورات جلفان وضمت القس فرانسسكو الفارز Alvares. وكان هدفها عقد اتفاقات تجارية والتحالف ضد المسلمين والأتراك. وقضت البعثة ست سنوات، جرت خلالها مناقشات عقائدية مع رجال الدين والإمبراطور قيل إن الجانب البرتغالى لم يوفق فيها، وتسنى للقس ألفارز زيارة كنائس البلاد وأديرتها وأهم معالمها وكتب وصفا مطولا عن إثيوبيا فى فترة إزدهارها قام بنشره فى لشبونه عام ١٥٤٠. وكان أول وصف صادق يكتبه غربى. وتعود أهميته القصوى إلى أنه الوصف الوحيد لكنائس وأديرة ومعالم وأذخار فنية دمرت عن آخرها بعد سفر البعثة بسنوات قليلة أثناء غزوات الإمام الأعسر والجالا. وقد سلمها الإمبراطور لدى مغادرتها رسالة لملك البرتغال جون الثالث طلب فيها إرسال حرفيين من كل نوع لاهتمامه بالحصول على التقنيات الغربية، وإرسال مواد للبناء وألواح من الصاج لتركيبها أسقفا للكنائس بدلا من القش. وكانت الرسالة ودية (٢٧) وكتبت بثلاث لغات هى الجئز والعربية والبرتغالية. وبقى أحد أعضاء البعثة وهو چون برمودز Bermudez بمثابة رهينة لحين وصول الرد على الرسالة الإمبراطورية.

---

(٢٧) جاء فيها: لو كان لى جار مسيحى ما انفصلت عنه لساعة زمن. يا سيدى الملك والأخ إرسل لى دائماً بعثاتك لأنه برؤية رسائلك أشعر كأنى أرى وجهك". وبعث أيضاً برسالة للبابا جاء فيها" الأب الكلى القداسة والقوة، لماذا لم ترسل لنا أحدا ينبهك بوجودنا وأنت الراعى وأنا الخروف؟ الراعى الصالح لا يهمل خرافه أبداً." والتمس منه أن يدعو ملوك أوربا لمساعدته فى وجه المسلمين الذين يحيطون ببلاده من كل جانب. وهى كلمات تعبر عن مدى شعوره بالعزلة، ومدى إحساسه بمأساة بلاده وشعبه.

+ وأرسل لبنادنجل "صجا زاآب" سفيرا له فى البرتغال، قيل إنه لم يوفق هناك، إذ عامله الكهنة البرتغاليون باعتباره "أناثيما" ومنعوه من التناول. وفى أثناء مناقشاتهم معه سخروا من عقيدته ومن ممارسات كنيسته التى وصفوها على أنها غير مسيحية. وكان الجيزويت يعتبرون الكنيسة الإثيوبية كخروف ضال ومخدوعة يضللها سادتها المصريون!

+ لم تحظ رسالة لبنادنجل بالرد فى حينه بينما بدأ أحمد بن إبراهيم الإمام الأعسر حربه المقدسة "جهاد" ضد إثيوبيا عام ١٥٢٧. فصمم الإمبراطور على إرسال استغاثة لملك البرتغال يطلب فيها مساعدة عسكرية عاجلة. واستطاع فعلا إخراج چون برمودز خارج البلاد رغم سيطرة الأتراك على سواحل البحر، ومعه رسالة لملك البرتغال نجح برمودز فى تسليمها. وبعد ست سنوات، عام ١٥٤١، وصلت النجدة العسكرية مصوع بعد وفاة لبنادنجل وكان قوامها أربعمئة رجل.

+ عاد چون برمودز برفقة القوة العسكرية، وقدم نفسه للإمبراطور كلاوديوس باعتباره بطريرك إثيوبيا. فقد فبرك قصة رسامته بواسطة أنبا مرقس المطران القبطى قبل مغادرته البلاد برسالة لبنادنجل، وثبته بابا روما فى هذا المنصب حين قابله فى روما. وادعى أيضاً أن لبنادنجل وافق له على أن يكون بطريركاً إذا وافق البابا على ذلك، كما وافق على تقديم ثلث الإمبراطورية للبرتغال وعلى التحول للكاثوليكية لقاء مساعدة البرتغال له عسكرياً. ولكن كلاوديوس رفض كل هذه الإدعات وتعامل معه بإعتباره شخصاً عادياً أو مجرد دبلوماسى برتغالى مما اضطره إلى مغادرة البلاد غاضباً وتوجه إلى مستعمرة جوا البرتغالية.

+ بعد هزيمة الإمام الأعسر استقر من تبقى من القوة العسكرية البرتغالية فى البلاد وتزوجوا من إثيوبيات وكونوا لهم عائلات. وفى لفتة مجاملة وعرفان بالجميل كتب كلاوديوس لملك البرتغال طالبا أن يرسل لهؤلاء العسكريين كهنة من الكاثوليك لرعاية أسرهم. وفهم الملك رسالة كلاوديوس على أنه يرغب فى التحول إلى الكاثوليكية، ربما بسبب أخطاء فى الترجمة. فاستقر الرأى بين الملك البرتغالى چون الثالث والبابا على إرسال بطريرك وأسقفين من الجيزويت Society of Jesus إلى إثيوبيا مع عدد من الكهنة. وفعلاً وصلوا جميعاً إلى جوا فى طريقهم إلى إثيوبيا. فما كان من كلاوديوس، الذى صدمته هذه الأخبار، إلا أن كتب لحاكم جوا معترضاً على إرسال هذا البطريرك. فأرسل إليه

الحاكم كاهناً شاباً هو جونسالو رودريجز Rodriguez ليقنعه بضرورة ترحيبه بالبطريرك وبتحوله هو شخصياً إلى الكاثوليكية.

+ قضى رودريجز عاماً وهو يهاجم معتقدات وشعائر الكنيسة الإثيوبية، ويؤكد سيادة ورئاسة البابا، ويشدد على كثلكة كلاوديوس، يحرضه على ذلك چون برمودز. وتحمل الإمبراطور عجرفة روديريجز وفظاظته، كما تقول المصادر الإثيوبية، بسبب حاجته إلى العون العسكرى البرتغالى فى مواجهة الصراع المستمر مع السلطنات الإسلامية التى لم تسلم بهزيمة الإمام الأعسر. إلى جانب أنه كان مشغولا بإعادة المسيحية إلى المناطق التى إزيلت منها (٢٨)، يساعده فى هذه المهمة الكبيرة المطران القبطى القدير أنبا يوساب الأول الذى وصل البلاد عام ١٥٤٨.

+ غادر رودريجز البلاد إلى جوا بعد فشله فى مهمته وانضم إلى برمودز حيث عملا معا على تحريض الحاكم والقيادات البرتغالية ضد كلاوديوس لدرجة أن البطريرك والأسقفين الكاثوليك طالبوا بإرسال قوة من خمسمائة جندى لإجبار الإمبراطور على الخضوع لروما، بل وتحولت العناصر البرتغالية الى العمل السرى وخلق أعوان لهم من بين أعداء النظام يزودونهم بالأسلحة والتخطيط. واتصلوا بالأتراك أيضاً واستعدوهم على الإثيوبيين. وساعدوا الثوار ضد ميناس ابن كلاوديوس.

+ تقرر إيفاد الأسقف أندرى دى أوڤييدو de Oviedo ليقوم بدوره فى إقناع الإمبراطور، فوصل مصوع عام ١٥٥٧ ومعه خمسة كهنة وعدد قليل من المرافقين. ورافقت هذه البعثة خمس سفن حربية لتأمين طريقها مما لفت انتباه الأتراك المتمركزين فى اليمن فتحركوا واحتلوا مصوع آخر منفذ لإثيوبيا على البحر.

+ مارس أوڤييدو ضغوطا مجددة على كلاوديوس ليتكثلك مثل أبيه لبنادنجل ويطرد المطران القبطى ليحل محله البطريرك الكاثوليكى. ولم يراع التهديدات التى كانت تواجه البلاد وموقف كلاوديوس الصعب وهو يحارب فى جبهتين: مسلمى أفار وهرر فى الشرق والجلا فى الجنوب، إلى جانب جبهة الأتراك فى الشمال. بل كان يتبع الإمبراطور من

(٢٨) واهتم كلاوديوس بالتراث المسيحى فأعاد نسخ الكتب التى أحرقها الغزاة، كما أعاد بناء العديد من الكنائس والأديرة التى دمرت وشجع الأديرة على القيام بدورها الرائد فى التعليم والكرازة.

جبهة قتال إلى أخرى والإمبراطور صابر ومتماسك حتى لا يغضبه، ومستمر فى معاملة البعثة بكل لطف واحترام. فسمح لزوجات البرتغاليين وخدمهم من الإثيوبيين باعتناق الكاثوليكية، وواصل المناقشات اللاهوتية مع أفراد البعثة. وكتب كتابا بعنوان "إعلان إيمان" دافع فيه عن عقيدة كنيسته (٢٩).

وأخيرا أبدى الإمبراطور استعداده لأن يعترف بالبطريرك الجيزويتى بطريركاً للبرتغاليين فى إثيوبيا فقط. فغضب أوڤييدو وهدد وانسحب معلنا أن الإمبراطور هرطوقى لا شفاء له وحرم كل من يساعده أو يمكث معه، فانسحب معه معظم البرتغاليين، وبقى كلاوديوس وحده دون مساعدة برتغالية مما أدى إلى موته عام ١٥٥٩ وموت معظم جنوده وهو يحارب فى الجبهة الشرقية.

+ لما حاول أوڤييدو الضغط على إبن كلاوديوس الإمبراطور ميناس (١٥٥٩ ـ ١٥٦٣) قاومه بعنف، فقد كان عصبياً صعب المراس (٣٠). وتكرر الصدام بين الرجلين وانتهى الأمر بطرده ومنع الإثيوبيين من حضور الكنائس الكاثوليكية. فانسحبت البعثة إلى فريمونا مركزها فى الشمال. وحرض أوڤييدو الجنود البرتغاليين ضد ميناس فانضموا إلى خصومه وعلى رأسهم "بهرنجوس" (أى ملك البحر ـ مناطق الساحل الشمالى) الذى استعان بدوره بالأتراك، الأمر الذى أثار شكوك القصر والقيادات والإكليروس والشعب فى نوايا الكاثوليك واعتبروهم مصدر خطر حقيقى وتهديد لاستقلال البلاد وسلامتها.

+ انحصر نشاط أوڤييدو وكهنته فى فريمونا بالقرب من عدوه حتى مات عام ١٥٧٧، ومات بعده أعضاء البعثة تباعا حتى خلت فريمونا من العاملين.

+ حاولت جمعية الجيزويت فى جوا (الهند) تزويد فريمونا بالكهنة لرعاية البرتغاليين وذويهم ولم تنجح فى ذلك إلا عام ١٦٠٣ حين تمكن كاهن إسبانى إسمه بيتر بايز

(٢٩) وأوضح فيه أن حفظ السبت ليس بالمفهوم اليهودى بل بإقامة القداس وتقديم الذبيحة الإلهية. أما الختان فهو مجرد عادة شعبية وليس طقسا دينيا. كما أن الناس أحرار فى الامتناع عن تناول ما يشاءون من الأطعمة، فمنعها أو السماح بها ليس فرضاً كنسياً كالحال فى اليهودية.

(٣٠) أسره الإمام أحمد الأعسر أثناء حملته وأهداه للقائد التركى وعانى كثيراً حتى افتداه كلاوديوس أبوه وأطلق سراحه. وكان أيضاً معاديا للبرتغاليين لدرجة أنه استعاد الأراضى التى أعطيت لهم وأجبر النساء اللائى تزوجن برتغاليين وتكثلكلوا أن يتخلوا عنها.

Paez من الوصول إليها. وكان بايز يجيد عدة حرف من بينها البناء وهندسته، كما كان لغويا بارعا سرعان ما أجاد الأمهرية والجئز وأخذ يعظ بهما، وفتح مدرسة فى مقر البعثة للبرتغاليين ولمن يرغب من أبناء الإثيوبيين. كان هدفه المضمر هو كثلكة إثيوبيا كل إثيوبيا، ولكنه فى الوقت نفسه كان يتميز بالصبر والاعتدال والميل إلى التحرك بحذر وحكمة، وكانت له كاريزما حببت فيه كل من تعرف عليه، ووجد طريقه إلى قلوب الإثيوبيين، كما وجده إلى قلوب ملوكهم بالطعم المرغوب وهو "السلاح لقاء الخضوع لروما". فتحول الإمبراطور زادنجل إلى الكثلكة بعدما وعده بايز بمساعدات، فحرمه أنبا بطرس المطران القبطى وقتل بعدها عام ١٦٠٤، وحل محله الإمبراطور يعقوب الذى لحق به عام ١٦٠٧ لنفس السبب[٣١].

+ وجلس سوسينيوس على العرش عام ١٦٠٧ وتوجه أنبا سمعان عام ١٦٠٩ فى أكسوم باسم "ملاك سجد". وكان يرى أن الكاثوليك البرتغاليين هم القادرين على إخراج بلاده من عزلتها ومساعدتها على التطور والتمدن، وكان أيضاً بحاجة إلى مساعدتهم العسكرية لتوطيد مركزه فى وجه عديدين ادعوا بحقهم فيه قدر عددهم بخمسة عشر. فلما وعده بايز باستدعاء قوات برتغالية من جوا لمناصرته وافق على شرطه باعتناق الكاثوليكية وفعل ذلك سراً عام ١٦٢١، وقيل عام ١٦١٩، واتخذ بايز مستشاراً ومعلما. ولما استقر له الأمر ذهب إلى أكسوم عام ١٦٢٢ بصحبة إبنيه وأخيه ورجال دولته وأعلن انفصاله عن المذهب السكندرى وانضمامه إلى الكنيسة الكاثوليكية.

أما "سئل كريستوس" (أى صورة المسيح) شقيق سوسينيوس الأصغر من الأم فجاهر بكثلكته عام ١٦١١ وبدأ العمل على نشرها بالعنف. وعقدت لهذا الغرض فى القصر الإمبراطورى مناظرات ومناقشات عقائدية بين المتكثلكين حديثاً والإكليروس الأرثوذكسى

(٣١) بعد موت ميناس اعتلى العرش رجل حكم البلاد قرابة خمسة وثلاثين سنة من الجهد والجهاد المستمرين مهتديا بسياسات حكيمة وفرت للبلاد فترة من النمو والازدهار والسلام النسبى. إنه الإمبراطور سرسادنجل (١٥٦٣ ـ ١٥٩٨) الذى صارع خصومه واحدا واحدا حتى جلس وتوج فى أكسوم على عرشه. وترك الكاثوليك يباشرون نشاطهم فى مركزهم فى فريمونا فى سلام بعيداً عن دوائر حكمه. وكرس جهده لمحاربة خصوم البلاد فهزم الأتراك وحلفاءهم فى معركة "أدى كورو" وقضى على أطماعهم، وأخضع السلطنات الإسلامية لسلطانه وقضى على القوة العسكرية لإمارة هرر، وأوقف توغل قبائل الجالا غربا وردهم على أعقابهم، وتوغل فى السودان وهزم قبائل الشانكلا المعروفة بقوة الشكيمة.

الذين كان مصير من يقاوم التعليم الكاثوليكى منهم الضرب أما المتشددون فكانوا يؤخذون بعد جلسات المناقشة إلى حيث يشنقون أو تقطع رقابهم. وفى خلال خمس سنوات تم تغيير التقويم والأعياد فصارت رومانية واستبدل صوم الأربعاء بالسبت. وأدينت المعتقدات والممارسات الأرثوذكسية واعتبرت هرطقات وروجعت الكتب الأرثوذكسية وصححت وأضيف ألـ Filioque " ومن الإبن" إلى قانون الإيمان. وأعلن سوسينيوس بطلان كل الرسامات التى تمت بواسطة المطارنة الأقباط على أن تعاد رسامة الكهنة بعد وصول البطريرك الكاثوليكى. وهاجم مطارنة الأقباط المعاصرين وشوه سمعتهم. وألغى العماد الذى تم وبات على المسيحيين إعادة عمادهم. بل إن التوابيت والمذابح التى قدسها المطارنة الأقباط حطمت، وانتهزها سوسينيوس فرصة فجمع الأوانى الذهبية والذهب الموجود فى الكنائس ليسدد به نفقاته الجارية!

+ ومات بيتر بايز عام ١٦٢٢ وهو يظن أن إثيوبيا تكثلكت فعلا. ووصل بعده البطريرك الفونسو منديز Mendez عام ١٦٢٥ ورحب به الإمبراطور وجرى تجليسه بطريركاً لإثيوبيا فى فبراير ١٦٢٦. وكان رجلا يختلف عن بايز اذ وصف بأنه متعصب وضيق الأفق ومعتز بنفسه (٣٢). وقد واجه بعنف شعب تيجراى حين ثار فى وجهه لدى زيارة إقليمه وجرى حرق بعض أفراده أحياء.

+ واجهت تصرفات سوسينيوس مقاومة من الشعب والإكليروس وثورات شعبية حقيقية ففى عام ١٦١٧ مثلاً حدث عصيان بقيادة رجال من القصر وجماعة المثقفين قتل خلاله المطران سمعان بواسطة أحد المتكثلكين فى القصر. وفى عام ١٦٢٢ إندلع عصيان آخر فى

(٣٢) لما وصل إثيوبيا أمر بعقد اجتماع لكبراء البلاد حيث طلب من سوسينيوس أن يركع ويقسم أمامه باعتباره ممثل البابا. وأوقف الإكليروس عن الخدمة حتى يعاد رسامتهم. وأعاد تكريس الكنائس ووضع فيها التماثيل التى يرفضها الإثيوبيون. وحرم الختان. وحدث أن مات رئيس دير مبجل من الشعب فدفن فى دابرا لبانوس مما أثار غضب منديز وأمر بإخراجه على أساس أن كنيسة الدير تنجست وألقى بالجثة بصورة عدم احترام متناهية. وواجه احتجاجات الشعب وثوراته على التغييرات التى أحدثها بوسائل عنيفة ضاعفت فى الواقع من الثورات الشعبية التى أنتهت بطرده ومن معه من الكاثوليك. لم يقدّر منديز صلابة إيمان الإثيوبى الذى استمر يدافع عنه على مدى القرون ويحميه من غوائل خصومه، وعامله كوثنى ينبغى تبشيره وتعميده من جديد مع إن عقيدته الخلقدونية فى نظر لاهوتييه ما هى إلا نسطورية فى صيغة مخففة، ووصمها النساك بـ Serc Maryam أى عدوة مريم باعتبارها تعلم بمريم أم الإنسان يسوع وليست أم الإله!

إقليم شوا بقيادة شخص يدعى كبريال (جبرييل) قيل إنه إبن كاهن مصرى وأم إثيوبية، كون جيشا من الفلاحين المستعدين للموت من أجل القديسة مريم باعتبارها "إم الإله" وناصرته جماعات النساك من الجنسين. ولكن سئل كريستوس نجح فى القضاء عليه حين قتله أحد أتباعه. ومع ذلك استمرت مقاومة الفلاحين والنساك وتطورت ثوراتهـم خلال السنوات العشر التالية. وفى عام ١٦٣٢ وصل الثوار إلى أبواب القصر بدعم رجال الجيش الذى تململ بسبب الفوضى التى عمت البلاد. وكان على سوسينيوس أن يختار بين العرش والكاثوليكية، فاختار العرش وأعلن عن عودة الأرثوذكسية إلى البلاد بعدما أدار ظهره للكاثوليكية والجيزويت. وفى يوليو من نفس العام تنازل عن العرش لإبنه فاسليداس الذى لعب دورا مهما فى تغيير مواقف أبيه. ومضى سوسينيوس إلى الدير حيث قضى نحبه حزيناً بعد تنازله عن العرش بشهرين، وبعد أن تسبب فى قتل عشرات الألوف من الأبرياء "استشهدوا" من أجل عقيدة آبائهم. أما فاسيليداس فقد سارع إلى العمل على إعادة العلاقة مع الكنيسة الأم التى قطعها أبوه، وطلب مطرانا جديداً يحل محل الشهيد أنبا سمعان، وسعى إلى إعادة التعاون القديم بين العرش والكنيسة. ونقل عاصمته نهائياً إلى جندر مدينة الكنائس والقلاع.

+ طلب الإكليروس الإثيوبى من فاسيليداس عقد سنودس الكنيسة فى جندر، واجتمع فعلا رجال الدين من كل أنحاء الإمبراطورية فى اجتماع عام حضره منديز. وتكلم الإتشيحى "باتراجورجيوس" بالنيابة عن الإكليروس وطلب من الإمبراطور تسليم الجيزويت لهم ليحاسبوهم على الدم الإثيوبى الذى أريق بسببهم. إلا أن فاسيليداس رفض هذا الطلب بشدة وسارع إلى "نفى" الجيزويت ـ وقيل طردهم ـ إلى فريمونا ، ومنها إلى الخارج (١٦٣٣) خوفا من أن تنتقم لهم بلادهم لو حدث لهم مكروه. وعلى إثر ذلك نشبت فى البلاد ثورة عارمة ضد الكاثوليك وضد رؤوس الاضطهاد الذى مورس ضد الأرثوذكسيين، وقتل ورجم الكثيرون أثناءها. ولم ينقذ الجيزويت إلا السرعة التى أخرجهم بها فاسيليداس. وخرجوا وهم يتوعدون بالعودة سريعاً ومعهم قوات مدججة بالسلاح لمواصلة ما بدأوه "لإنقاذ إثيوبيا روحيا" (٣٣). وحاول الذين رجعوا منهم إلى مستعمرتهم الهندية فى جوا تنفيذ

(٣٣) وقد أثار تهديدهم هذا خوفاً حقيقياً ليس فى قلب فاسيليداس وحده بل وفى قلوب من جاءوا بعده وحكموا البلاد من جندر عاصمته الأثيرة.

تهديدهم بتحريض الحاكم على إرسال قوة من أربعمائة جندى لاحتلال مصوع وسواكن توطئه لاحتلال إثيوبيا كلها. كما واصل الچيزويت تآمرهم مع أعداء إثيوبيا فى الخارج أمثال الأتراك والمصريين والسلطنات الإسلامية، ومع أعدائها فى الداخل من حكام ورؤوس مستقلين أو متمردين وتزويدهم بالسلاح مقابل تحولهم إلى الكاثوليكية.

+ وحين بلغت روما أخبار فشل منديز وبعثته أرجعته إلى سوء تصرف منديز وحسب وقررت إرسال جمعية أخرى من جنسية أخرى لتصلح ما أفسده دون أن تأخذ فى حسابها صلابة الشعب الإثيوبى ورفضه العنيد لكل مخططاتها. وأرسلت فعلا ستاً من الكابوشان الفرنسيين، قُتل إثنان منهم بواسطة الأهالى قبل وصولهم داخل البلاد، وتمكن إثنان الدخول عن طريق مصوع فرجموا بالحجارة وفضل الأخيران الرجوع من حيث أتوا خوفا على حياتهما. واضطر فاسيليداس إلى عقد اتفاق مع كل من "باشا" سواكن ومصوع العثمانيين لمنع الكاثوليك الأجانب من دخول البلاد بكافة الطرق ليجنب شعبه التورط فى مثل هذه الأعمال المرعبة. وحدث أن وصل ثلاثة من الكابوشان إلى مصوع عام ١٦٤٨ فقتلهم الباشا وأرسل جلودهم للإمبراطور للتأكيد!

وهكذا بلغ الرفض الإثيوبى للكاثوليك وللكاثوليكية إلى هذا الحد الأسيف، كما تثبت شك الشعب فيهم وفى نواياهم بما لا يدع مجالا لأى شك، واعتبرهم مصدر خطر على بلاده فأغلق أبوابه فى وجوههم وفى وجه كل أجنبى. ودخلت إثيوبيا فى عزلة فضلتها على الوقوع فى شراك الأجانب (٣٤).

+ وبعد خروج الجيزويت من إثيوبيا ردد الشعب النشيد التالى:

لقد نجا شعب إثيوبيا من ضباع الغرب ..... تعليم مرقس هو عمود كنيستنا

لنبتهج هلليلويا، ولنهتف هللويا لأن شمس خلاصنا أنارت أرجاء بلادنا

---

(٣٤) وفعلاً مضى قرن ونصف تقريباً بعد هذه الأحداث قبل أن يصل إلى البلاد أى زائر أجنبى. ففى عام ١٧٦٩ / ١٧٧٠ وصلها الرحالة والمستكشف الأسكتلندى چيمس بروس عن طريق مصر والسودان. وكاد يقضى عليه بسبب شك الإثيوبيين فيه ولم ينقذه من هذا المصير إلا حين أكد أنه ينتمى إلى كنيسة تقاوم البابا وترفضه أكثر من الإثيوبيين، ويعنى بها الكنيسة الأنجليكانية.

+ وشهدت أواخر القرن الثامن عشر عودة المبشرين الكاثوليك من كابوشان ولازاريت، مما سيأتى ذكره تفصيلاً فى الفصل التالى حيث أنهم دخلوا فى اللعبة الاستعمارية وتسللوا على نفس الدرب وهو تقديم السلاح للأباطرة أو لخصومهم من الزعماء الطامحين مقابل التحول إلى الكاثوليكية. فالبابوية لم تفقد الأمل فى كثلكة إثيوبيا. ومما يذكر عن أحدهم وهو الأسقف دى چاكوبتس، الذى قضى فى البلاد أكثر من عشرين عاما (١٨٣٩ ـ ١٨٦٠) أنه زار دير "جوندا جوندى" (٣٥) وسمح له الرهبان على غير العادة بالاطلاع على بعض الكتب والمخطوطات ووقع فى يده مخطوط يحتوى على مادة من "هيمانوت أبو" (إيمان الآباء) ولفتت نظره فيه عبارة مقتبسة من القانون النيقاوى خاصة "بالروح القدس المنبثق من الآب" فرسم علامة الصليب وقال للرهبان إن العبارة تنقصها كلمة بعد الآب مباشرة يبدو أن أحدا تعمد حذفها فأثر الحذف واضح. ودون تردد تناول قلمه وكتب الكلمة التى ادعى إنها محذوفة وهى "الإبن" وأصبحت العبارة تقرأ "الروح القدس المنبثق من الآب والابن" وهكذا فرض الخلقدونية بالحيلة. وقسمت إثيوبيا فى أيامه إلى إيبارشيتين: عموم إثيوبيا وكان هو بطريركها ومعه اللازاريت، وإيبارشية الجالا بقيادة كاردينال ومعه الكابوشان.

+ وقد واجه الإمبراطور يوهنس الرابع تحديا كاثوليكيا أقلقه للغاية بينما كان منهمكا فى تضميد جراح كنيسته ودعمها وتوحيدها بعدما مزقها الصراع اللاهوتى، وأيضاً فى إيجاد صيغة لعلاقة ودية مع أوروبا المسيحية لا تؤدى إلى قيام جماعة دينية فى البلاد ضعيفة فى ولائها لوطنها وتعادى الكنيسة الوطنية. فقد فوجىء ببعض القرى التى تحولت إلى الكاثوليكية فى منطقة "أكل جوازى" ترفض دفع الضرائب بحجة أنها صارت رعوية فرنسية بقبولها للكاثوليكية. ومع أنه لم يتأكد إذا ما كان تصرفها تلقائياً أم بتحريض من المبشرين أو من نائب القنصل الفرنسى مونزنجر، فقد سارع يوهنس يسغيث بنابليون الثالث فكتب له فى مارس ١٨٧٠ "لا تدع الكهنة يخلقون عداوة بينى وبينك. أنا لا أقول إن المذهب الكاثوليكى سيء. ولكن عقيدتى هى عقيدة مارمرقس والاسكندرية بدءاً بالبابا

(٣٥) كان موقع هذا الدير فى منطقة وعره حصينةجدا فنقلت إليه كنوز العديد من الكنائس ومقتنياتها إلى جانب كميات ضخمة من المخطوطات أثناء الحروب والاضطرابات الداخلية.

أثناسيوس وحتى ديمتريوس الثانى وسأعتبره معروفا لو منعت هؤلاء الكهنة عنى". وطلب يوهنس من الكهنة الكاثوليك المتواجدين فى مركز هالاى أن يغادروا البلاد (٣٦).

(٣٦) أثار هذا التصرف من جانب يوهنس حفيظه مونزنجر فهدد الإمبراطور بخراب بلاده وبهلاكه على مثال الإمبراطور تيودروس. ومونزنجر كان سويسرى الأصل وكاثوليكيا رومانيا وشغل منصب نائب القنصل الفرنسى فى إثيوبيا. وكان متفتحا إذ ساعد الإرسالية السويدية اللوثرية التى جاءت إلى إثيوبيا لتعمل وسط الجالا (الأوروما) بتشجيع كراف Kraf الذى اعتبر الأوروما "ألمان إفريقيا" ولديهم الاستعداد ليكونوا حلفاء ألمانيا. ومع ذلك فكان عدائيا ضد إثيوبيا الأرثوذكسية. وفى ختام حياته تحول بخدماته إلى إسماعيل خديو مصر وحرض مصر ضد إثيوبيا ومات وهو يقود حملة مصرية ضد إقليم شوا الإثيوبى. وتردد أن المبشرين الأنجليكان كانوا يشجعون على قيام تعاون مصرى بريطانى لوضع إثيوبيا تحت حماية البلدين ويكون مونزنجر حاكما لها.

* واستمرت الإرساليات الكاثوليكية فى البلاد، وصارت لها مدارس ومستشفيات وأكثر من كلية لاهوتية. ففى أوائل القرن العشرين تحول عدد كبير إلى الكاثوليكية فى إقليم تيجراى وأمهرا وجندر التى صار لهم فيها ست كنائس.
ولكن التغيير الأكبر كان وسط الجالا (الأوروما) والذى قدر بعشرات الألوف، وصارت لهم عشرات الكنائس.
وقد صار للكنيسة الكاثوليكية الإثيوبية أسقفاً من أهلها بداية عام ١٩٥٠، وهو العام الذى أسس فيه الجيزويت الكلية الجامعية التى تطورت وصارت جامعة هايل سلاسى الأول عام ١٩٦٠.

* وجدير بنا أن نتذكر هنا المتنيح **البابا كيرلس الخامس** (١٨٧٤ ـ ١٩٢٧) الذى رفض كل إغراءات الدول الأجنبية وكنائس هذه الدول لينضوى مع كنيسته تحت أجنحتها بزعم الحماية أو المساعدة والدعم. وتمسك بالخط الوطنى، وبالنسيج الواحد، وبالحب الذى يجمع ولا يفرق. فمهما كانت حدة الخلافات أو الاختلافات فى الداخل، فمن شأن الحب والتفهم أن يوصلا إلى الحلول المعقولة، على أساس عملى منطقى وسليم وهو ألا تطغى الأغلبية عددا على غيرها وألا تغيظ الأقلية عددا الأغلبية. والواقع انه خلال فترة الحكم الوطنى بعد إعلان دستور ١٩٢٣ شاهدت البلاد تلاحم الشعب بجميع عناصره وفئاته، ولم يشعر الأقباط أنهم أغيار أو مختلفون. وهذا فى يقينى هو ديدن الحكم الوطنى المتحرر من أية ضغوط سواء داخلية أو خارجية.
فالتوجس المستمر من جانب الدول الصغيرة من التدخلات الأجنبية أو التسلل الأجنبى داخل مجتمعاتها لم يغب عن بال البابا البعيد النظر. وكان يدرك دائما أن الهدف ليس ملك الله، أو ملكوت المسيح، كما قد يحلو التغنى بذلك، بل هو ملك الأرض وأطماع البشر التى لا حدود لها. ولا شك أنه بمواقفه الوطنية الأصيلة جنب البلاد مخاطر عديدة تقدم إثيوبيا صورة حزينة لها. وهذه شهادة له ولوطنية الكنيسة القبطية التى لم تساوم قط على مصلحة بلادها أو على مستقبلها. ومازالت تحمل لواء هذه الأمانة وهذه السياسة، وستظل هكذا إلى المنتهى من منطلق إيمانها بالله. وإيمانها بالوطن أيضاً. ولم تغب هذه الوطنية التى أوغرت صدور العديد من الأجانب الانتهازيين ـ لم تغب عن عيون المؤرخين من مصريين وأجانب فسجلوها. ولا نعرف لماذا لم تدخل ضمن مادة التاريخ الوطنى. وهى صفحة مشرقة تنطوى على دروس قيمة لكافة الأجيال.

- ٥ -

الصراع اللاهوتي

مع أن الجيزويت هم الذين خططوا للمناظرات والمساجلات اللاهوتية وفرضوا عقدها فى القصر الإمبراطورى فى عهد سوسينيوس بين المتكثلكين حديثاً وبين الإكليروس الإرثوذكسى فقد رأوا من مصلحتهم أن يتجنبوا حضورها لتبدو المسألة وكأنها جدل أو صراع إثيوبى وحسب. ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا وعلى رأسهم بيتر بايز يجتمعون قبل عقدها بكهنة القصر ومن تكثلكوا من الأسرة المالكة وعلى رأسهم سئل كريستوس كى يوجهوهم ويرشدوهم إلى الخط الذى يأخذونه والاقتباسات الكتابية التى يستشهدون بها. وقد أدت هذه المناظرات إلى تحول الكثيرين إلى الكاثوليكية رضا أو قسرا، كما أدت إلى إضعاف مقاومة بعض المتفقهين من الإكليروس للعقيدة الكاثوليكية، وفتحت شهية غالبيتهم لشطحات الفكر والابتداع العقيدى، كما وجد الفكر الخلقدونى عن طبيعة المسيح طريقه إلى عقولهم بعد اقتناعهم أن ناسوت المسيح محدود وغير مساوٍ للاهوته غير المحدود مما يتعذر الاتحاد بينهما.

ولأن فكرة "الاتحاد" دون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير كانت مستقرة فى أفئدتهم حسبما نشأوا عليه فى الفكر اللاخلقدونى، فيبدو أن تفكيرهم إتجه إلى تصور السبل المؤدية إلى "تأهيل" ناسوت المسيح لتحقيق هذا الاتحاد مما حدا ببعض المحللين إلى القول إن مدارسهم كانت تتفق على أن يسوع المسيح هو الإبن "الطبيعى" للآب فى لاهوته وفى ناسوته ولكنها اختلفت فى تحديد العملية process أو العامل agent الذى جعل الكلمة المتجسد الإبن الطبيعى لله. فقد ظهرت مدرسة بقيادة راهب جودچامى يدعى يووستاتوس Ewestatewas تعلم بأن المسيح ليس ابن الله بالطبيعة ولكنه صار كذلك عندما مسح بالروح عند عماده، أى أن ناسوت المسيح "مسح" بالروح القدس فتأهل للاتحاد. فالآب هو الماسح والإبن هو الممسوح والروح القدس هو المسحة والمطهر والخالق فى ذات الوقت. والمسح عند هذه المدرسة معناه التوطن أو السكنى داخلياً فحين قالت مريم "ليكن لى حسب قولك" استقر الروح القدس فى رحمها وصار إنساناً بالمسحة. ووجدت هذه المدرسة لصيغتها هذه سنداً فى إش ٦١ : ١، وأع ١٠ : ٣٨. وأشارت إلى كلمة افتقر فى

٢ كو ٨ : ٩ على أنها تعنى أن السيد المسيح كان "إنساناً فقط" فى وقت ما. وعرفت هذه المدرسة بالـ "قبات" وتعنى المسحة، وقد صيغت من الجذر "قبا" بمعنى دهن (٣٧).

وخرجت مدرسة ثانية فى نفس الوقت تقريباً بقيادة راهب من إقليم شوا يدعى تكلاهيمانوت، أعلنت أيضاً أن المسيح لم يكن ابن الله بالطبيعة بل بالتبنى بنعمة الله، فحتى عماده كان إنساناً عادياً، كان ابن مريم فقط! وقد حظى ناسوته بـ "نعم" خاصة من الآب رفعته كى يستحق الاتحاد باللاهوت. وعرفت بمدرسة ألـ "صجا" أى النعمة، أو داعية "التبنى" القائلة بولادات ثلاث للسيد المسيح:

ولد من الآب قبل كل الدهور.... الميلاد الأول (الأزلى).

ولد إنساناً فى الزمن من العذراء... الميلاد الثانى (الزمنى).

ولد من الروح القدس عند العماد... الميلاد الثالث (التبنى) "هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت".

واستشهدت بما جاء فى عب ٧ : ٧، ولو ١ : ٣٢، ورو ٨ : ١٤ ـ ١٧ وفسرتها على أنها "تبعية أو خضوع" الابن للآب. ووضحت قائلة إننا جميعاً بالعماد أبناء الله بالنعمة، والكلمة المتجسد الـذى هـو واحد منا كان الأول "البكر عب ١ : ٦" الذى صار إبناً بالنعمة. ولحســاسية أتباعها نحو موضوع التحول transformation اعتقدوا فى فكرة التعايش co - existence بين الطبيعتين فى المسيح، فاتهموا إنهم خلقدونيون.

أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة الفكر الأرثوذكسى السليم ألـ "تواهدو- الاتحاديون" وعرفت بالـ "كارا" (٣٨) وتقول بالتجسد بالاتحاد بين الناسوت واللاهوت وليس بالمسحة. أى أنها تعترف بالمسيح ابن الله باتحاد ناسوته ولاهوته. كما علمت بأن عملية "المسح"

---

(٣٧) ادعى أصحاب هذه المدرسة "القبات" أنهم تعلموا عقيدتهم من الأقباط واعترض أنبا مرقس الرابع على هذا الادعاء الخاطئ فى مجمع كايلاميدا (عام ١٦٩٣) الذى حرم فيه أتباع المدرسة.

(٣٨) نسبة إلى زعيمهم "كونرا". وقيل أن أتباع هذه المدرسة هم الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "كارا" التى تعنى السكين فهى حادة من جانب واحد وقد قطعت وفصلت الرأى القائل بالميلاد الثالث للمسيح. ولأنهم قالوا إن المسيح ولد من الآب فقط الذى يشار إليه بالسيف ذى الحد الواحد القاطع. وقيل أيضاً إن خصومهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم تحقيراً لأنهم سحبوا السكاكين على أتباع المدرستين المخالفتين بدلاً من اللجوء إلى كلمة الله.

تمت بالأقانيم الثلاثة باعتبارهم مساوين فى الجوهر وليس بأحد الأقانيم وحده. وردا على مسألة "المسحة" عند المدرستين الأخريين أضافت صيغة "ولد قب – أى ابن المسحة" وبهذا صار السيد المسيح هو الماسح والممسوح والمسحة. وأوضحت أنه باتحاد الطبيعتين صار المسيح ابن الله الوحيد، وبالمسحة صار الملك والمسيا والنبى والكاهن. وردت على الولادات الثلاث بالتأكيد على ولادتين فقط: من الآب قبل كل الدهور ومن العذراء فى ملء الزمان.

واستمر صراع المدارس الثلاث (٣٩) قرابة ثلاثة قرون خرّب البنيات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية للبلاد. وتزامنت بدايته مع العزلة التى فرضتها إثيوبيا على نفسها منتصف القرن السابع عشر حين أخذ الضعف يتسرب رويداً فى أوصال الإمبراطورية

(٣٩) بدأ أيام المطران ميخائيل الرابع، وتعقد أيام المطران كريستودولو الثانى حتى أن كل فريق حرم الآخر بما فى ذلك المطران والإمبراطور، وعزله الإمبراطور يوهنس الأول الذى كان يساند القبات. واهتدى المطران شنودة الأول، الذى حل محله، بالحكمة فى معالجة الصراع وعقد أكثر من مجمع حول قضاياه. وحل محله أنبا مرقس الرابع الذى حرم أتباع القبات فى مجمع كايلاميدا. وذكر أن البابا يؤنس السادس عشر بذل جهوداً لاحتواء هذا الصراع وأرسل أساقفة وبعث برسائل لهذا الغرض وظل الحال حتى وصول المطران يوحنا الثالث الذى تمكن من تهدئة الأحوال نسبيا وواجه هرطقة الراهب إسائى وحرمه وحرم أتباعه ومنهم الإتشيجى هنوك. وحل محله المطران يوساب الثالث الذى استمر فى كرسيه ثلاثين عاماً عزل وعاد خلالها ست مرات بسبب الصراع العقيدى وضعف الملوك الذين عاصرهم. ووصل المطران كيرلس الرابع عام ١٨١٥ فنشط الجدل العقائدى وحرم أتباع مدرسة الصجا وثاروا عليه ولجأ إلى تيجراى حيث أتباع القبات، وحين تولى صابا قديس الحكم وأعلن تمسكه بتعليم الكارا تحولت إليه تيجراى وساد السلام إلى أن اختلف المطران مع الملك وقيل إنه مات مسموماً عام ١٨٢٨ ، وقيل أيضاً إنه هرب إلى دير معزول فى بحيرة تانا حيث تنيح. وبعد ثلاثة عشر عاماً من خلو الكرسى وصل أنبا سلامة الثالث عام ١٨٤١ وهو عازم على وضع حد لهذا الصراع وهو ما تحقق فعلاً باعلان سيادة العقيدة الأرثوذكسية. وساعده القس داود الذى أرسله البطريرك عام ١٨٥١ لمواجهة الهرطقات المتفشية، وقضى عاماً ونصفاً فى مهمته وواجه هرطقة الولادات الثلاث بكل حزم. وصار فيما بعد البطريرك أنبا كيرلس الرابع.

+ إلى جانب ما بذله المطارنة والى الآباء إرسال الرسائل (باللغة العربية) التى تبصر بالعقيدة الصحيحة إلى كافة القيادات الإثيوبية وتحثهم على تجنب الجدل العقيم وصيانة سلام الكنيسة والبلاد. كما أرسلت الكنيسة مجموعة من المؤلفات الأرثوذكسية التى طلبها الإثيوبيون لمساعدتهم على الرد على ما كان يثيره المبشرون الكاثوليك من مسائل ومجادلات، وصنفت لهم كتيبات تضم الردود على أسئلة وتشكيكات الكاثوليك. على أن هذا كله لم يزد على كونه مجرد مسكنات، وجاءت متأخرة بعد تفاقم الأزمة، وكان العلاج بالوقاية هو الأجدى مثل فتح المدارس اللاهوتية وإرسال المعلمين الأكفاء، والحفاظ على كرسى المطرانية مشغولاً دون انقطاع بمطارنة متمكنين من العقيدة وعلوم اللاهوت إلى جانب لغة البلاد. والأقباط الذين كتبوا فى هذا الموضوع وضعوا المسئولية على الكنيسة القبطية واتهموها بالإهمال الذى ردوه إلى ضعفها الذى عانته خاصة تحت حكم العثمانيين المظلم وضغوطه عليها.

بسبب ضعف الأباطرة وعجزهم عن بسط سيطرتهم على كافة حكام الأقاليم، وبسبب ما اندلع من حروب لم تضف أرضاً جديدة ولم تأت للبلاد بغنائم. وانطلقت عصابات "الشفتا" وقطاع الطرق تروع الناس مما أدى إلى إضطراب الأمن وانعدام الأمان. وبلغت الفوضى ذروتها فى الفترة ١٧٨٠ ـ ١٨٥٥ والتى أطلق عليها "زمن مصافنت Zaman Masafent" لم يجلس خلالها إمبراطور يسيطر على البلاد، بل انقسمت أو تفتت إلى عدة إمارات وممالك صغيرة يحكمها رؤوس وملوك انخرطوا فى صراعات دامية فيما بينهم".

ولقد تضافر الصراع اللاهوتي والتدهور السياسى معاً وغذى أحدهما الآخر مما أدى إلى إطالة أمد كل منهما وإطالة أزمة البلاد الخانقة. فالأباطرة والأمراء وحكام الأقاليم والمقاطعات إنشغلوا بأمور العقيدة مستغلين إياها كورقة فى أيديهم لتقوية مراكزهم السياسية أو لتصفية خصومهم. فالملك كان ينحاز لمدرسة ما ليس اقتناعاً منه أو إيماناً بها بل لقوة أتباعها فى منطقته وقدرتهم على توطيد مركزه السياسى وتمكينه من القضاء على خصومه. ومعظم المجامع (٤٠) التى عقدها الأباطرة لوضع حد لصراع المدارس لم تتسم بالإخلاص وكانت أهدافها الأساسية سياسة شخصية. والرهبان والأديرة والكهنة انهمكوا فى الصراع بهدف تحقيق المكاسب أيضاً كالوصول إلى المناصب الدينية العليا أو لتكون لهم الكلمة العليا فى أمور الكنيسة والبلاد إلى جانب المغانم المادية، فتواطأ كثيرون مع الحكام الإقليميين كجزء من اللعبة، مما أبعدهم عن الدرس والتحصيل الدينى الجاد والبناء، وعن تطوير علومهم وآدابهم الدينية، ودفعهم إلى الخرافات والمباحثات الغبية. وبينما قيل إن الباعث الأولى على طرح هذه الأفكار كان حماية عقيدة الكنيسة الصحيحة حين واجهتها المناورات الكاثوليكية، تقول بعض المصادر ومنها رسالة جامعية غير منشورة، إن ألفونسو منديز هو الذى اختار كلا من يووستاتوس وتكلاهيمانوت وقادهما عمداً إلى ما أطلقاه من تعاليم لبدء الفتنة فى صفوف الكنيسة والشعب. واندلعت الفتنة فعلاً بصورة فاقت كل

(٤٠) عقدت عدة مجامع للتوفيق بين الكارا والقبات فى عهود الأباطرة سوسينيوس وفاسيليداس ويوهنس الأول وإياسو الأول وتكلاهيمانوت وداود الثالث وإيواص الثانى، فى أماكن موجيرا (١٦٢٥) وأرينجو (١٦٥٤ و ١٦٦٤) وجندر (١٦٨١، ١٧٢٠) وجانتكل (١٦٨٧) ويباب (١٧٠٧) وكايلاميدا (١٧٩٣). وعقدت مجامع للتوفيق بين الكارا والصجا منها مجمع دير دابرا تابور عام ١٧٧٩، ومجمع جندر عام ١٨١٠. وعقدت مجامع ضمت المدارس الثلاث أهمها مجمع أمباكارا فى عهد تيودروس الثانى، ومجمع بوروميدا (١٨٧٨) فى عهد يوهنس الرابع.

ولاحت تباشير الخلاص عام ١٨٤١ حين وصل المطران القبطى الجديد أنبا سلامة الثالث. جاء استجابة لطلب "ووبى" حاكم تيجراى وكان واحداً من ثلاثة يتنافسون على عرش الإمبراطورية. والآخران هما عالى وسهل سلاسى. ولكن الذى فاز رابع (٤١) من عامة الشعب بزغ نجمه بجرأته وبطولاته، وراهن عليه أنبا سلامه ووضع ثقله وراءه لميوله الأرثوذكسية ولتعهده له بطرد المبشرين الكاثوليك وإعلان سيادة العقيدة الأرثوذكسية. وتوّجه فعلاً عام ١٨٥٥ باسم توودروس (تاوضروس) الثانى، وعقد مجمع "أمباكارا" للمدارس العقائدية الثلاث، ودعم المجمع عقيدة الكارا وأعلن توودروس قرار المجمع باعتباره عقيدة البلاد (٤٢)، وحرم المطران كل من لم يقبل بهذا القرار، وفتح مدارس لتعليم العقيدة الأرثوذكسية. فسادت فترة من السلام انتهت للأسف بموت الإمبراطور منتحراً بعد هزيمته فى معركة مجدلا، وموت أنبا سلامه عام ١٨٦٧ بعد أن لعب دورا فريداً فى تاريخ البلاد بعلمه وتقواه وحكمته وبعد نظره وإصراره على وضع حد للصراع اللاهوتى وإعادة وحدة الكنيسة.

ومن حسن الحظ لم تطل فترة الصراع بين الطامعين فى عرش الإمبراطورية بعد موت توودروس، إذ كان محصوراً بين ثلاثة هـم جـوباز رأس إقليم أمهـرا ومنليك ابن بنت سهل سلاسى ملك شوا والرأس كاسا حاكم إقليم تيجراى، وتمكن الأخير من السيطرة على البلاد، وجاءه أنبا أثناسيوس عام ١٨٦٩ مطراناً جديداً لإثيوبيا خلفا لأنبا سلامة الثالث، وتوجه فى يناير ١٨٧٢ إمبراطوراً باسم يوهنس الرابع. وكان يوهنس شديد الإيمان بعقيدته الأرثوذكسية شديد الإيمان بوحدة كنيسته وشديد الحماس لنشر المسيحية والتوسع

(٤١) ولد كاسا فى قوارًا حوالى عام ١٨٢٠. وضعته أمه فى دير فى منطقة بحيرة تانا ليصير راهبا ولكن الدير خرب فى تبادل النار وهرب كاسا ولجأ إلى عمه حارس باب الملك. وتمرن على القتال والفروسية من خلال اشتراكه مع الشفتا وقطاع الطرق! وأظهر براعته القتالية ضد قبائل سودانية أغارت على غربى البلاد، فأعجب الناس بشجاعته والتفوا حوله وذاع صيته، ومن ثم هاجم جندر وتغلب على الرأس عالى الذى سبق وهزم الرأس ووبى حاكمها، وأعلن نفسه نجوس نجست باسم توودروس الثانى عام ١٨٥٤ وتوّجه سلامة الثالث عام ١٨٥٥ بعدما طرد المبشرين الكاثوليك وأيد العقيدة الأرثوذكسية وعمل على توحيد الكنيسة ودعمها. واتسمت معاملاته بالخشونة والقسوة خاصة ضد أعدائه، وانتهج سياسة عدائية ضد رعايا فرنسا وبريطانيا عجلت بنهايته.

(٤٢) ولقد طلب توودروس الثانى من الذين تكثلكوا العودة إلى حظيرة كنيستهم الأرثوذكسية. وكانت رسالته للقنصل الفرنسى "نحن أيضاً مسيحيون ولا نحتاج أحداً يعلمنا المسيحية. من الآن فصاعداً لا ينبغى لكهنتك أن يأتوا إلى بلادنا. هل هناك بلد فيه ملكان أو بطريركان؟ لا ترسل إلينا كهنة". ووجه رسالة مثلها إلى صموئيل جوبات الأسقف الأنجيليكانى. وأثارت مواقفه الحازمة هذه المبشرين وحكوماتهم ضده ودفع ثمنها غالياً.

فى النشاط الكرازى. وبدأ بمواجهة الكاثوليك من الإثيوبيين مواجهة حاسمة وقاسية أحياناً مشدداً على عودتهم إلى كنيستهم. ومن أهم إنجازاته من أجل وحدة كنيسته هو دعوته إلى عقد مجمع دينى عام لوضع حد نهائى للصراع العقيدى. وقد مهد له باجتماع فى قصره فى مكالى عاصمة تيجراى. ثم عقده فى مايو – يونيو عام ١٨٧٨ فى بوروميدا بإقليم وللو ذى الأغلبية الإسلامية لرغبته فى تجنب كل ما يؤدى إلى تقسيم الشعب بما فى ذلك التقسيم بين المسيحى والمسلم. ودعا إليه القيادات الدينية من مختلف التيارات والمدارس. كما دعا إليه كلا من الملك منليك والملك تكلاهيمانوت. وأداره بوعى وحكمة، ومن منطلق إيمانه بالعقيدةالتاريخية لكنيسة الاسكندرية، وبأن وحدة الكنيسة تؤدى إلى وحدة البلاد وشعوبها، وإلى سلامها واستقرارها وإزدهارها. لهذا خلت مداولات المجمع من الجدل العقيم ومن المساومات التى طغت على المجامع السابقة وأدت إلى فشلها. وتوقفت بعده المساجلات العامة بين المدارس الثلاث، واختفت مظاهر الصراع. فأتباع كل من القبات والصجا احتفظوا لأنفسهم بما يعتقدون وكفوا عن المواجهات (٤٣) ومما دعم هذا المناخ أن خلفاء يوهنس، منليك الثانى وزوديتو وهايل سلاسى الأول، لم يقلوا عنه اهتماما بوحدة الكنيسة وبدعم عقيدتها التى كانوا يعتزون بها، كما أن غالبية الشعب وشخصياته الهامة المؤثرة كانت لها نفس التوجه والاهتمام.

– ٦ –

الصراع الاستعمارى

ما أن هدأت حدة الصراع اللاهوتى حتى وجدت إثيوبيا نفسها فى معمعة صراع آخر مع الاستعمار الأوروبى الذى بدأ حثيثاً مع بدايات القرن التاسع عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين. وكانت إرهاصاته قد لاحت مبكرة حين كانت تتحسس كل من أوروبا وإثيوبيا طريقها إلى الأخرى. فأوروبا شغلتها قصة پرستور جون بداية بالقرن الثانى عشر حين

(٤٣) كانت لمدرسة القبات اليد العليا فى جندر أيام الأسرة الجندرية، واختفى أتباعها الآن ولم يبق منها إلا جيوب صغيرة من كبار السن الذين إنصرفوا إلى حياة التعبد فى هدوء، ويتجه صغارهم نفس الاتجاه. وأذكر أن طالباً بكلية سلاسى اللاهوتية بقسم الدبلوم (عام ١٩٩٩) هوجم على أنه من القبات. وكان شاباً نابهاً وواعظاً قديراً ونشيطاً واتضح بعد شهور من البحث عدم صحة ما اتهم به. مما يشير إلى أن القبات والصجا باتا سلاحاً فى يد الكائدين أو الحاسدين. وكانت مدرسة الصجا قوية ومؤثرة فى شوا حتى أواخر القرن التاسع عشر ولكن أتباعها فقدوا موقعهم بعد مؤتمر بوروميدا الذى اتخذ قراراً ضد فكرهم بعدما قرئ خطاب من البابا كيرلس الخامس فى المجمع. واختفوا الآن كما يقال، وإن بقيت كلمة صجا نعتاً يلصق كيداً بالأمناء والنشيطين فى الخدمة.

وإثيوبيا طريقها إلى الأخرى. فأوروبا شغلتها قصة پرستور جون بداية بالقرن الثانى عشر حين حاولت التعرف عليه والوصول إليه والتحالف معه كملك مسيحى قوى يعول عليه. وما أن أهل القرن السادس عشر حتى كانت موجات المستعمرين قد اكتسحت البحار، فالسفن البرتغالية فى المحيط الهندى وتسربت منه إلى البحر الأحمر، وردت تركيا العثمانية على هذا باحتلال مصر والجزيرة العربية ودخلت البحر الأحمر.

وبدأت إثيوبيا تهتم بما تسمعه عن التقدم العلمى والحضارى فى أوروبا بداية بالقرن الرابع عشر، وقبل ختام القرن الخامس عشر كانت الملكة هلنا / الينا تسعى إلى البرتغال فى طلب المساعدات العسكرية والتقنية والثقافية. وكرر إبنها لبنادنجل المحاولة أكثر من مرة خلال الربع الأول من القرن السادس عشر. وكان من بين طلباته ألواح الصاج لتكون أسقفاً للكنائس بدلاً من القش. ولما ألحت عليه مصائب حرب الإمام الأعسر فى الربع الثانى حصر الطلب العاجل فى السلاح الحديث والذخيرة والرجال. وجاء السلاح وتحقق إنقاذ إثيوبيا، وكان الثمن أن تتكثلك وتخرج من عباءتها الأرثوذكسية. وبينما كانت كنيسة روما مصرة على إخضاع إثيوبيا لاحت بوادر الصراع الاستعمارى. فقبل أن يرحل القرن الثامن عشر اكتشف الطمع الأوروبى محاسن إثيوبيا التى بدت له كعكة شهية يحلو التهامها. وصرفت أوروبا الغربية القرن التاسع عشر ونصف القرن العشرين وهى تحاول قضم أجزاء منها أو الحصول على موطئ قدم فيها، حتى التهمتها إيطاليا كاملة واحتفظت بها خمس سنوات ويزيد إلى أن اضطرت لأن تلفظها عام ١٩٤١.

ولقد سعت إثيوبيا بقدميها إلى فخاخ الاستعمار. فهى كجزيرة مسيحية وحيدة فى قارتها أحست بانجذاب عاطفى صوب أوروبا المسيحية، تسعى إلى ملوكها من أجل الحصول على إعترافهم وشعورهم بها، إلى جانب مساعدتها ضد جيرانها من غير المسيحيين، وتزويدها بالفنون والمهارات الحرفية، وبالفنيين والبنائين لبناء كنائسها وقصورها وتشييد جسورها، وخبراء فى صناعة الأسلحة وذخيرتها والتدريب العسكرى. وتضمنت كتابات أباطرتها إلى الڤاتيكان وبعض ملوك أوروبا تعبيرات قوية عن هذه اللوعة، وتجسيداً لتوقعاتهم المنطقية بتدفق التعاطف الأوروبى وباندفاع "الأخ" القوى لمساعدة أخيه الضعيف. وبلغ شغفهم بالمهارات والحضارة الأوروبية أوجه مع انتصاف القرن التاسع عشر. فالملك سهل سلاسى ملك إقليم شوا يكتب عام ١٨٤٠ لشركة الهند الشرقية يلفت نظرها إلى أن

نيجوسى ولدميكايل، بهرنجوس، إلى ملك البرتغال طالباً وصول الحضارة الغربية إلى بلاده، ويبعث بتهنئة لفرناند دى ليسبس على عبقريته ويمجده لأنه قام بربط بلاده الإثيوبية بأوروبا المتقدمة تقنياً بفتح قناة السويس. ويضيف الإمبراطور تيودروس إعترافه "أن الإثيوبيين عميان" فى رسالته للملكة فكتوريا ملكة بريطانيا (عام ١٨٦٦) ويطلب منها "إفتحى عيوننا والله يعطيك نوراً من السماء".

وعمل المبشرون الأجانب وأتباعهم من الإثيوبيين على تغذية هذه اللوعة وذلك الشغف من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة وتنفيذ مخططاتهم فى البلاد. واستفادوا بهما كمدخل لتمهيد الطريق لمواكب الاستعمار، عمداً كان أو عن غير قصد. فالإرساليات التبشيرية كانت تعمل فى إفريقيا من خلال سياق سياسى ضرورى لقيامها وبقائها ويفرض عليها الالتقاء بالقوى الأجنبية بصورة أو بأخرى. وكانت أيضاً وقبل كل شئ تمثل كيانات كنسية وتتصرف كعيون لها خاصة مع الهجمة الاستعمارية فى القرنين الثـامن عشر والتاسع عشر. وقدمت نفسها للقيادات الإثيوبية باعتبارها حلقات وصْل بينها وبين أوروبا لاستكمال مهمتها كعميلات لبلادها التى صورت نفسها على أنها تقوم بمهمة إنسانية حضارية هى تمدين الشعوب المتخلفة، وهى مهمة اعتبرها المبشرون إسهاماً مناسباً يساعدها على تحقيق رسالتها فى نشر ملكوت الله. وكانت القيادات الإثيوبية نفسها هى صاحبة المبادرة بالاتصال بالمبشرين فى أحايين كثيرة، وخاصة حكام الأقاليم المتصارعة الذين انحصر اهتمامهم بالنسبة للمبشرين فى النواحى السياسية وبما يمكنهم الحصول عليه من منافع أو مساندة ضد خصومهم (٤٤). فالمسائل الدينية قلما أقلقتهم أو شغلتهم، وهم فى الواقع الذين أعطوا الفرص لمختلف المبشرين ليعملوا فى مناطقهم ويزرعوا كنائسهم فيها رغم اعتراض الكنيسة القومية ومقاومتها الشديدة (٤٥).

(٤٤) الملاحظ أن أباطرة القرنين ١٧ و١٨ أمثال زادبنجل وسوسينيوس ومنتواب وحزقيال أرادوا تقوية سلطانهم الإمبراطورية ضد التحديات والتهديدات التى مثلها آنذاك أمراء الحرب والحكام الإقليميين. ولكن مثل هذه الاهتمامات والأولويات تغيرت فى القرن ١٩ عندما تزايد الوجود التركى وصارت مصر جاراً قوياً فى السودان وباتت تركز على ما يقدمه الأوروبيون من دعم لإثيوبيا ضد المسلمين، ومن علوم وتقنيات لعصرية البلاد.

(٤٥) فمثلاً المبشر الدكتور توماس لامبى Lambie دخل إثيوبيا قادما من السودان عام ١٩١٩ بدعوة من حاكم غرب إقليم وللجا ليساعده على مقاومة وباء الإنفلونزا. فأدى نشاطه الطبى إلى قيام أول إرسالية مشيخية (برسبتريان) أمريكية فى إثيوبيا. وذهب إلى أديس أبابا واتصل بالرأس تفرى مكونن الذى شجعه بقوة على إنشاء مدارس ومستشفيات فى البلاد، فتوسع فى نشاطه البروتستانتى فى أقاليم البلاد.

ورغم أن المبشرين الجيزويت طردوا من البلاد قبل منتصف القرن السابع عشر وأغلقت إثيوبيا أبوابها، واتخذ الإمبراطور فاسيليداس إجراءات صارمة لمنع عودتهم، فقد ظلوا يحاولون العودة وظلت أحلامهم حية. وبدأت فى العودة إليها عن طريق السودان والبحر الأحمر رهبانيات أخرى مثل الكابوشان والفرنسيسكان واللازريت (اللعازريين).وقتل بعض أفرادها قبل وصولهم البلاد وقتل آخرون داخلها. فقد ذكر أن الإمبراطور داويت أمر بقتل ثلاثة رهبان كابوشان عام ١٧١٦ ، الآب ليبراتوس وزميلاه، وجدوا مقيمين سراً فى القصر أيام سلفه الإمبراطور يوستوس للاستفادة بحكمتهم ومشورتهم. وطرد بعدهم ثلاثة فرنسسكان عام ١٧٥٢ ، الأب بروتكى وزميلاه، استدعتهم الإمبراطورة منتواب ذات الميول الكاثوليكية كمستشارين.

وقد سعى النفوذ الفرنسى قبل ذلك للوصول إلى إثيوبيا إذ حاول لويس الرابع عشر عام ١٧٠٧ الاتصال مباشرة بالإمبراطور تكلاهيمانوت (١٧٠٦ ـ ١٧٠٨) حفيد فاسيليداس، إذ أرسل إليه قنصل بلاده فى دمياط (مصر) لإقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين، ثم أرسل القنصل إليه الطبيب الفرنسى بونسيه لعلاجه.

ولما تبلورت أهمية إثيوبيا الاستراتيجية بالنسبة للدول الاستعمارية المتصارعة فى القرن التاسع عشر بدأ وصول المبشرين الكاثوليك، من اللازريت وحدهم هذه الفترة، أمثال الأسقف ماسايا والآباء سابيتو وستلاً وليونى وغيرهم. وثبت تدخلهم فى شئون البلاد السياسية إذ كانوا يناصرون فريقا من الطامعين فى العرش ضد آخر. وعرف عن ستلا وليونى تعاملهما فى السلاح لصالح القوى الاستعمارية الفرنسية. وكان سابيتو Sapeto بحق رائد حركة اللازريت فى إثيوبيا إذ وصلها عام ١٨٣٨ واستقر فى عدوه وطلب كنيسة ليقيم فيها قداساته، وأعطيت له كنيسة ولم تمض شهور خمسة على ذلك حتى حصل على رسالة من عدد من الكهنة والدبترا يقرون فيها بتحولهم إلى الكاثوليكية. أما الأسقف جيوستينو دى جاكوبيس De Jacobis فكان من أبرز رجال الحركة والمثال الحقيقى للمبشر باتضاعه وتضحياته وحبه للناس. وخدم بالبلاد واحداً وعشرين عاما أتخذ خلالها موقفا مناهضا للإمبراطور تيودروس الثانى وللمطران سلامه الثالث بل وسعى لعزله من كرسيه. وساند فى الوقت نفسه الرأس ووبى حاكم تيجراى الذى اعترفت به فرنسا ودعمته،

وابن اخته البهرنيجوس نيجوسى ولدميكايل من أجل القضاءعلى توودروس، وذهب بعيداً فى سبيل ذلك إذ طلب لهما مساعدة عسكرية من فرنسا عن طريق قنصلها فى مصر، ولما لم تصل أرسل بعثة من كاهنين كاثوليكيين وآخرين إثيوبيين إلى نابليون فى طلبها. ومرت البعثة فى طريقها بروما للحصول على دعم الفاتيكان لها فى مهمتها. واستجابت فرنسا وأرسلت بعثة عسكرية استكشافية بقيادة كونت راسل Russel استقرت فى مقاطعة نيجوسى ولدميكايل الساحلية والتى قدمها كمحمية لفرنسا إمتناناً على مساعدتها له.

ومع أن توودروس هزم نيجوسى وقضى عليه فقد ظلت البعثة فى المقاطعة للاحتفاظ بحقها فيها، فكان تصرفها هذا بمثابة النذير باقتطاعها من أرض الوطن وتحولها إلى مستعمرة إيطالية. فمما لا شك فيه أن الإرساليات الكاثوليكية ساهمت بقسط كبير فى قيام مستعمرة إريتريا الإيطالية عام ١٨٩٠ . وقصة إريتريا كمستعمرة بدأت بداية المكر المعهودة، فقد اشترت شركة راباتينو الإيطالية للملاحة البحرية قطعة أرض حول ميناء عصب عام ١٨٨٢ من أحد الزعماء المحليين وحولتها إلى مركز تموين لسفنها التجارية. وبعد قليل حلت الحكومة الإيطالية محل الشركة وأعلنتها محمية أو مستعمرة إيطالية يعمل فيها إيطاليون من المهاجرين والمغامرين. وبعد انسحاب مصر من السودان عام ١٨٨٥ احتلت إيطاليا مصوع وربطت بين المينائين لتوسيع رقعة مستعمرتها. وانتهزت فرصة موت الإمبراطور يوهنس الرابع وأخذت تتقرب إلى الملك منليك فى وجه الرأس منجشا ابن الإمبراطور يوهنس الساعى وراء عرش الإمبراطورية، ووقعت معه معاهدة أوتشيالى قدمت له بمقتضاها أربعة ملايين ريال ماريا تريزا وعشرة آلاف بندقية ونصف مليون طلقة. وعلى أثر توقيعها احتلت كيرن وتسنى وكسلا وأسمرة التى صارت عاصمة المستعمرة. واضطر منليك إلى نقض المعاهدة بعد ما تبين خطر الإيطاليين الذين أخذوا يروجون أن إثيوبيا أصبحت مستعمرة إيطالية، واتحد مع الرأس منجشا وهزم إيطاليا عام ١٨٩٥ ، ثم هزمها هزيمة منكرة فى موقعة عدوه عام ١٨٩٦ ، وقع بعدها الجانبان معاهدة فى نفس العام حلت محل معاهدة أوتشيالى واعترفت إيطاليا فيها باستقلال إثيوبيا وأقيمت الحدود النهائية بينها وبين إريتريا.

وتزامن مع هذه التطورات تقارب بين إيطاليا وبريطانيا وتعاون بينهما فى المنطقة

الإفريقية، ووقعا بروتوكولين عامى ١٨٩١ و ١٨٩٤ حددا فيهما مناطق نفوذهما فى القرن الإفريقى.

وبريطانيا نفسها وصلت إلى البحر الأحمر عام ١٨٠٥، بعد قرابة ثلاثة عقود ونصف من زيارة المستكشف الاسكتلندى جيمس بروس لإثيوبيا. وكان موفداها الرئيسيان هما لورد فلانشيا Valentia وهنرى سولت Salt اللذان جاءا يحاولان الاتصال بحكام إثيوبيا. ولم يأت الأخير فارغ اليدين إذ حمل معه هدايا من الملك جورج للرأس ولدسلاسى حاكم تيجراى عبارة عن معدات كنسية وأسلحة! وبعدما صار قنصلاً لبلاده فى القاهرة لم يقطع صلته بتيجراى فأرسل إلى أكسوم مجموعة من كتب المزامير الحديثة الطبع فى ذلك الوقت. وتخلف من بعثته بحاران فى إثيوبيا أحدهما نثنائيل بيرس Pearce الذى تحول إلى موزع كتب دينية ومهد لعشرات غيره للدخول والعمل فى البلاد. والثانى وليم كوفن Coffin الذى اشتغل فى السلاح لاعتقاده أنه أفضل من الكتب سبيلاً إلى النفوذ (٤٦). وكان من شأن هذا النشاط الإنجليزى أن يشعل التنافس بين المبشرين من مختلف الجنسيات، وهو تنافس تحول بدوره إلى وقود للصراع الاستعمارى البريطانى الفرنسى على أرض إثيوبيا.

ولم يمض وقت طويل حتى وصل إلى شمال إثيوبيا عام ١٨٣٠ مبشران إنجليزيان متمرسان هما صموئيل جوبات Gobat وكريستيان كوجلر Kugler وأدعيا أنهما لم يحضرا لتأسيس كنيسة جديدة أنجليكانية وإنما لإصلاح الكنيسة الوطنية من الداخل وتنشيطها. وكان رأى جوبات فى هذه الكنيسة متدنيا وحكمه عليها قاسياً لدرجة أنه لم يسمح لكهنة كنيسة مدهن ألم فى عدوه بالصلاة على زميله كوجلر حين توفى فجأة.

وجاء بعدهما إسينبرج Isenberg ثم كراف Krapf فى وقت كان الصراع الداخلى على أشده، إذ كان يتنافس على عرش الإمبراطورية ثلاثة هم الرأس ووبى حاكم تيجراى والذى اعترفت به فرنسا وساندته، والرأس عالى حاكم إقليم أمهرا، والملك سهل سلاسى

---

(٤٦) واندمج كوفن فى هذا النشاط لدرجة أنه حين سافر إلى مصر ضمن وفد إثيوبى لإحضار مطران قبطى جديد توجه من هناك إلى لندن فى طلب السلاح. وقيل إنه غير فى رسالة كتبها "سوبا قديس ولدو" حاكم تيجراى إلى ملك انجلترا يطلب فيها صاجاً لأسقف الكنائس إذ كتب "سلاح" بدلاً من صاج .

ملك شوا الذى اعترفت به بريطانيا، وألقى كراف بثقله وراءه وطلب له السلاح والجنود من ممثـل بريطانيـا فى عدن، وشجعـه أن يكتب إلى بومبـاى فى طلب المزيـد منه. وجاءت بعثة هارس Harris وفاوضته على معاهدة للصداقة والتجارة بين البلدين. وسـعى كـراف[٤٧] بعد توقيعها إلى أن تصبح السبيل إلى سيادة بريطانيا على إثيوبيا بانتهاز أى إخلال بها من الجانب الإثيوبى ليكون ذريعة لتدخل عسكرى بريطانى.

ومع ذلك فقد ساعد الإنجليز منافساً رابعاً على العرش هو كاسا حاكم جندر الذى لم يكن ينتمى للأسرة السليمانية بل كان متواضع الأصل. وصار فعلاً إمبراطورا لإثيوبيا باسم توودروس الثانى، وفى عهده كادت الدسائس والمؤمرات التى كانت تحيكها بريطانيا وفرنسا أن تتسبب فى اندلاع الحرب بين إثيوبيا ومصر فى عهد سعيد باشا، بسبب غارات القبائل على الحدود، لولا تدخل الباب العالى وإرسال سعيد باشا البابا كيرلس الرابع إلى إثيوبيا للتوسط مع إمبراطورها فمرت الأزمة بسلام. ومع ذلك اعتقد توودروس أن بريطانيا كدولة مسيحية ستخف لمساعدته ضد أعدائه من المسلمين، وكتب فعلاً رسالة إلى الملكة ڤيكتوريا عام ١٨٦٢ يقترح عليها تحالفاً كاملاً بين البلدين. إلا أن الرسالة وصلت بعد ما عقدت بريطانيا معاهدة مع تركيا ضد روسيا فلم تتمكن الخارجية من الرد على اقتراحه فأثار سكوتها حفيظته، وكان معروفاً بحدة الطبع ودمويته مع خصومه فصب غضبه على القنصل البريطانى، ثم سجنه مع غيره من الأوروبيين. وبدأت المساعى الدبلوماسية لإطلاق سراحهم إلا أن عناد توودروس عقد الأزمة، مما أدى إلى انطلاق حملة عسكرية من بريطانيا بقيادة لورد روبرت نابيير Napier لإطلاق سراحهم وتأديب الإمبراطور. ووصلت الحملة إلى إثيوبيا فى ديسمبر ١٨٦٧ وعززها الخديو اسماعيل بثلاثة آلاف جندى من مصوع ووضع أسطوله فى البحر الأحمر تحت إمرة بريطانيا. وتوجهت إلى إقليم أمهرا واحتلت بلدة مكدلا (مجدلا) فأطلق توودروس الرصاص على نفسه منتحرا إعتزازاً منه بكرامته وهيبته.

وتركت حملة نابيير قبل رحيلها هدية غالية للرأس كاسا حاكم تيجراي عبارة عن إثنى عشر مدفعاً وثلاثة عشر ألف بندقية وذخيرة ومستشار عسكرى. ومكنته هذه الهدية من

(٤٧) طرده حاكم تيجراى من إقليمه بعد ما تبين أنه ليس طبيباً كما ادعى. ومن العجيب أن طبيباً فرنسياً باسم روشيه هريكورت Hericourt حل محله ولم يخف نواياه أو مخططاته الاستعمارية معبراً عن أمنيته أن يبنى جيشاً من الأورومو (الجالا) قوامه ٢٠٠ ألف رجل دعما للسيادة الفرنسية فى أفريقيا بقاعدتها فى إثيوبيا فرنسية.

القضاء على الرأس جوباز حاكم إقليم أمهرا، وأعلن نفسه إمبراطورا وتوجه أنبا أثناسيوس باسم يوهنس الرابع عام ١٨٧٢ . ولكنه قتل عام ١٨٨٩ برصاصة طائشة فى موقعة القلابات وهو يحارب دراويش (المهدية) بالسودان.

ولما مات الرأس مكونن حاكم إقليم هرر عام ١٩٠٦ ، وكان الرجل القوى والوريث الشرعى لمنليك الثانى الذى لم ينجب ولداً ذكراً يخلفه، سارع منليك وكان فى هذا الوقت مريضاً ومشرفاً على الموت إلى إعلان حفيده ليدج ياسو وريثاً للعرش وعمره لم يتجاوز الحادية عشر. وبدت الإمبراطورية حينئذ وكأنها مشرفة على التفكك. ولم يغفل الاستعمار هذه الفرصة مثلما لم يغفلها بعد موت يوهنس الرابع المفاجئ، وسارعت إيطاليا ومعها إنجلترا وفرنسا إلى عقد معاهدة فيما بينها (١٩٠٦) ظاهرها المحافظة على سلامة إثيوبيا سياسياً وإقليمياً، بينما باطنها هو الحفاظ على ما تحقق للدول الثلاث من مصالح فى المنطقة، مع تحاشى أى صدام بينها قد يندلع فجأة نتيجة لأى تدهور فى أحوال إثيوبيا الداخلية بسبب الصراع المحتمل حول العرش. فى الوقت الذى فيه أحاطت هذه الدول الثلاث إثيوبيا بمستعمراتها كنقاط وثوب عليها. وهى أوضاع تشجعت بها إرساليات كنائسها ومبشروها المتواجدون فى إثيوبيا، وأغرتهم على التورط أكثر فى شئون البلاد الداخلية والاستفادة من كل الفرص لصالحها ولصالح سياسات بلادها. وتجمعت فعلاً الجيوش فى تلك المستعمرات: الفرنسية فى چيبوتى، والبريطانية فى بربره، والإيطالية فى مصوع، وكانت على أهبة الاستعداد للتدخل عند الضرورة خاصة ونذر الحرب العالمية الأولى كانت بادية للعيان.

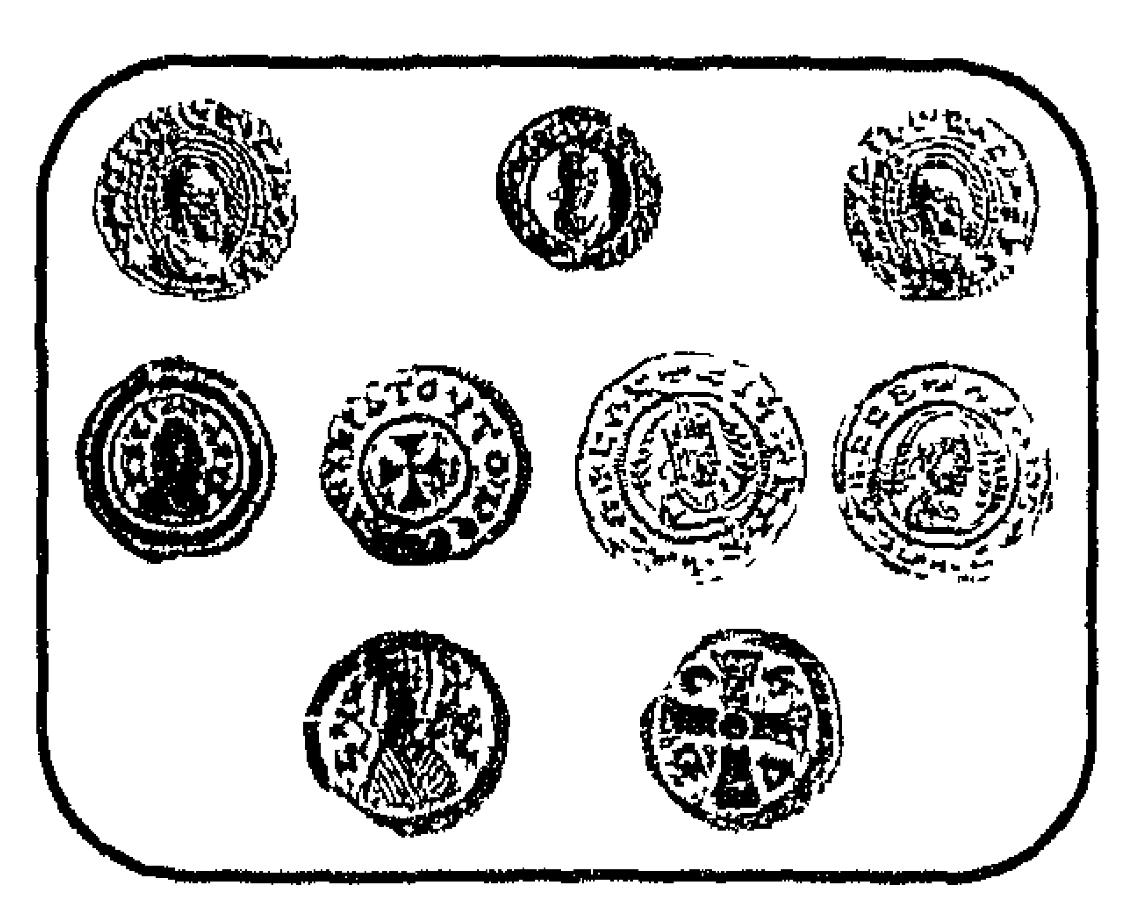
وبعدما انفرجت الأزمة الداخلية بالبلاد بإعلان زوديتو إبنة منليك إمبراطورة وتتويجها عام ١٩١٧ (٤٨)، وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى ظلت جيوش المستعمرات مستنفرة سعياً وراء الامتيازات الاقتصادية ومناطق النفوذ. وبزت إيطاليا قرينتيها فى هذا المضمار. فهى لم تنس هزيمتها فى عدوه عام ١٨٩٦ ، وخروجها دون مكاسب من الحرب العالمية.

(٤٨) ترأست الإمبراطورة تاتيو (سهاتيو) مجلس الإمبراطورية عام ١٩١١ ، ومات منليك الثانى عام ١٩١٢ . وأعلن ليدج ياسو ولى العهد نفسه إمبراطوراً. ولما بدرت منه تصرفات اعتبرت مهددة لسلامة البلاد ووحدتها عزل وسجن ، وأعلنت زوديتو ابنة منليك الثانى إمبراطورة لإثيوبيا وتوجها المطران متاؤس فى ١١/ ٢/ ١٩١٧ ، وصار الرأس تفرى مكونن، ابن الرأس مكونن حاكم هرر الذى مات عام ١٩٠٦ ، وصياً على العرش ووريثاً له.

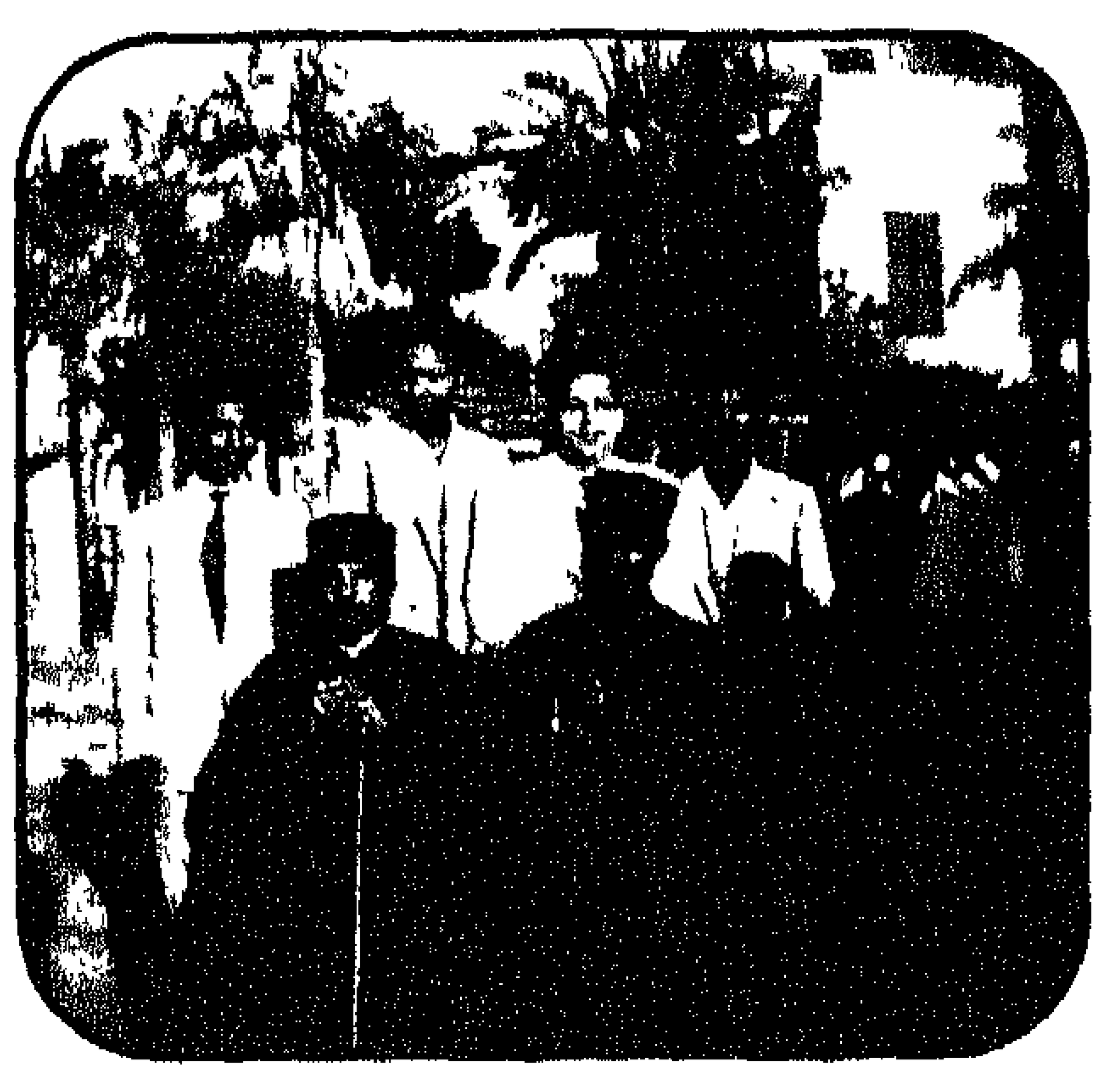
وسارعت إلى الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا بشأن مناطق النفوذ فى إثيوبيا وتم الاتفاق بينهما عام ١٩٢٥ . ودعمت هذا الاتفاق بتوقيع معاهدة صداقة وتوفيق وتحكيم مع إثيوبيا عام ١٩٢٨ مدتها عشرون عاماً. ورغم ذلك فعندما قام جوجسا والى بتمرده ضد تفرى مكونن عام ١٩٣٠ استغله الإيطاليون وأوهموا جوجسا بأن إصلاحات تفرى العصرية ستضر بالأرثوذكسية، وأن تفرى نفسه يقترب من أن يكون كاثوليكياً. بل أن هذه المعاهدة عجزت عن علاج الأزمة التى نشبت عند بئر ولول فى ١٤/ ١٢/ ١٩٣٤ . فقد حدث أن توغلت كتيبة إيطالية داخل الأراضى الإثيوبية بعمق ستين ميلاً وعسكرت عند هذه البئر. واكتشفتها فرقة إثيوبية كانت عائدة من مهمتها كمرافقة للبعثة البريطانية الإثيوبية لترسيم الحدود واصطدمت معها عندما رفضت الانسحاب. وتطورت إلى أزمة دولية رفعت إثيوبيا أمرها إلى عصبة الأمم، وانتهت المداولات المطولة حولها إلى توقيع العقوبات الاقتصادية على إيطاليا ومنع تزويد طرفى الخصومة بالسلاح. واستغلتها إيطاليا إعلامياً وسياسياً لصالحها لدرجة أنها طلبت من عصبة الأمم طرد إثيوبيا "البربرية" من عضويتها. ولم ينفع تدخل الأطراف الدولية فى حلها بصورة ترضى الطرفين. بل على العكس ساعد التحيز الأبيض والتسيد الاستعمارى ونفاقه على غبن إثيوبيا والغدر بها فى نهاية المطاف.

فإيطاليا لم تنم بعد قرار عصبة الأمم، بل واصلت إرسال السلاح والرجال والمؤن إلى مستعمرتيها إريتريا والصومال الإيطالى، وانتهزت انتهاء فصل المطر وأصدرت أوامرها إلى جيوشها بالتحرك، فاقتحمت الحدود الإثيوبية فى خمسة مواقع فى ٢/ ١٠/ ١٩٣٥، وفى خلال سبعة شهور اكتسحت البلاد واحتلت العاصمة فى ٥/ ٥/ ١٩٣٦ بعد أن خربها أهلها وأشعلوا النار فى مرافقها وفى كل ما يمكن أن يفيد العدو. وهرب الإمبراطور ورجال حكومته مصطحباً الإتشيجى معه. وبقى المطران أنبا كيرلس والأساقفة الإثيوبيون الأربعة لتسيير أمور الكنيسة ودعم الشعب لمواصلة مقاومته.

علاقات قبطية إثيوبية



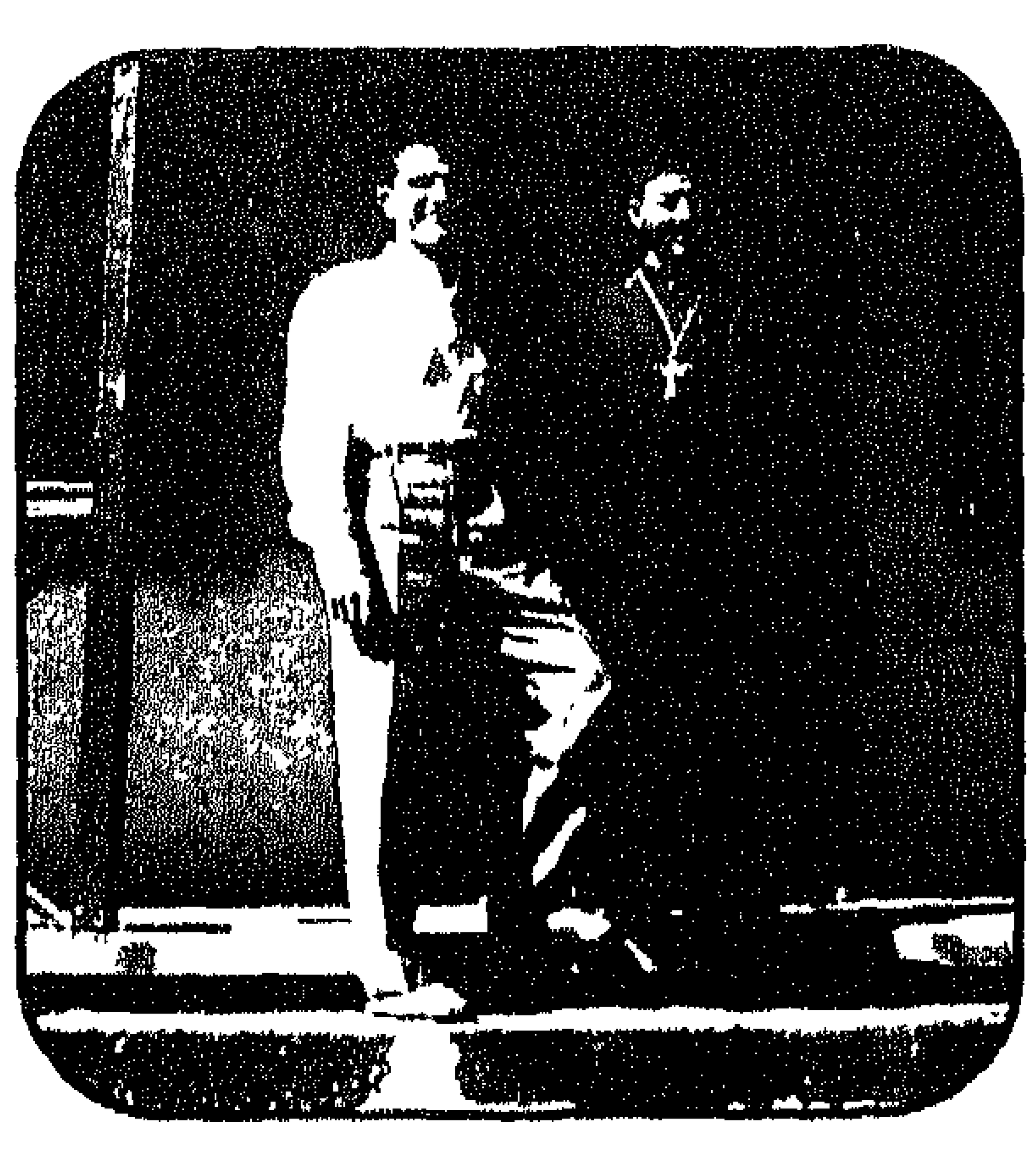
عملات أكسومية قديمة من الذهب
والفضة والبرونز ٢٥٠م ـ ٤٠٠م



أول مجموعة من طلبة المدرسة الإكليريكية تتوجه للدراسة
فى مصر بالكلية الإكليريكية



بعثة من طلبة مدرسة سلاسى اللاهوتية للدراسة فى اليونان



المؤلف مع «تلميذه» لكاسلطانات
هبت مريم. الآن المطران ملكى صادق بأمريكا

- ١ -

علاقات قديمة / هجرة وتجارة

تؤكد السجلات التاريخية أن مصر الفرعونية وصلت إلى أعالى النيل فى السودان وإثيوبيا، وارتادت البحر الأحمر بسفنها ذات الطابع الخاص، وعرفت طريقها إلى سواحله الغربية، وأرسلت حملات إليها اقتربت من إثيوبيا بحثا عن مناجم الذهب والبضائع الثمينة. ووردت مناطق هذه السواحل فى السجلات المصرية القديمة باسم "أرض البنط" أو "أرض الله" كما ترجمه البعض، وكما كان قدماء المصريين يدعونها فمنها يأتى شريان الحياة.

وقد أشار هيروديت المؤرخ الإغريقى المعروف إلى غزوات قام بها سيزوستريس فرعون مصر بلغ خلالها البلاد المتاخمة للبحر الإريترى، وأكدها أيضاً الجغرافى اراتثينيس Era-tosthenes مشيرا إلى مسلة عند دير Deire منسوبة إليه. وأرسل پيپى الثانى رحلة إلى بلاد البنط حوالى عام ٢٤٠٠ ق م. وتكررت هذه الرحلات فى عهد الأسرة الحادية عشر، منها ما تم أيام منتحوتب الرابع لإحضار منتجات تلك الأراضى النادرة. وبنى منتحوتب الخامس ميناء عند سفاجه (الحالية) لتنظيم الرحلات المصرية إلى المياه الجنوبية، ومن أهمها الرحلات التى قامت بها الملكة حتشبسوت بخمس سفن إلى "بلاد البخور" حوالى ١٥٢٠ - ١٤٨٤ ق.م وسجلتها بالتفصيل على جدران معبد الدير البحرى.

واستمرت الرحلات بعدها إلى أرض البنط أو Divine Land فى الجوار الإثيوبى، وعددت نقوش تحتمس الثالث أماكن زارها هناك مثل أوتوليت وهماسو وتكارو ولا يبعد كونها مدن أدوليس (ميناء عدول) [(١)] وهماسين وتيجراى الإثيوبية. وسجل حورمحب استقباله لزعماء البنط الذين أحضروا له هدايا من الذهب وريش النعام واللبان والبخور.

وشهدت عصور البطالمة تزايد الرحلات [(٢)] مما أدى إلى نمو العلاقات، وأقيمت مخازن على طول ساحل البحر فى أماكن محصنة لتخزين المنتجات التى كانت تتاجر فيها إثيوبيا

(١) عدول ميناء قديم كان موقعه إلى الجنوب من مصوع الحالية، وكان مركز تجارة مملكة أكسوم مع العالم الخارجى بما فى ذلك مصر.

(٢) فتحت هذه الرحلات الباب للإغريق ليصلوا إلى هذه المناطق ويمارسوا نشاطهم التجارى. وقد عُرفت إثيوبيا فى أساطيرهم إذ كانوا يعتقدون أن فى الجنوب يسكن قوم من الأبرار الصالحين باسم "الإثيوبيين" سمر الوجوه، تحبهم الآلهة حبا عظيما وتزور بلادهم وتشاركهم احتفالاتهم وتقديم قرابينهم. وفى الإلياذة إشارة إلى مغادرة الإله زيوس لينضم إلى الأثيوبيين الصديقين فى عيد من أعيادهم.

وجيرانها مثل العاج والأبنوس وريش النعام والجلود والفيلة الحية. وقد اكتشفت بالقرب من دلتا نهر بركة مسلة بنقوش فرعونية تعود لبطليموس الثانى فى القرن الثالث ق.م.

وكانت هناك أيضا صلات برية نشأت عنها علاقات أوثق أيام الأسرة الخامسة والعشرين[٣] التى عرفت بالأسرة الإثيوبية من الجنوب، والتى حكمت مصر فى الفترة من ٧٥١ - ٦٥٦ ق م. وكان من بين ملوكها تاهراقا [٤] (ترهاقة ٢ مل ١٩ : ٩) وشبكا وبيانخى. وتراجعت هذه الأسرة فيما بعد إلى عمق النوبة حيث أسست مملكة مروة خلال الألفية التالية، عرفت بفنون وثقافة دينية ابتعدت مع السنين عما كان سائدا فى مصر القديمة. وعن طريقها تمت هجرات بين الشعبين فى مصر وإثيوبيا، وتبادل فى بعض المعتقدات والممارسات والأدوات. ففى إقليمى شوا وجودچام بإثيوبيا يمكن التعرف على آثارها فى قامة بعض الأهالى وشكل شعرهم، وفى الحلى كالأساور والخرز وغيرها التى يلبسها نساء الهضبة والتى تماثل ماهو مرسوم فى الآثار المصرية، وفى كحل العيون، وفى الأثاث والأدوات التى يستعملونها. ويذكر چيمس بروس المكتشف البريطانى أنه رأى مسلة للإله حورس أثناء زيارته لهذه المناطق من إثيوبيا ولكنها اختفت بعد ذلك، كما عثر على ثلاث ڤازات برونزية من النمط المصرى القديم، ولاحظ بالمثل أن المراكب التى كانت تستعمل فى بحيرة تانا من النوع المصرى.

---

(٣) بلغ عدد ملوكها خمسا وعشرين، ولترهاقة الثالث من السلالة صورة فى مدينة "هبو" وهو ممسك بقضيب من حديد يضرب عشرة أمراء. وقد اكتشفت قطعة من الحجر عليها نقوش فرعونية تفيد أنه كان يدرب جنوده لمواجهة الأعداء فى المنطقة بين سقارة وواحة الفيوم.

(٤) قارن الإصحاح ١٨ من سفر إشعياء عن "أرض حفيف الأجنحة"

* يقول الأنثروبولوجيون إن أفريقيا هى مهد الإنسان، وإن الإنسان الحالى ينحدر من سلف واحد مشترك هو السلف الإفريقى، أو بالأحرى الإثيوبى بعد التعرف عليه عام ١٩٧٤ بإكتشاف هيكل "لوسى" فى إثيوبيا، والذى قدرّ عمره بحوالى ثلاثة ملايين سنة. وأطلق عليه اسم الأوسترابيثيكوس الأول. وتعزز بإكتشاف هيكل ثان عمره خمسة ملايين سنة.

ومؤخرا، فى مارس ٢٠٠١، تم اكتشاف هيكل آخر فى كينيا بالقرب من الحدود الإثيوبية، عمره ٣,٦ مليون سنة، وهو يختلف عن لوسى بوجه مسطح وضروس طاحنة صغيرة وأطلقت عليه المكتشفتان سيف ليكى وابنتها لويز اسم كينيانثروبوس.

* اهتم المصريون القدماء بالتعرف على مصادر البخور ومناطق إنتاجه لأن إطلاقه كان جزءاً من طقوس عبادتهم، كما كانوا يستعملونه فى البيوت لرائحته الذكية وللقضاء على الروائح الكريهة والإقلال من وجود الحشرات. ولارتباطه بالصحة العامة ورفع الروح المعنوية للمرضى. وكان البخور من المحتويات الأساسية لمقبرة الملك أحمس الأول ومجموعة الملك توت عنخ أمون.

* وتمتد البونت أرض البخور من بوغاز باب المندب جنوبا وتلتحم غربا مع الأراضى الإثيوبية فيما يعرف بالأوجادادين الإثيوبى.

وتوجد قائمة مكتوبة باليونانية، فى الكتاب المعروف Periplus of the Erythrean Sea كتبها تاجر إسكندرى، مجهول الاسم، ضمنها صادرات إثيوبية إلى مصر، مما يؤكد قدم العلاقات التجارية بين مصر وأكسوم وميناءها عدول (أدوليس)، وتحرك أعداد من التجار واستقرارهم فى أكسوم التى كانت عاصمة المناطق الداخلية المتاخمة للبحر الأحمر كما ذكر "سترابو" الجغرافى اليونانى فى القرن الثانى ق.م.

وظل البحر الأحمر ولآلاف السنين شريانا مهما للتجارة وللهجرات البشرية بين شعوب سواحله بعضها بعضا، وبينها وبين بلدان الشرق الأدنى والبحر المتوسط والشرق الجنوبى لإفريقيا، وحتى مناطق جنوب آسيا وشرقها بما فى ذلك المناطق الواقعة على ما يعرف الآن بالخليج العربى (الفارسى) (٥)

ـ ٢ ـ

علاقات كرازية

ولعب البحر الأحمر دورا له شأنه فى مقاصد العلى وأعماله التدبيرية والخلاصية. حدث هذا حين واجهت إحدى السفن التى تعبره قادمة من الشمال مصيرا محزنا إذ اصطدمت بإحدى الشعب المرجانية المنتشرة قرب سواحله الضحلة. (٦) وتحطمت أمام ساحل إريتريا(٧) وعلى مقربة من ميناء عدول. ومات ركابها، بعضهم غرقا والبعض الآخر على أيدى القراصنة وأمثالهم. نجا إثنان فقط كانا بصحبة عمهما ميروبياس الذى يشار اليه على

---

(٥) وقد تم اكتشاف سفينة غارقة فى المنطقة المواجهة لساحل مدينة القصير عام ١٩٩٢م، وكانت على عمق ٢٠٠ قدم تحت سطح البحر وبحالة جيدة نسبيا وتعود إلى العصر الرومانى، وكانت متجهة إلى الهند أواخر القرن الأول ق. م وأوائل القرن الأول ب م، وكانت مملوكه للإمبراطور أغسطس الرومانى الذى خضعت له مصر. وبعد سنوات أمكن اكتشاف آثار ما كانت تحمله وهى أوانى فخارية ضخمة للنبيذ وزيت الزيتون.

(٦) تقول الرواية الإثيوبية إن السفينة توقفت فى ميناء عدول حيث هاجمها القراصنة فقتل العم أو هرب وكان فيلسوفا، ونجا الشابان وأخذا إلى القصر فى أكسوم. وترجع بعض المصادر سبب الهجوم على السفينة إلى انفصام العلاقة بين أكسوم من جانب وبين بيزنطه وحلفائها من جانب آخر. ويذكر أن قصة السفينة والشابين استقاها "رفينوس" الصورى أسقف أفويلا عن ايديسيوس أو يوديسيوس مباشرة وسجلها.

(٧) كانت إريتريا تشكل الجزء الشمالى من مملكة أكسوم، وحسب القصة تكون هى التى تقبلت المسيحية أولا. واسمها مشتق من كلمة أرثروس اليونانية ومعناها أحمر، وأسمره عاصمتها تعنى الغابة المزهرة.

أنه فيلسوف وأن الرحلة كانت ثقافية فى طريقها إلى الهند. كانوا من أهل صور على الساحل الفينيقى. وكانت صور مركزا تجاريا قديما له شهرته فى الألفية الأولى ق. م [٨] واستقرت فيها جاليات من سكان بلاد البحر المتوسط بما فيها مصر للتجارة والاشتغال بمختلف الحرف.

بلغ الشابان الشاطئ سالمين إما بقدرتهما على السباحة أو بمساعدة أناس رقوا لحالهما وعودهما الغض أو بنية بيعهما. وانتهى بهما الأمر فى القصر الملكى فى أكسوم. فقد تدخلت ذراع الرب وحسمت الموقف وحفظت حياتهما لمهمة سبق الرب وأعدها لهما. فصنعت هذه الحادثة "العابرة" التى تشبه الحكايات أو الأساطير تاريخا دخلت التاريخ المقدس لتؤكد أن الله لا يترك نفسه بلا شاهد، أو كما يقول القديس بولس إنه "يظهر كلمته فى أوقاتها الخاصة بالكرازة. تى ١ : ٣ "وبرجل الله الذى يختاره. ولا عجب أن أسم أحد الشابين كان "فرومنتيوس" ومعناه فى القبطية رجل الله" (أفروس انت ـ يوس)، واسم الثانى ايديسيوس (ديونيسيوس).

ورحب بهما القصر الملكى الأكسومى وحظيا بعطف الملك الذى قرر أن يستعين بهما فى بلاطه. فضم فرومنتيوس، الأكبر والأذكى، إلى فريق مستشاريه وجعله معلما لإبنه. وعين إيديسيوس رئيسا لخدم القصر. ومارس الشابان عملهما "لا بخدمة العين كما يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب. أف ٦ : ٦"، فكانا شاهدين حيين لإيمانهما المسيحى ينشران فكر المسيح بحياتهما العملية واستقامة قلبيهما. فحظيا بحب أهل القصر والمدينة حتى أنهما حين قررا العودة بعد وفاة الملك تمسكت بهما الملكة Ahiyewa أو صوفيا ليواصلا خدمتهما ومساعدتها على تربية ابنها الصغير حتى يعتلى العرش [٩] وفعلا استمرا كوصيين للصبى حتى كبر واعتلى العرش باسم إيزانا.

---

(٨) راجع إش ٢٣ : ٨ - ١٨.

(٩) تقول المصادر الإثيوبية إنهما صارا وصيين لإبنى الملكة، وليس لإبن واحد، واسماهما إيزانا وسيزانا وحكما المملكة معا وصار إسماهما أبرها وأصبها. وكانت عاصمة المملكة الثانية فى "يرر" فى إقليم شوا. وقد أطلق هذا الاسم على الإقليم أيامها بسبب هجرة التيجريين إليه بالألوف فلقبوا بـ "شيوتش" أى الألوف

وتقول الرواية الإثيوبية إن فرومنتيوس كوّن علاقات طيبة مع جماعات التجار المهاجرين من مصريين وسوريين وإغريق وغيرهم من المسيحيين المقيمين فى أكسوم وشجعهم على بناء أماكن للإجتماع والعبادة، فذاعت التعاليم المسيحية بين أهالى المدينة (١٠) وإنه أستأذن للذهاب إلى مصر للحصول على من يرعى الكنيسة الناشئة، وهناك قابل البابا أثناسيوس الرسولى وقدم له صورة عن المجتمع فى أكسوم وعن احتياجاته الرعائية والتعليمية.

وسواء ذهب فرومنتيوس إلى مصر من تلقاء نفسه كما تقول سجلاتنا، أو بإيعاز من القصر الأكسومى ومعه رسالة منه عام ٣٢٨ كما تقول الروايات الإثيوبية، فمن المؤكد أنه تدارس الأمر مع الملك وأمه ورجالات القصر واستقر رأى الجميع على توجهه إلى مصر موطنه وإلى كنيسته التى نشأ فيها. واهتم البابا أثناسيوس (١١) بأمر الكنيسة الجديدة، وقضى ثلاثة أيام مع المجمع المقدس فى الصلاة من أجلها بداهة، ومن أجل انتداب الرجل الصالح لرعايتها. وأثبتت الأيام أن اختياره لفرومنتيوس للأسقفية باسم أنبا سلامه الأول كان حقا بإرشاد الروح القدس. فقد نجح نجاحا كبيرا فى إثيوبيا، لاحت بوادره بترحيب أكسوم به وإطلاق اسم "كشان برهان أى كاشف النور" عليه، وتدعم بتحول الملك إيزانا إلى

---

(١٠) ويقول الإثيوبيون إن فرومنتيوس قابل "إنبرم" (أمرام) رئيس الكهنة فى أكسوم وناقشه فى أمور المسيحية، وذكر له فرومنتيوس ما لاحظه من وجود الإيمان المسيحى والمعمودية فقط، وغياب سر الأفخارستيا، فوضح له رئيس الكهنة أن هذا ما علمهم به خصى كنداكه. ولما أكد فرومنتيوس للملكة أهمية سر الأفخارستيا وسر الكهنوت تقرر إرساله إلى الأسكندرية.

(١١) فى كتابها The story of the Copts, p.183 تشير إيريس المصرى إلى مربية إثيوبية تقية احتضنت طفلين ولدا فى ممفيس كانت ترعاهما منذ ولادتهما، وذلك بعدما فقدا والديهما. ولما وصلا سن الرشد رأت أن الأفضل لهما أن تأخذهما إلى الأسكندرية للالتحاق بمدرستها. وحدث أن أخذتهما يوم أحد إلى الكنيسة وكان البابا أثناسيوس العظيم يرأس خدمة القداس. وبينما كان يبارك شعبه أثناء منح البركة العامة وقعت عيناه على الطفلين ومربيتهما الإثيوبية. وشعر بدافع داخلى للتعرف عليهما وأرسل شماسا يطلب من المربية الانتظار بعد القداس. ولما اكتشف أن الطفلين يتيمان أخذهما تحت رعايته. وسلم البنت لسيدة تقية لتعلمها ولما بلغت سن الزواج زوجها من شخص يعرفه جيدا. وصارت أما لواحد من كواكب الكنيسة هو البابا كيرلس عمود الدين. والصبى صار تلميذا له وتدرج حتى صار سكرتيره ورسمه كاهنا اشتهر بالعلم والتقوى. فلما تنيح البابا تيموثاوس خلفه وتوج باسم البابا ثاؤفيلس (البطريرك العشرون) وهو الذى بنى دير المحرق. وكأن الكنيسة القبطية مدينة لهذه الإثيوبية التقية، ومن ورائها إثيوبيا، من أجل حكمتها وحسن تنشئتها ورعايتها لطفولة قبطية أثمرت إثنين من كبار بطاركتها.

المسيحية قلبا وقالبا على يديه، ومن ثم تعاونه معه فى نشر المسيحية وامتداد الكنيسة الوليدة، حتى إن الإثيوبيين لقبوه بقسطنطين الثانى (١٢)

ومما يجدر ذكره أنه عاد إلى أكسوم عام ٣٣٠ حسب الرواية الإثيبوبية، وأنه عاد وحده مما يدل على وجود خميرة مسيحية فى البلاد اختار من بينها من رسمهم شمامسة وقسوسا(١٣) استعان بهم فى تأسيس الإيبارشية الجديدة، وفى رعاية الكنيسة الناشئة، وممارسة الطقوس الكنسية حسب المعتقد الأرثوذكسى السكندرى+. كما استعان بهم فى ترجمة القداس وكتب العبادة والكتاب المقدس من اليونانية والقبطية إلى لغة الجعْز.

ـ ٣ ـ

إرساء التقليد

بعد ما تنيح أنبا سلامه الأول حوالى عام ٣٨٠ أشارت المصادر الإثيوبية إلى "ميناس" باعتباره المطران الذى خلفه وأطلقت عليه لقب سلامه الثانى لنشاطه فى الترجمة إذ ترجم سفر الرؤيا، وكتب عدة عظات مازالت تقرأ فى الأديرة حتى الآن. وذكرت أخبار الملوك الأكسومية أنه عاصر الملك "أنباسًا ويديم" الذى ملك فى القرن السادس، مما يشير إلى وجود التباس أو خطأ فى تسجيل اسم الملك حيث أن وصول ميناس كخليفة لسلامه الأول يفترض أن يكون أواخر القرن الرابع. أو أن يكون من وصل أيام "أنباسا ويديم" ميناس آخر لأنه من الصعب تصور أن يظل الكرسى شاغرا مدة تزيد كثيرا على القرن بينما الكنيسة حديثة تحتاج إلى استمرارية الرعاية. إلا إذا كان خلفاء سلامه الأول لم يتميزوا بشئ يذكر حتى جاء ميناس فأعاد إلى الذاكرة بهمته وغيرته وانتاجه ما كان من أمر سلامه الأول فأشاروا إليه بسلامه الثانى.

(١٢) اكتشفت بعثة ليتمان الأثرية عملتين تعودان إلى عهد هذا الملك، أقدمهما تحمل نقوشا تشير إلى وثنيته، والثانية تحمل على أحد وجهيها صليب كبير وعبارة تكريس لإله السماء على الوجه الآخر.

ـ ومما يذكر أن "لونجينوس" السكندرى، الذى رسم كأول أسقف للنوبة الشمالية، زار علوة عام ٥٨٠ للتبشير وهناك وجد إرسالية من أكسوم تبشر، وكان هذا من ثمار وصول إيزانا بفتوحاته إلى هذه الأرجاء.

(١٣) يذكر تقليد أن أنبا سلامه رسم أسقفاً إثيوبياً باسم "هزب قديس".

+ وتذكر المصادر الإثيوبية أنه بعد موت قسطنطين عام ٣٣٧م وحل محله ابنه Constantius، الذى كان يعضد الأريوسيين، كتب رسالة لإمبراطور إثيوبيا يطلب منه عزل أنبا سلامه واستبداله بأسقف أريوسى، أو يرسله إلى الأسكندرية ليقابل البطريرك جورج الأريوسى ليتعلم منه القوانيين والأسس الكنسية ثم يعود إلى كرسيه. ولكن الإمبراطور رفض وأكد تمسكه بمعتقد الكنيسة القبطية مما يدل على توطد العلاقة بين الكنيستين منذ البداية.

والثابت أنه منذ تأسيس إيبارشية أكسوم بواسطة أنبا سلامه صار التقليد فى إثيوبيا أن يشغل رئاسة كنيستها مطران من أبناء كنيسة الأسكندرية (١٤) يحصل على الجنسية الإثيوبية بمجرد وصوله ويظل بها لا يبرحها حتى نياحته. وبدا الأمر وكأن صلة "رحم روحى" قد تكونت بين الكنيستين والشعبين. وصارت "إيبارشية" إثيوبيا البنت الكبرى لكنيسة الأسكندرية، واحتلت مكانها فى لقب باباواتها.

ويؤكد تاريخ القرون التالية أن كنيسة الأسكندرية أخذت موقف المتجاوب مع رغبات إثيوبيا التى كانت تعبر عنها رسائل أباطرتها التى كانت تحملها إلى باباوات الأسكندرية بعثات إثيوبية خاصة كانت تقوم بزيارة الأديرة والتعرف على رهبانها واختيار من تراه صالحا للمطرانية. أى أنها منذ البداية لم تفرض عليها مطرانا ما أو تبعيه غير التبعية للمسيح وللإنجيل وللتعليم الصحيح. فحين جاءها فرومنيتوس بأخبار مولد مجتمع مسيحى جديد، كأخبار "كنيسة البيت" التى كانت تفرح قلب الرسول بولس، اهتمت بها بفرح إذ كانت الكنيسة الفتية الكارزة التى لم تكن تضيع فرصة ما لنشر الإنجيل وبشارة الخلاص. وسارعت بحكمة أثناسيوس الرسولى إلى رسامة "العلمانى" فرومنتيوس مطرانا ليضطلع بدور تاريخى فاصل فى حياة أمة يقرب تعداد مسيحييها الآن من خمسة وثلاثين مليونا. وأكدت هذه الرسامة التاريخية أهمية "العلمانى" فى حياة كنيسة المسيح. فالذى "ولد" الكنيسة الإثيوبية ـ قياسا على التعبير الإنجيلى للقديس بولس (١٥) هو العلمانى فرومنتيوس وطوبى للكنيسة التى تحتضن العلمانيين الموهوبين من أبنائها وتستفيد من طاقاتهم، وتساعدهم على توظيف ما منحهم الرب من وزنات، وتعطيهم من المكانة والكرامة ما يستحقون.

(١٤) ويستند أيضا إلى القانون النيقاوى الذى نص على "أن الحبش لا يقام عليهم رئيس كهنة من علمائهم ولا باختيار منهم فى أنفسهم بل يكون تعيينه من قبل بطريرك الأسكندرية، ولا يحق له تعيين أساقفة". ونص القانون السادس منه "فلتحفظ السنن القبطية المتبعة فى مصر وليبيا وبنتابوليس (المدن الخمس الغربية) بحيث يكون لأسقف الأسكندرية سلطان على هذه كلها".

* وتقول كتابات إثيوبية أن الآباء المجتمعين فى نيقية أمروا بأن يقسم العالم إلى أربعة أقسام على مثال الأنهار الأربعة فى الكتاب المقدس، والفصول الطبيعية الأربعة وأركان العالم الأربعة (الشرق والغرب والشمال والجنوب)، والكراسى الأربعة الرئيسية وهى روما والأسكندرية وأفسس وأنطاكية (بهذا الترتيب)، على أن يخضع أساقفة العالم الآخرون لهؤلاء الأربعة. وكان الهدف الإبقاء على تماسك العالم المسيحى فى ذلك الوقت الذى كان فيه عدد المسيحيين قليلاً وعدد البلاد المسيحية أقل، ولضمان وحدة الكنيسة وحماية التعليم المسيحى. وهو تقسيم تجاوزه الزمن منذ أمد بعيد. وكان نافعا بالنسبة لإثيوبيا فى العصور الأولى. ولكنه تحول إلى "قيد" كبل حركة الكنيسة الإثيوبية بعد زيادة عدد السكان.

(١٥) "لأنى أنا ولدتكم فى المسيح" (١ كو ٤ : ١٥). "الذى ولدته فى قيودى" (فل ١٠)

وبعدما استقت البلاد الإثيوبية من النعمة التى جاءتها مع أنبا سلامه وخلفائه، صارت كنيسة الإسكندرية فى الذهن الجمعى الإثيوبى بمثابة الأم، والنبع الصافى للروحانية الأرثوذكسية ومصدر التعليم السليم. والسلوكيات الإنسانية، كما يشير العلم، تتشكل بالتعود لما له من قوة غير مرئية مثل قوة الجاذبية، حتى قيل إن الحب نفسه ما هو إلا اعتياد يتخلق من تكرار اللقاءات والممارسات وتقاسم التفكير والتوجهات وتدفق المشاعر والعواطف فى جدول مشترك، وهو ما يعرف أيضا بالحب التراكمى، فينشأ الاعتماد المتبادل وحاجة الواحد للآخر. هكذا كان الحال كما يبدو مع إثيوبيا. فلم ينصرم القرن الرابع الميلادى حتى تأصلت العلاقة بينها وبين كنيسة الإسكندرية، وارتبطت البركة فيها بوجود المطران كأنه تميمة خير. فما أن يتنيح حتى يسارع الأباطرة بالرسائل والبعثات والهدايا الثمينة للبابا فى مصر (١٦) فى طلب مطران جديد. وكانت دوافعهم فى الغالب دينية روحية لأنه حتى منتصف القرن الثالث عشر لم يأت ذكر لاقحام المطارنة فى أمور الحكم والسياسة أو فى تزكية الملوك وتتويجهم. كان عليهم فقط أن يرافقوهم فى حروبهم من أجل البركة وتيمناً بالنصر. أما تتويج الملوك فقد أضيف رسميا إلى مهامهم أواخر القرن الثالث عشر وعودة الأسرة السليمانية إلى الحكم إذ رأت فى ذلك إضفاءً للشرعية على أباطرتها وتوطيدا لأركان عروشهم فى وجه منافسيهم من أقارب أو غرباء.

ويؤكد علم النفس أن تغيير العادة أمر صعب خاصة إذا ما ارتبطت بمنفعة ما أو بنوع من الإشباع لرغبات الجسد أو الذهن أو الروح، أو كانت مبعثا على الرضى أو محققه للسعادة. وقد ترتقى العادة إلى منزلة "التقليد" الراسخ المتداخل فى قيم المجتمع ونسيجه الأدبى والإجتماعى والدينى، بحيث يصعب الخروج عليه أو تعديه بعد ما صار له حماته وحراسه. وهذا ما آلت إليه الأمور فى إثيوبيا إذ ظلت تستقدم مطارنتها من مصر، وتحافظ على تلك الصلة طوال ما يقرب من ستة عشر قرنا دون رغبة فى فكاك إلا فى حالات

(١٦) بعد دخول الإسلام مصر صار على الأباطرة إرسال قافلتين بالهدايا وبرسالتين إحداهما للسلطان والأخرى للبابا. وكانت القوافل تحمل عادة المسك والعاج والذهب وريش النعام وغيرها من منتجات البلاد الثمينة إلى جانب العبيد.

معدودات. (١٧) فبلغ عددهم مائة وأحد عشر مطرانا كانوا إثيوبيين أمناء على رسالتهم مخلصين لبلادهم الجديدة ولخدمتها. ولن يقلل من قدرهم ما شاب قليل منهم (١٨) بعض المآخذ من جهة السيرة والسلوك أو من جهة الميول المادية والطمع. وكان تأثيرهم بوجه عام طيبا for good كما شهد لهم الأجانب.

وهم ولاشك قدموا أفضل ما عندهم أو على الأقل حاولوا ذلك. وارتبط "ما عندهم" هذا بالمصدر أى بالكنيسة الأم. فحين كانت قوية ومزدهرة قدموا عملا قويا وخدمة متميزة أدت إلى ازدهار الكنيسة الإثيوبية، وإلى علو مكانتهم عند الشعب، أكثر من الملك أحياناً! والعكس كان صحيحاً فى أحوال كثيرة (١٩). وكان بالإمكان تأهليهم تأهيلا أفضل من حيث الإلمام بلغة البلاد ودراسة تاريخها والتعرف على عادات شعبها وتقاليدها، فتتيسر مهمتهم فى الوعظ والتعليم، ويتعمق تأثيرهم فى حياة الكنيسة والشعب،مما يوطد علاقة الكنيستين والشعبين بصورة يصعب اقتلاعها.

وطبيعى أيضا أن يتوقف تقديم "ماعندهم" على مناخ البلاد الإثيوبية ذاتها والظروف التى كانوا يعملون فيها. فاضطراب الأحوال السياسية والأمنية والإجتماعية، التى عانت منها البلاد فى فترات معينة أعجزت بعضهم ولاشك عن تحقيق ما كانوا يصبون إليه أو ماكان ينتظر منهم. ومحاولاتهم الإصلاحية ومهاجماتهم الحازمة لقضايا مثل تعدد الزوجات والتسرى وأمثالها ووقفاتهم الشجاعة فى وجه البدع والهرطقات أدت فى أحيان كثيرة إلى

---

(١٧) ينسب إلى "أباتمسفاسلاسى موجاس" تعليل آخر غريب يدعى أن ملوك إثيوبيا وإكليروسها كانوا يعتبرون كل مصر وأساقفتها وبطاركتها بما فى ذلك القديس مرقس إثيوبين. وأن وجود مطران مصرى فى إثيوبيا كان بمثابة جسر للسيطرة على مصر ببطء !

(١٨) يشير كتابنا ومنهم ساويرس ابن المقفع إلى فشل بعض المطارنة فى مناصبهم، وأنهم كانوا صورة سيئة من حيث تصرفاتهم الشخصية أو أعمالهم، أو طباعهم كالميل للتعاظم والتفاخر أو القوة والعنف. وكان منهم أيضا عظماء أمثال أنبا يعقوب الذى شهد له الإثيوبيون أنه كان موهبة متميزة فى التنظيم والإدارة ومتفتحا للإصلاح، وبدأ برنامجاً واسعا للتبشير بين أصحاب الديانات الإفريقية. وشجع الرهبان المهتمين بالعمل الكرازى، ووقف معهم فى محاربة التسرى الإمبراطورى مما دفع الإمبراطور "سيف أراد" (نيوايا كرستوس ١٣٤٤ - ١٣٧٢) إلى نفيه، وحل محله عظيم آخر هو أنبا سلامة الثانى الذى سموه "ترجوامى" أى المترجم لدوره الكبير فى أعمال الترجمة.

(١٩) فمثلا فى عصور المماليك والعثمانيين التى عانى الأقباط خلالها صنوفا من الضغط والاضطهاد إنطوت الكنيسة القبطية على نفسها وانشغلت عن ربيبتها الإثيوبية، وعجزت عن تقديم الدعم المعنوى والروحى والتعليمى لها مما أدى إلى ضعفها وتدهورها، وكادت تنهار تماما أيام هجمات الإمام محمد الأعسر فى القرن السادس عشر.

صدامات عنيفة بينهم وبين الأباطرة أو رجال الدين. وقد ذهب عدد منهم ضحية إما بالنفى أو السجن أو القتل أو الإضطرار إلى الهرب لمصر. فأنبا سلامه الثالث مثلا حددت إقامته ثلاث سنوات حتى مات فى ٢٥ / ١٠/ ١٨٦٧ (٢٠) وقبله عانى أنبا كيرلس الرابع اضطهاد الجندريين أصحاب عقيدة الولادات الثلاث له فاضطر إلى الهرب إلى إقليم تيجراى، وهناك اختلف معه الملك سباجديس وقيل إنه مات مسموما. ويوساب الثانى ظل فى الكرسى ثلاثة وثلاثين سنة فى عصر الفوضى الكبير عزل خلالها ست مرات، وبعد موته بأسبوع ـ كما تقول الرواية ـ سقط على قبره فى منتصف الليل نور سماوى كأنما ليؤكد قداسة حبريته الطويلة.

وكان المطران هو الرجل الثانى بعد الإمبراطور، وهو الرئيس الأعلى والفعلى للكنيسة وله مطلق الحرية للعمل دون الرجوع إلى البابا. وهو المرجع الأول والأخير فى كل ما يتعلق بمسائل العقيدة ونظم الكنيسة، ورئيس محكمة الإستئناف اللاهوتية. وهو الذى يصدر قرارات الحرمان ضد الأفراد الذين يغضب عليهم الإمبراطور فيضفى بذلك على القوانيين الإمبراطورية صبغتها الشرعية والتنفيذية. وكان مقره ملاذا للمظلومين، ففى عهد يوساب الثانى لجأ إلى مقره بعض الملوك يحتمون من خصومهم. إذا التجأ إليه أحدهم صار بمأمن من أى سوء، وكان وحده الذى يقوم بالخدمة الكنسية كرئيس الكنيسة فى كل الأعياد والاحتفالات والمواكب الدينية الكبيرة لعيدى الغطاس والصليب، يلبس خلالها ملابس كهنوتية فاخرة، وتظلله مظلة ذهبية كتلك التى للإمبراطور رمزا للسلطة التى يمثلها (٢١)

وكان المطران يحظى بتبجيل فائق من جميع أفراد الشعب باعتباره راعيهم ومعلمهم الأول ورأس الهيكل الكهنوتى بأكمله والذى يقوم وحده برسامة أفراده جميعاً من شمامسة

(٢٠) حدث هذا رغم التحالف الكبير الذى كان قائما بينه وبين الإمبراطور توودروس (تاوضروس) الذى توجه. وعاد ذلك إلى أمرين كما يبدو : الخلاف الشديد الذى نشب بينهما بسبب أملاك الكنيسة التى سيطر عليها الإمبراطور، وشك الإمبراطور فى أن أنبا سلامه الثالث سرّب معلومات خاصة بنسبه وبأنه لم يكن ينتمى للأسرة السليمانية صاحبة العرش.

(٢١) المظلات فى إثيوبيا، إلى جانب وظيفتها فى الحماية ضد الشمس والمطر، هى رمز للسلطة. وتتميز بألوانها وأقمشتها. فالأقمشة المتميزة ذات اللون الذهبى كانت للإمبراطور والمطران، والأحمر للعرسان عند تناولهم السر المقدس.

وقسوس ورهبان. كما يشرف على جميع الأديرة والكنائس والمدارس الكنسية (٢٢)، وعلى أملاك الكنيسة وإيراداتها من أموال سائلة أو هبات عينية كالشمع واللبان والحبوب والعاج والذهب والحلى وغيرها. وهو وحده الذى يبارك تابوت العهد فى كل كنيسة جديدة إيذانا بتكريسها وممارسة الطقوس والتعليم فيها.

وصار تتويج+ الملوك والأباطرة من كبرى مهامه بدءاً من النصف الثانى من القرن الثالث عشر، الأمر الذى أضفى عليه أهمية ونفوذا كبيرا، وجعله ضرورة من ضرورات الحكم، ومصدرا من مصادر استقرار البلاد ونظامها السياسى. وقد ساعد هذا التزاوج الدينى والسياسى على تدعيم وحدة البلاد لانتشار الكنيسة ورجالها فى كافة أرجائها. وظهر أثر ذلك فى فترات ضعف الأباطرة لحساب قوة الزعماء المحليين والرؤوس، أو انقسام البلاد إلى مملكات وإمارات صغيرة، إذ امتدت سلطة الكنيسة وقوتها كعامل توحيد، عابرة كافة الحدود الإقليمية التى أقامها الملوك أو الأمراء.

وانبثق عن حق المطران فى تتويج الأباطرة إمكانية أن يعزلهم أيضا، خاصة من يخرج منهم على قوانين الكنيسة، أو يحاول الإضرار بمصالح البلاد أو بوحدتها. إذ يكفى أن يحرمه أو يحل الشعب وقياداته من قسمهم بطاعته والولاء له حتى يقضى عليه. وآخر مرة حدث فيها هذا كانت عندما حرم أنبا متاؤس الإمبراطور الشاب "ليدچ ياسو" بسبب مغامراته السياسية والدينية التى هددت وحدة البلاد ومصالحها العليا فانتهى أمره إلى العزل فالسجن مدى الحياة.

وكان للمطارنة دور مؤثر عندما عصف بالبلاد الصراع العقائدى والجدل اللاهوتى حول طبيعة السيد المسيح فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. إذ وقفوا إلى جانب العقيدة

---

(٢٢) ظل سلطان المطران مطلقا فى هذه الدوائر حتى أنشئت وظيفة الإتشيجى فى القرن الثالث عشر من بين رؤساء دير دابرا لبانوس. وكان أبّا تكلاهيمانوت أول من شغلها بناء على اتفاق بينه وبين الإمبراطور يكونو أملاك. وصار الإتشيجى المسئول الأول عن الأديرة وحلقة الوصل بين الرهبان والمطران.

+ يجلس الإمبراطور على الكرسي المعد له. ويبدأ المطران بكلمة يوجهها إلى الأمراء والكبراء ورجال الجيش والإكليروس والشعب يقول فيها "أزكى لكم الإمبراطور.. كى تطيعوه وتعاونوه على القيام بواجباته الروحية والمادية كى يعمل على تقدم البلاد والمحافظة على ديانتها "ويرفع الكتاب المقدس ويسأل الإمبراطور عدة أسئلة حول الحفاظ على المذهب الأرثوذكسى وعلى الشعب الإثيوبى ليرد عليها الإمبراطور بالإيجاب. ثم يقدم أسقف لاستا الملابس الإمبراطورية ليباركها ثم يتم إلباسها للإمبراطور. ويصب المطران زيت الزيتون من قرن غزال على رأس الإمبراطور ويحمل التاج بين يديه ويضعه على رأسه.

السليمة يوضحونها ويدعمونها بالمناقشات والكتابات ورسائل الآباء البطاركة (باللغة العربية) وحضروا عددا من المجامع وأصدروا قرارات الحرم ضد كثيرين. فشنوده الأول (١٦٧١ - ١٧١٦) حرم رهبان لاستا الذين أطلقوا بدعة أن "الآب" تجسد من العذراء مريم. ومرقس الثالث (١٦٨٩ - ١٧١٦) ساعد فى مجمع حول عقيدة القبات وحرم أتباعها. ويوساب الثانى (١٧٧٠ - ١٨٠٣) حرم الإتشيجى "ولدبونا" نفسه لاعتناقه مذهب الولادات الثلاث. أما سلامه الثالث فكان دوره بالغ الأثر إذ حرم الإتشيجى ثم حرم سهل سلاسى ملك شوا عندما إنحرفا عن عقيدة الكنيسة وتبعا عقيدة "الصجا" (الولادات الثلاث). وناصر الرأس كاسا المعروف بأرثوذكسيته رغم كونه لم يكن ينتمى إلى الأسرة المالكة، وتوجه عام ١٨٥٥ باسم توودروس الثانى فوضع حدا للمجادلات اللاهوتية وتخلص من البعثات التبشيرية الكاثوليكية، وأعاد للبلاد استقرارها.

فلا عجب أن كانت رسامتهم فى القاهرة تعتبر حدثا فريدا فى الكنيسة، تتم فى احتفالات كبيرة وفى جو من الفرح العام. وكان استقبالهم فى وطنهم الجديد لا يقل روعة، يبدأ رسميا وشعبيا من وقت وصولهم إلى حدود البلاد حتى يصلوا مشارف العاصمة فى موكب ضخم من البشر ليجدوا الإمبراطور وأسرته وحرسه ورجال الدولة فى استقبالهم. ويتوجه الموكب إلى الكنيسة رأسا حيث يقيمون القداس الأول، وعند نهايته ينثر الإمبراطور الذهب على رؤوس الحاضرين، ويهب أعيان دولته الرتب والألقاب.

ورغم هذه الأهمية التى كانت للمطران القبطى فقد تردد أن مدى قوته وسيطرته على المواقف كانا محكومين بعوامل كثيرة ليس أقلها قوة وقدرة السلطات التنفيذية، فترسخت مقولة إن المطران لا يستطيع أن يعمل إلا ما يريده صاحب السلطان. وهى مقولة فيها مغالاة وتتطلب تمحيصا تاريخيا، فهى تسقط من الحساب قوة الشعب وتأثير الإكليروس بمختلف طبقاته. ثم أن المطران بثقله الدينى وسلطته الروحية كان حاضرا باستمرار وسط القوى الزمنية يؤثر فيها بالإيحاء أو بهيبة الكرسى أو بقوة مرجعيته الدينية والقانونية والتعليمية أو بسلطة الحرم، أو بهذه كلها مجتمعة. وعلى أية حال فسواء صدقت هذه المقولة أو لم تصدق فإنه لا يمكن التسليم بالآراء التى ادعت أنه "لولا وجود المطران المصرى فى إثيوبيا لكانت مسيحيتها وكنيستها قد إنتهيا تماما منها أو على الأقل تحولت إلى مسخ "فقد كان

لكنيسة الأسكندرية مطارنة وأساقفة فى كنائس المدن الخمس الغربية (بنتابوليس) إلى الغرب منها، وفى ممالك النوبة إلى الجنوب. ورغم الحدود الجغرافية المشتركة وسهولة الاتصال فقد اختفت المسيحية من الأولى فى القرن السابع، وبدأت تختفى من الثانية فى القرن الرابع عشر حتى اندثرت فى القرن السادس عشر. بينما المسيحية مازالت مزدهرة فى إثيوبيا واحتلت كنيستها اليوم مكانها ومكانتها بين كنائس العالم. مما يدل على دينامية الشعب الإثيوبى وتمتعه بحس دينى تقوى عميق الجذور صمد أمام التقلبات والمحن التى واجهها على مدى العصور. وبقدر ما تحسب عليه المجادلات اللاهوتية العقيمة التى اندلعت فى القرن السادس عشر، وبذر بذورها رهبان روما، بقدر ما تحسب له باعتبارها دليلا على حيويته وتعلقه بأمور العقيدة واللاهوت. فهى "ترف" فى مجرى الحياة المسيحية لا يقدر عليه إلا من كان عنده ميل واستعداد لتكريس الوقت والجهد والرغبة للدخول فى غمارها وأخطارها. والواقع إن من أشعل فيها نارا وأطال فى عمرها فاستمرت قرابة ثلاثة قرون هو اختلاطها بمشاكل البلاد الأعمق من سياسية واقتصادية وعرقية، واستغلالها من قبل المستفيدين من رجال الحكم ورئاسات الأديرة.

ويقول عنها بعض المؤرخين الإثيوبين إنها فى الواقع بدأت كاجتهادات لإيجاد تفسيرات أرثوذكسية لدرء أى خطر يهدد العقيدة الأرثوذكسية مثل خطر العقيدة الكاثوليكية التى تعلم بطبيعتين للمسيح. ولكنها فتحت الباب للتهور والإبتداع فى صورة صراع بدأ بين رهبان دير دابرا لبانوس الذى أسسه تكلاهيمانوت ورهبان دير إيوستاسيوس ثم انتشر بين كافة الأديرة، وكان صراعا بالأساس وراء السلطة والكلمة العليا والعوائد المادية. ولقد عانى أصحاب العقيدة الأرثوذكسية السليمة (الكارا) صنوف الإضطهاد والتعذيب مما يجعلها بحق كنيسة شهداء.

ـ ٤ ـ

عقود التحولات

حقا إن دوام الحال من المحال، كما يقولون. فما إن انصرم الربع الأول من القرن العشرين حتى أخذت حظوظ «**التقليد**» القديم تتبدل. وبدأت المواقف الإثيوبية منه تتطور حتى آلت إلى النقيض فى خلال عقود قليلة. وزيارة خاطفة لأديس أبابا اليوم تكشف لنا

مدى ما طرأ من تغيير. ولنبدأها بالشارع التاريخى، الذى أشرنا إليه بشارع الكنائس فى الفصل الأول فهنا يطالعنا مبنى حديث فخم من ثلاثة طوابق، يغلب عليه اللون الأحمر الطوبى، صممه مهندس إيطالى. يعلوه "دش" كبير، وتنتصب فى مدخل حديقته ساريتا علمىْ إثيوبيا والكنيسة عاليا. وفى مدخله لوحة كبيرة لفنان إثيوبى تمثل إثيوبيا تمد يديها لله (مز ٦٧ : ٣١). تم بناؤه عام ١٩٩٦ ويتميز بأناقة الداخل وبأثاثه العصرى الرفيع الذوق، ونظافته المتناهية. إنه دار البطريركية الإثيوبية الجديدة ومقر غبطة أنبا پاولوس بطريرك إثيوبيا الخامس حيث يطالعك بفراجيته البيضاء وعمامته البيضاء فيتميز بهما وسط مطارنته وأساقفته باللباس القبطى الأسود المألوف، وكأنه يقدم رمزا ومعْلما لكنيسة إثيوبيا الجديدة، ككنيسة قومية وعضو كامل الأهلية فى أسرة الكنائس الشرقية اللاخلقدونية، وفى غيرها من المنظمات الكنسية الإقليمية والعالمية.

وقاعة المجمع المقدس تشغل جزءاً من الطابق الأول، وتم إعدادها لتستوعب عشرات المطارنة والأساقفة. وإن كان عددهم الآن ٥٢ (٢٣)، وعدد الإيبارشيات إثنتان وثلاثون إلى جانب إيبارشيات أورشليم والمهجر.

ويخضع الآن مبنى "المطرانية" القديم، الواقع خلف مبنى البطريركية، والذى كان مقراً للمطران المصرى، لعملية إصلاحات واسعة، حيث أن أنبا پاولوس يخطط لتحويله إلى متحف كنسى يضم "آثار ومتعلقات" العهد القبطى والعهد الحديث ومكتبة عصرية للبطريركية.

وتشرف على غرفة "السويتش ـ تليفون المقر البطريركى" راهبة تتكلم العربية بطلاقة، فقد ترهبنت فى الخرطوم على يدى المتنيح أنبا دانيال مطران الخرطوم. وإذا سألتها بالعربية عن غبطة البطريرك، أجابت بالقول "البابا مشغول" أو "البابا موجود" ! (٢٤)

(٢٣) حضرت رسامة آخر ١٢ أسقفا منهم فى يوليو ١٩٩٩، من بينهم أسقف لإفريقيا هو أنبا بطرس الذى درس بالإكليريكية القبطية فى السبعينيات.

(٢٤) وكنت عادة أمازحها بقولي "ما أنا عارف إن البابا غير موجود. فهو بالقاهرة. ولكن أنا بسألك عن "أبونا" البطريرك. فتضحك وتقول "آه صحيح. أباتاتشن (أبونا / سيدنا) غير موجود. أصلى أنا بستسهل كلمة البابا.

وهذا الوضع القائم الآن هو العتبة الأخيرة فى تسنم الطريق نحو القمة. كانت أولى العتبات عام ١٩٢٩ حين تمت بالقاهرة رسامة أربعة أساقفة تم اختيارهم لأول مرة من بين الرهبان الإثيوبين وانضم إليهم خامس هو الإتشيجى جبره منفس قدوس الذى رسمه البابا يؤنس التاسع عشر أسقفا أثناء زيارته لإثيوبيا عام ١٩٣٠+. وجاءت الخطوة الكبيرة التالية عام ١٩٥١ حين رسم بالقاهرة أنبا باسيليوس الإثيوبى مطرانا له حق رسامة أساقفة. ووافق له البابا على أن يرسم أسقفا إثيوبيا لأورشليم وخمسة أساقفة آخرين فى العام نفسه، ورسامة ثلاثة أساقفة عام ١٩٥٣. وكانت الخطوة الأكبر حين رفع المطران باسيليوس إلى رتبة بطريرك جاثليق++ فى حفل ضخم بالكنيسة المرقسية بالقاهرة. وبعد نياحته اغتنم أنبا ثاوفيلس، مطران هرر والنائب البطريركى والمنتخب لشغل الكرسى البطريركى، فرصة خلو الكرسى البابوى بعد نياحة البابا يوساب الثانى وحقق رسامته بطريركا كامل الصلاحيات، وتوارى لقب "الجاثليق" مستحييا.

كيف حدث هذا التطور الكبير خلال عقود ثلاثة فقط ؟ تحولت خلالها الكنيسة القبطية من التصميم الراسخ على الحفاظ على **التقليد** الموروث بتبعية الكنيسة الإثيوبية لها وبرئاستها المطلقة إلى التسليم الكامل بكل المطالب الإثيوبية لتتمتع الكنيسة الإثيوبية بندية كاملة ؟!

هل كانت هناك إرهاصات أو مقدمات لهذا التحول ـ الإنقلاب؟ أم جرى فجأة وكأنه ولد مكتمل النمو وفرض نفسه بين يوم وليلة؟ يخطئ من يظن أن ما يصيب المجتمعات يحدث دون مقدمات قد تطول أو تقصر. وما نتصور حدوثه فجأة قد سبقته تطورات فى البنية التحتية لتلك المجتمعات قلّما نتنبه إليها، إما لصعوبة رؤيتها أو مراقبتها، أو لخطأ ما فى قراءتها وفهم مدلولاتها، أو لعدم الاهتمام بها جملة وتفصيلا. ولا يعنى هذا عدم وجود ذوى الحاسة السادسة الذين "يتشممونها" ويشعرون بنبضها ويقومون رغم قلتهم بدور "الرادار" لمجتمعاتهم فى اكتشاف ما خفى عنها أو ما غاب عن وعيها. وهؤلاء هم التقدميون الذين

+ غادر قداسته بورسعيد بالباخرة إلى جيبوتى ١٩٢٩/١٢/٢٦ ووصل أديس أبابا بالقطار من جيبوتى ١٩٣٠/١/٣ حيث قضى قرابة عشرة أيام كان موضع حفاوة وتكريم فائقين.

++ كلمة (قاثوليك أو كاثوليك) تعنى البطريرك الصغير.

يخرجون عادة بنبؤات غريبة أو مرفوضة، ويتقدمون بأفكار وحلول سابقة لأوانها. وعادة ما ينعتون بالنشاز أو بما هو أسوأ.

وفى مثل مراحل التطور أو التكيف هذه تُعاد قراءة تقاليد المجتمع وقيمه الموروثة، كما تواجه العديد من التساولات وتتعرض لمختلف الأحكام. وقد يهتز بعضها ويفقد بريقه، ويصير ما كان منها مقبولا أو مستساغا غير مقبول أو مرفوضا. وقد يعتبر بعضها متحجرا يكبل حركة المجتمع ولا مندوحة من تفتيته.

وتواجه بالمثل علاقات المجتمع مع غيره من المجتمعات عملية إعادة للنظر ولموجة من التحليلات والتقييمات بهدف وضعها في أطر جديدة تنسجم مع ما يحدث من تطور. وأخطر ما يهدد علاقات الأطراف ـ أية أطراف ـ هو أن يتطور وعى طرف منها وتتغير رؤاه وأولوياته بينما يبقى الطرف أو الأطراف الأخرى على حالها. عندئذ تتباين وجهات النظر والمرجعيات بينها وتختلف المنطلقات وتتباعد المواقف. وقد ينتهى الأمر إلى تفسخ فى العلاقات أو إلى ما هو أسوأ، خاصة حينما يبدأ كل طرف فى البحث فى السجلات القديمة لتصيد الأخطاء أو صور التقصير وما إليه، ومن ثم يبدأ فى نشر الغسيل الوسخ. أو ينبش فى الماضى بحثا عن نقاط خلاف أو صدامات سابقة. "فتدسا تامرات"، مثلا، يذكر اليوم فى كتابه "The Missionary Factor" أنه بالرغم من الصلة الوثيقة ببطريركية الأسكندرية والاعتماد على سلطاتها الكهنوتية فقد ظهرت اختلافات مع الكنيسة الأم ليس فقط فى شكل العبادة بل وفى قضايا إيمانية أكثر أهمية، خاصة بعد انضمام مصر للعالم الإسلامى. فقد أخذت الكنيسة القبطية مثلا تحد أكثر فأكثر من صور عباداتها العامة والعلنية مراعاة لحساسيات السلطة الإسلامية الحاكمة. ويمكن التعرف من خلال كتابات المقريزى المؤرخ المعروف على العديد من الممارسات والمواكب العامة التى اختفت من مصر ولكن إثيوبيا مازالت تحتفظ بها حتى اليوم. فقد اعتاد الأقباط الاحتفال بعيد الظهور الإلهى (الغطاس) على ضفاف النيل بمظاهر من الإبتهاج والتهليل والتقديس مازال الإثيوبيون يراعونها حتى اليوم فى بلادهم الجبلية الجميلة مع بعض الإضافات المحببة. ومن جانب آخر، أدى اعتبار الكنيسة الإثيوبية للعهد القديم أساسا وجزءاً مكملا للتقليد المسيحى الذى وصلها منتصف القرن الرابع الميلادى إلى اعتمادها عليه فى عباداتها

وعقيدتها مما تسبب فى صدامات بين المطارنة الأقباط وبعض الأديرة وأحيانا غالبية الإكليروس الإثيوبى [٢٥]. فالمسيحيون الإثيوبيون لا يعتبرون أنفسهم مجرد مسيحيين بل وأيضا ورثة للوضع الخاص الذى كان لإسرائيل كشعب الله المختار [٢٦] فإسرائيل الجديد هو الآن فى جبال إثيوبيا التى يحكمها أحفاد سليمان وملكة سبأ وأبكار الأسباط الإثنى عشر الذين أمرهم سليمان أن يرافقوا إبنه منليك الأول إلى أكسوم. فمع أن إسرائيل القديم أضاع مركزه كشعب الله المختار بعدما رفض المسيا وصلبه، فإن أحفاد ملكة الجنوب التى أشار إليها السيد المسيح (مت ١٢ : ٤٢، لو ١١ : ٣١) قد قبلوه وقدسوه. ثم إن الكهنة الإثيوبيين يعتبرون أنفسهم "لاويى" إسرائيل الجديد. فهم أحفاد صادوق رئيس الكهنة أيام سليمان الملك، الذى أرسل أيضا إبنه البكر مع منليك الأول إلى أكسوم. وهم دائما فى خدمة تابوت صهيون يسبحون وينشدون ويرقصون بصحبة الطبلة والصلاصل Sistrum.

وكان طبيعيا أن تخضع علاقة الكنيسة الإثيوبية بكنيسة الأسكندرية للدرس والتقييم. ومع أنها كانت مسألة روتينية مستقره فى نظر الكنيسة المصرية فقد بدت فى الأعين الإثيوبية قضية محورية جديرة بإعادة التقييم فى مواجهة رياح التغيير الى بدأت تهب على البلاد وعلى المنطقة والعالم بأسره.

---

(٢٥) وكان ذلك حول قضايا مثل حفظ السبت والختان والأطعمة غير الطاهرة. فمثلا فى عهد البابا يوساب الأول (٥٢ : ٨٣١ - ٨٤٩) حرمت الكنيسة الإثيوبية لرفضها قبول يؤنس الأول الذى وقف ضد الختان وجعل منه قضية عقائدية.

(٢٦) قيل إن هذا التوجه بدأ حينما اتخذ الملك "إلأسباس" اسم "كالب" أواخر القرن السادس الميلادى، فكان أول إمبراطور يحمل اسما كتابيا. وهو إسم له رمزيته لإشارته إلى الشاب الفتى الذى يمثل سبط يهوذا والذى أرسله موسى مع يشوع لتفحص الطريق إلى أرض الموعد (عد ١٣ : ١ - ٣٣، ١٤ : ١ - ١٠). وقد استغل هذه الرمزية صانعو التقليد من الإثيوبيين ذوى الخيال الواسع طوال القرون التالية لينسجوا إسطورة إثيوبيا "إسرائيل الجديد". ومما يجدر تسجيله أن هذا الفكر الأسطورى وجد صداه فى جاميكا على بعد آلاف الأميال من إثيوبيا حيث قامت حركات فى الثلاثينيات من القرن الماضى بين فقراء السود تدعوهم إلى العودة إلى إفريقيا "السوداء" وإلى أثيوبيا بالذات، وتعرف بالعقيدة "الرستفارية" إشارة إلى "رأس تفرى" مكونن ملك إثيوبيا، ومضمونها أن الجمايكيين هم أبناء صهيون الجدد وأن إثيوبيا هى أرض الميعاد "صهيون الجديدة" التى ينبغى أن تكون قبلة جميع البشر السود. وحدث أنه عندما زار "رأس تفرى" جاميكا عام ١٩٦٦، وقد صار الإمبراطور هايل سلاسى الأول إمبراطور إثيوبيا، جرى استقباله استقبالاً مذهلا تغنت الجماهير خلاله بأغنيات مستوحاة من التوراة ومرحبة به باعتباره "إبن داوود" - أى الملك داوود ملك إسرائيل. وقد انتشرت هذه العقيدة الآن فى أنحاء عدة من إفريقيا خاصة فى وسطها مثل منطقة البحيرات، والتى تعتبر نفسها جزءاً من أرض كوش التى تضم إثيوبيا واريتريا أيضا، والتى ورد ذكرها فى العهد القديم عشرات المرات. وتؤكد هذه العقيدة أن أرض كوش تجسد إسرائيل القديمة تراثيا وروحيا، وأن الجنس الأسود هو الأصل والسيد، وعلى السود أن يعودوا إلى إثيوبيا وبقية أرض كوش فى رواندا وبوروندى وأوغنده. ووجدت هذه العقيدة سندا لها فى الكتاب المقدس فى قول الرب "ألستم لى كبنى الكوشيين يابنى إسرائيل يقول الرب. عا ٩ : ٧".

ثم أن الخريطة الإثيوبية كانت فى حالة تغيير متواصل وهى تحاول الخروج من أوضاع القرون الوسطى، وبدأت توطد أركانها كإمبراطورية خلال القرن التاسع عشر فى عهد توودروس الثانى وبعده يوهنس الرابع، وأخذت توسع رقعتها أيام منليك الثانى الذى كون إمبراطورية خلال عشرين عاما عمل على دفع حدودها غربا حتى قضارف وبحيرة ڤيكتوريا، ووسعها شرقا وجنوبا مخضعا قبائل الجلا لسلطانه. كما أوقف أطماع إيطاليا وهزمها فى معركة عدوه عام ١٨٩٦. وأسس أديس أباباكعاصمة لإمبراطوريته عام ١٨٩٣. وحقق مركزية الحكم وشكل عام ١٩٠٠ أول وزارة فى تاريخ إثيوبيا ضمت تسعة وزراء. وعمل على عصرنة البلاد باستقدام الصناع والفنيين الذين ساعدوا على ذلك، واهتم بالتعليم وافتتح أول مدرسة باسمه وبإدارة قبطية. وقيل إن ليدچ ياسو كان لديه برنامجه لتحديث البلاد وعلمنتها، وكان متعجلا يريد تحقيقه بأسرع ما يكون فاصطدم مع القوى التقليدية ومع الكنيسة التى كان يرى فيها معطلا لبرنامجه. فكان ما كان من عزله وسجنه. أما تفرى مكونن (هايل سلاسى لاحقا) فقد سلك طريقا متزنا مترويا فى تحديث بلاده. فزار البلاد الغربية للتعريف بها، ونظم التمثيل الخارجى ووسع نطاقه. واهتم بالتعليم على النمط الأوربى وجعله مجانا. واهتم بالمواصلات من شق الطرق ومد خطوط التليفون. ودعم الحكومة المركزية توسيعا وامتدادا لما بدأه منليك. وأعطى البلاد أول دستور فى تاريخها بعد ما اعتلى العرش عام ١٩٣١.

وخرجت إثيوبيا نفسها من عزليتها، أو بالأحرى أُخرجت من عزلتها حين باتت مطمعا لقوى استعمارية تمثلت فى فرنسا وإنجلترا وإيطاليا التى عقدت إتفاقية ثلاثية معا نهاية عام ١٩٠٦ بدعوى المحافظة على سلامة إثيوبيا، والواقع هو محاولة تجنب التصادم بينها بينما يحاول كل منها تعزيز مركزه فيها. وكان لمصر حصتها فى ذلك أيام الخديو إسماعيل حين عمل على توسيع رقعة ما سيطر عليه من مصوع إلى هرر وزيلع وبربره واقليم سيمين.

ولحق التطور الشعب الإثيوبى ذاته من خلال دوامة الصراعات التى خاضها، ومن خلال الاحتكاك بالأجانب أو بتحديهم، وبفضل التعليم سواء فى مدارس الإرساليات، أو مدارس الأديرة والكنائس حين نهضت فى عصر يوهنس الرابع، أو فى المدارس المدنية التى بدأ منليك الثانى فتحها. وتطورت أيضا مفاهيمه كما نما الوعى العام إجتماعيا وثقافيا.

وبدأت مرحلة التساؤلات وتقييم الأوضاع فى الداخل والعلاقات بالخارج. وتنامت هذه المرحلة مع تضخم شريحة المثقفين واحتلال "الصفوة" مكانها كقاطرة للتغيير. وبدأت الصحافة وبعدها الإذاعة فى لعب دورهما بتوجيه الأفكار وتشكيل الرأى العام وتحريكه. وبديهيا، نالت الكنيسة الإثيوبية ومسألة تطويرها وقضية علاقتها بالكنيسة الأم نصيبها من هذا التحرك لمنزلتها ودورها المؤثر فى حياة البلاد.

– ٥ –

الهاجس الإثيوبى

تولد عن أهمية المطران ومركزه هاجس الخوف من غيابه [٢٧] لما يترتب عليه من آثار بعيدة المدى تلحق بالمجتمع وبالفرد نفسه وبالأوضاع السياسية والدينية بالبلاد كما جاء ذكره آنفا. وكان يضخمه ما كان يسيطر على عامة الشعب من عيافة وتطير [٢٨] وتضاعف الإحساس به عندما دخلت البلاد فيما يشبه العزلة وزاد اعتمادها على كنيسة الأسكندرية كقناة اتصال ومتنفس روحى ومصدر للتعليم والتنمية الدينية. وحدث هذا عندما جاء القرن السابع ومعه ظهور الإسلام وبدأت مؤشرات تنذر بهبوط أسهم أكسوم وانكماش أهميتها، بعدما تم احتلال مصر والشام وتهددت سواحل البحر الأحمر، فتراجعت تجارتها التى كانت بمثابة شريان حياتها وازدهارها. وتوقفت أو كادت طرق

(٢٧) تكرر خلو الكرسى مرات من أبرزها (١) خلا من سبعة إلى ثمانية عقود فى القرن العاشر وامتنع البابوات مكاريوس وثيوفانس وميناس الثانى وأبرام عن رسامة بديل لبطرس الأول. (٢) فى عهد الإمبراطور لاليبالا نشب خلاف بين البابا كيرلس الثالث وأغناطيوس الثانى بطريرك انطاكية حين رسم الأول مطرانا مصريا لرعاية المصريين فى أورشليم "متعديا" على اختصاص الثانى الذى رد عليه بأن رسم مطرانا لإثيوبيا استجابة لطلب إمبراطورها (٣) شغر من ١٢٥٠ – ١٢٨٥ أواخر العهد الزجوى وأوائل حكم الإمبراطور يكونوأملاك. وقتها ظهر الراهب تكلاهيمانوت وتولى مهام المطران باختيار الشعب. ولما وصل المطران يؤنس رحب به كمطران البلاد وانسحب. (٤) ظل الكرسى شاغرا فى المدة ١٤٥١ – ١٤٨١ فى نهايتها رسم البابا يؤنس ١٢ إثنين هما أنبا مرقس مطرانا وأنبا إسحق أسقفا. خلالها مات الإمبراطور "بائدا مريم" دون أن يتوج (٥) بعد موت أنبا كيرلس الرابع عام ١٨٢٨ ظل الكرسى شاغرا فاستقدم حاكم جندر مطرانا يونانيا باسم باولوس بمساعدة اليونانيين المقيمين فى إثيوبيا وقنصلهم. تفاقمت فضائحه الأخلاقية فسموه حاج باولوس وطردوه.

(٢٨) قيل إنه حل بالبلاد كوارث كالقحط والأوبئة وعللت بأنها كانت بسبب غضب البابا غبريال الثانى (١١٣٠ – ١١٤٤) حين طلب الإثيوبيون عددا اكبيرا من الأساقفة.

+ التطير والطيرة التشاؤم بالشئ أو الاستدلال من طيران الطائر بما يأتى به الغد. والعيافة هى زجر الطير بقصد التيمن أو التشاؤم حسب اتجاه طيرانه، فإن طار يمينا كان الاستبشار وإن طار شمالا كان التشاؤم والإنقباض.

الإتصال البحرى والبرى مع العالم الخارجى خاصة عالم البحر المتوسط الذى كانت تستمد منه ثقافتها وثروتها. وحتى المورد المصرى الذى تبقى للبلاد بدأ مع مرور السنين يقل انتظامه بسبب احتواء تحرك الكنيسة المصرية ذاتها تحت الحكم الإسلامى، وتسرب الضعف إلى أوصالها حتى أنها إنكفأت على ذاتها تذود عن مجرد بقائها، وانكمشت وتثاقلت حركتها وانعكس هذا بديهيا على الكنيسة الإثيوبية.

والمطران نفسه ليس خالدا. إنه إنسان يموت والموت يأتى كلص. وبموته يتوقف دولاب الحركة. ويطول التوقع والانتظار لأسباب مختلفة من بينها طول الرحلة البرية وأخطارها. ويطول الخوف أيضا. وتحسبا لهذا الغياب ونتائجه ظهرت ممارسات لم تكن فى صالح الكنيسة الإثيوبية مثل رسامة الأطفال الصغار شمامسة، ورسامة الغلمان للكهنوت بأعداد كبيرة ودون اعتبار لمستوى علمهم ومعرفتهم، كى يتكون منهم رصيد كبير، تماما مثلما يحدث عند نشوب أزمة فى مكان ما فيسرع الأهالى إلى تخزين المواد الغذائية وغيرها خوفا من اختفائها من الأسواق. وكانت الرسامات نفسها تتم بصور غريبة سجلها الأجانب باستهجان شديد. فبسبب وعورة الطرق وصعوبة الانتقال كان المطران يكتب "قرارات الرسامة" ويضعها فى كيس من الجلد يحمله مبعوثه إلى المكان المقصودحيث يفرغ محتوياته فوق رؤوس الذين تم اختيارهم للرسامة فيصبحون من الإكليروس جاهزين لرعاية الشعب!

ورافق هاجس الخوف هاجس أمنى بعد دخول الإسلام مصر إذ بدأ الإثيوبيون يتخوفون من مدى تأثير الحكم الإسلامى على الكنيسة المصرية ونتيجة ذلك على الأوضاع فى إثيوبيا ذاتها (٢٩). وتنسب المصادر الإثيوبية إلى أكثر من مطران قبطى تشجيع المسلمين فى إثيوبيا بصورة اعتبرت لا تتفق ومسئولياتهم تجاه المسيحية ومصالح البلاد. فادعت مثلا على أنبا ساويرس أنه سمح للمسلمين فى إثيوبيا ببناء سبعة جوامع مما أثار غضب الشعب

---

(٢٩) تضمنت كتابات الإثيوبيين إدعاءات متعددة حول هذا الموضوع، منها أن السلطات الإسلامية فى مصر حاولت أن تستغل العلاقة بين الكنيستين لتحقيق مصالح خاصة بها وبالإسلام. وأن حكام مصر كانوا يفرضون شروطا على المرشح للمطرانية ليست فى صالح الكنيستين . وأغربها أن اتفاقا تم بين البابا بنيامين (٦٢٠ - ٦٥٨) والخليفة عمر أن تبقى إثيوبيا خارج بقية العالم المسيحى لتكون تحت سيطرة الخليفة.

الذى اندفع لهدمها وتوعد بقتل المطران نفسه (٣٠) وقبض عليه وسجن فعلا رغم تفسير المسئولين لتصرفه على أنه محاولةمنه لإرضاء سلطان مصر حتى يخفف من اضطهاده لأقباط مصر. وبرز هذا الهاجس فى معاملة تيودروس الثانى للأنبا سلامه الثالث الذى كان ينعته بقوله "ذلك القبطى". إذ أخذ يتشكك فى إخلاصه بعد هزيمته أمام المصريين رغم أنه هو الذى توّجه. وعندما زار البابا كيرلس الرابع إثيوبيا بتكليف من سعيد باشا والى مصر من أجل تسوية المشاكل التى نشأت عن غارات القبائل التى تعيش على الحدود بين إثيوبيا والسودان الشرقى والتى كادت تؤدى إلى نشوب الحرب بين البلدين، لم يخف تيودروس شكوكه فى البابا وفى هدف زيارته باعتبارها تجسسا لحساب مصر، وحدد إقامته مع أنبا سلامه خمسة أيام تراجع بعدها عن تصرفه الأخرق واعتذر للبابا وعبّر عن خضوعه له. ونجح البابا فى مهمة الوساطة وعاد محملا بالهدايا لنفسه وللوالى.

وتفاقم التهديد المصرى فى عهد يوهنس الرابع، بعد أن دخلت مصوع فى سلطة مصر وتنازل الباب العالى لإسماعيل عن زيلع وبربره عام ١٨٧٥، وأرسل إسماعيل حملة بقيادة رؤوف باشا احتلت هرر. وقتها كتب البابا ليوهنس الرابع رسالة ينهاه فيها عن الحرب ضد المصريين ويدعوه إلى السلم معهم. فاعتبر هذا منه تدخلا فى شئون البلاد الخاصة والعليا ألقى ظلالاً على ولاءاته. وانتهى الصدام بهزيمة المصريين فى معركتين واحدة عند عدوة والأخرى عند مصوع، وتدعم عرش يوهنس وشخصه. وبالرغم من هذه السحابة ظل يوهنس وفيا للكنيسة القبطية فى مواجهة محاولات يونانية وروسية لفصل الكنيستين.

---

(٣٠) ذكر أن سلطان مصر لما بلغته هذه الأخبار أرسل رسالة تهديد لإمبراطور إثيوبيا وتوعده بأن يهدم كنائس مصر. فرد عليه الإمبراطور برسالة أشد قال فيها "إن هدمت طوبة واحدة فى كنيسة فسأرسل لك أحجار مكة، ولو فقدت إحداها فسأرسل لك وزنها ذهبا. ورغم هذا الموقف / الأزمة وقليل غيره فالثابت أن علاقة إثيوبيا بمصر وحكامها كانت ودية ومسالمة. وساهمت الكنيسة القبطية على التفاهم والسلام بين البلدين.

+ تقول رواية إنه لبس كمطران قبطى وتوج تفرى مكونن ملكا، وكان هذا بمثابة إنقاذ للموقف لأن الكرسى كان شاغرا بعد وفاة أنبا متاؤس. وحاول بعد ذلك أن يشغل الكرسى فعلا ولكن محاولته أحبطت بوصول أنبا كيرلس وحاول أيضا "أجركة" إثيوبيا لتتبع كنيسة اليونان وذلك بإرسال طلبة إثيوبيين لدراسة اللاهوت فى اليونان ولكن الإتشيجى قاوم ذلك. فلما أرسل بعض الطلبة رافقهم راهب لحماية عقيدتهم.

ورغم حساسية هذا الهاجس الأمنى وعدد القرون التى ساد فيها بقى "التقليد" الذى تقوم عليه علاقة الكنيستين دون مساس، فالإمبراطور يوهنس الرابع نفسه، بينما كان يواجه الغزو المصرى، ويعانى من عدم إستجابة البابا لطلبه الخاص بمطران جديد، ظل ينتظر بصبر وصول هذا المطران، وفوق ذلك ظل يرسل "توابيت" الكنائس الجديدة إلى مصر كى يقدسها البابا بنفسه. وظلت البعثات قبله بقرون وبعده تذهب فى طلب المطران وتعود به فى أجواء الفرح والاعتزاز، رغم أن التكلفة تضاعفت بعد الحكم الإسلامى، إذ كان عليهم إرسال قافلة من الهدايا لحاكم مصر لاسترضائه أو طلبا فى وساطته لدى البابا لتحقيق رغبتهم أو للإسراع فى تحقيقها مما يدلل على العلاقة الودية التى كانت سائدة بين حكام البلدين.

وكان هذا الولاء للتقليد من جانب الإثيوبيين مثار دهشة الكنائس الأخرى وغيرتهم أيضا. وكتب عنه الغربيون باعتباره لغزا يحتاج إلى تفسير. وكان اليونانيون من أشد منتقديه والمنددين به. فقنصلهم فى مصوع التقى بالإتشيجى أواخر القرن التاسع عشر ولامه على مواصلة كنيسته لتبعيتها للكنيسة القبطية التى ترسل لهم مطارنة "جهلة" يرسمون لهم كهنة جهلة مثلهم، ولا يعرفون لغة البلاد وعاداتها ولا يحاولون ذلك مهما طالت مدة بقائهم فى كراسيهم، مما يدل على عدم تقديرهم للمسئولية الملقاة عليهم ولا للخدمة التى دعوا إليها. ونشر مطرانهم نيقولاس "أسقف أكسوم" كتابا بالإنجليزية طبعه فى مصر فى الخمسينيات ادعى فيه أن إثيوبيا كانت أقرب إلى مذهب الملكانيين، ولكن تغير الأوضاع فى القرن السابع وتعذر الإتصال بينها وبين مسيحية البحر المتوسط "دفع بها تحت الأذرع القبطية" بصورة قدرية ودون اختيار" فلم تحترم شخصيتها أو قوميتها، وفرضت عليها وصاية محكمة لم تكن فى صالح الكنيسة أو الشعب الإثيوبى، وقاومت كل محاولة للتخفيف منها أو التخلص منها. ومدح هايل سلاسى الذى حقق لبلاده "كنيسة حرة فى بلد حر ذى سيادة".

وأفاضت البعثات الكاثوليكية فى التنديد بعلاقة الكنيستين، ونسبوا كل سوءة فى الكنيسة الإثيوبية إلى الكنيسة القبطية المتخلفة +. ولم تختلف أحكام البعثات البروتستانيتية التى وفدت على البلاد عن ذلك.

ومما يدعو إلى العجب أن كتابنا ومؤرخينا لم يتنبهوا إلى هذا الهاجس فخلت كتاباتهم من أية إشارة إليه، كأن الولاء الإثيوبى أمر مفروغ منه ولا مفر منه حتى لو استمرت العلاقة قرابة ستة عشر قرنا بحلوها ومرها. وربما عاد هذا إلى اقتناع الجانب القبطى بأن تبعية الكنيسة الإثيوبية أمر مسلم به وقدر مكتوب عليها. وهو إفراط فى الثقة من جانبه حجب عنه واقع الحال، وأدى إلى التفريط فى واجب المتابعة والملاحظة والدراسة الدورية للوقوف على آراء القيادات الإثيوبية وأفكارها ومشاعرها نحو العلاقة القائمة وإمكانية تطويرها أو تصويبها، باعتبار أن الوصاية ليست مهمة أبدية فسيأتى وقت يبلغ فيه "الموصى عليه" سن الرشد ويتحمل مسئولية نفسه.

ومهما يكن الأمر فقد كانت الكنيسة القبطية عامل بناء وسلام بين البلدين والشعبين من منطلق حبها وولائها لكليهما واضطلعت بهذا الدور فى إطار من الأمانة والمصداقية والقيم المسيحية. وظلت أيضا علاقة البلدين مستقرة بوجه عام لحرصهما على تحقيق ذلك، وبانتهاج الإثيوبيين لروح المسالمة وتجنب العدوانية وانتهاز الفرص لإظهار المودة وحسن الجوار.

ـ ٦ ـ

الهاجس القبطى

كان للأقباط هاجسهم أيضا الذى تمثل فى خوفهم من أن تستقل الكنيسة الإثيوبية يوما ما وتجف شرايين العلاقة بين الكنيستين. وهو الهاجس الذى حرم الكنيسة القبطية كما يبدو من التمعن بعمق فى أوضاع إثيوبيا وفهم وتقدير الهواجس الإثيوبية والعمل

+ وهو نفس ما ردده أقطاب الطوائف التى وفدت على مصر "للتبشير" فيها فى القرن التاسع عشر، ويمثله النقد الذى وجهه أندرو واطسن مؤلف كتاب The American Mission in Egypt. فقد انتقد الأقباط وكنيستهم للتمسك الزائد بالشكليات والطقسيات ونعتهم بالتخلف والجهل وعدم التقوى.

على إزالتها، واستكشاف احتياجاتها أولا بأول والسعى إلى تلبيتها بصورة مُرضية سريعة وسخية، بما فى ذلك توفير الاستقرار النفسى والروحى لشعبها. فهى كانت فى وضع يمكنها من إرسال عشرات الرهبان من عشرات الألوف الذين قالت الكتب إنهم كانوا يملأون أديرتها العامرة فى القرون الأولى، وإرسال المعلمين والإداريين لمعاونة المطران على فتح المدارس وإدارتها وتقديم الخدمات التى كان الشعب بحاجة إليها. وكان من واجبها أن تقسم بلاد الإمبراطورية الشاسعة إلى عدة إيبارشيات فرعية يرعى كل منها أسقف أو إيبسكوبس فتنمو الكنائس وتمتد الخدمة وينهض الشعب فى ظل رعاية واعية ومتكاملة. فإثيوبيا تعرف بأنها "متحف شعوب ولغات ولهجات" (٣١) مما يؤكد حاجتها إلى فعلة كثيرين. ووقت أن قبلت المسيحية فى النصف الأول من القرن الرابع كانت الكنيسة المصرية شعلة نشاط روحى ولاهوتى بريادة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وكانت مركز الثقل فى الفكر المسيحى وبحور اللاهوت الواسعة، وقوة دافقة تزخر باللاهوتيين وبإنتاج لاهوتى وعقيدى ونسكى وافر، ولها سجلها فى العمل الكرازى إذ وصل رهبانها ومبشروها أنحاء مختلفة من أوروبا. أى أنها كانت مهيأة وقادرة كرازيا لإرسال مئات "الفعلة" إلى الحقل الإثيوبى الجديد الواسع، ليعدّوا بدورهم جيشا من الفعلة من أبناء إثيوبيا أنفسهم للعمل فى إثيوبيا وفى البلاد الإفريقية المحيطة بها لتوسيع نطاق الكرازة. وكان لها فى القديس بولس مثلا وقدوة فى نمط رعايته للكنائس الجديدة التى كان "الرب يقيمها". إذ

---

(٣١) هناك ثلاثة أجناس رئيسية إلى جانب تفريعاتها المتعددة : (١) السامى ودخل من الشرق من شبه الجزيرة العربية عن طريقى إريتريا فى الشمال والصومال فى الجنوب. وحتى منتصف القرن الماضى كانت الهجرة مستمرة من اليمن وحضرموت للعمل بالتجارة. ويتمثل الجنس السامى فى شعوب الأمهرا والتيجرى والتجرينيا والهررية (٢) الحامى (الكوشى) ودخل من الشمال والشمال الغربى وإن قيل إن قبيلة كوش جاءت من العربية وأصل اسمها قيس. ويتمثل فى الجالا (الأورومو) والصوماليين. والجالا قبائل كبيرة وهى التى أدخلت الزار (ومعناه فى لغتهم الروح النجس) إلى إثيوبيا ومنها إلى مصر. (٣) الإفريقى ويغلب عليه البانتو وأتى من الجنوب والجنوب الغربى ويتمثل فى الشنقلا (العبيد) والولجا.

* ومما يذكر أن سكان إقليمى تيجراى وأمهرا هم الذين ورثوا تراث "السبئيين" ومع أن لهم سمات عرقية مختلفة ولا يتكلمون نفس اللغة إلا أنهم كانوا معا صانعى التاريخ الإثيوبى، وقد أسسوا كنيسة وطنية وأبدعوا فنها الدينى ومعه ثروة أدبية فى لغة الجئز. وجميعهم يقطنون الهضبة ذات التميز الجغرافى والبيئى. ويلبسون نفس "الشما" (غطاء الرأس والكتفين) القطنية البيضاء التى تميزهم عن بقية قبائل و شعوب البلاد.

وتتبع اللغات الأجناس (١) السامية بين الشعوب السامية، ومنها ثمانية لغات على الأقل أقدمها الجئز لغة الأدب والكنيسة، والأمهرية التى صارت لغة البلاد الرسمية منذ القرن الثالث عشر، والعربية فى المناطق الشرقية والسواحل (٢) الكوشية ومنها ١٩ لغة على الأقل أهمها الجالا والصومالى. والجلا لغة رقيقة وموسيقية وتكتب الآن بالحروف اللاتينية. (٣) النيلية وبينها ١٤ لغة أهمها الكونا والباريا. ولكل هذه اللغات العديد من اللهجات.

كان يعيّن لها خداما من أبنائها، منهم شمامسة وقسوس وأساقفة. وكان يرسل إليها بعضا من رفقائه كما كان يزورها هو بنفسه كلما مكنته مسئولياته ليثبّت المؤمنين ويطمئن على الخدمة ويحل مشاكلها. هذا إلى جانب ما كان يرسله من رسائل مكتوبة وشفهية فى المناسبات التى كانت تستدعى إرسالها وما كان أكثرها.

ولا يعنى هذا أن الكنيسة القبطية لم تفعل الكثير. فيكفى أنها نقلت كل تراثها إلى إثيوبيا وجعلت منها كنيسة قبطية مايزال يشار إليها بهذا الاسم إلى الآن فى الأوساط الأجنبية. ولكن المشكلة أن هاجسها كبل حركتها وغل يديها أحيانا كثيرة، فسارت حذرة متثاقلة تفزع كلما طلب منها أسقف إضافى، وقد سبقت الإشارة إلى رد فعل البابا غبريال الثانى الغاضب حين طلب منه السماح برسامة عدد إضافى من الأساقفة لمساعدة مطران طاعن فى السن. ويفسر هذا الهاجس فى الكتابات الإثيوبية الآن على أنه "كان رغبة سلطوية"، وينعت بالأنانية وتغليب روح الرئاسة والسيطرة على روح الخدمة الحقه القائمة على العطاء والإيثار، ويتساوى مع أى لون من ألوان الاستعمار السياسى أو الاقتصادى أو كليهما معا. وقد أسس شرعيته على قانون مجمعى مشكوك فيه، وحتى لو ثبتت صحته وشرعيته فقد تجاوزه الزمن من أمد بعيد إلى جانب تناقضه مع المفهوم المسيحى الذى لا يفرق بين المؤمنين على أساس عرقى أو لونى أو طبقى".

صحيح أن مركز اهتمام الكنيسة القبطية فيما يتعلق بالشأن الإثيوبى كان الحفاظ على التعليم الصحيح، وحماية الشعب من الإنحراف العقيدى والسلوكى. واطمأنت إلى أن مطرانها وحده هو القادر على تحقيق هذا فقد كان مصدر السلطة الدينية والقانونية والتعليمية والرعائية. ترى هل كان يضيرها أو يضيره وجود عدد من الأساقفة الأقباط يعاونونه فى مسئوليته الكبيرة؟ أليست "قلة الفعلة" هى مشكلة الخدمة الكبرى وقد أشار إليها السيد المسيح وحددها بالاسم؟ (٣٢) وماذا لو أغرتهم كثرتهم فشكلوا مجمعا مقدسا ثم استقلوا وصار لهم بطريركهم وتحملوا مسئولية أنفسهم ؟ أليست أمنية الوالدين أن يكبر أبناؤهم ويكوّنوا عائلات لهم ويستقلوا بحياتهم؟ (٣٣) وهل كان استقلالهم يعنى إنفصالا

(٣٢) إنجيل متى ٩ : ٣٧ ، لوقا ١٠ : ٢

(٣٣) وفى هذا الصدد يقول القديس بولس "لأنه لا ينبغى أن الأولاد يذخرون للوالدين بل الوالدون للأبناء. ٢ كو ١٢ : ١٤".

يستحق الشجب؟ أم أنه امتداد للأصل وإثراء له كالشجرة يزداد قدرها بازدياد فروعها وانتشار ظلها.

وكان لدى الكنيسة القبطية مثل رائع قدمه الرهبان التسعة الذين توجهوا إلى إثيوبيا أواخر القرن الخامس. توجهوا إليها من تلقاء أنفسهم، وقيل إن سبب ذهابهم إلى هناك لم يكن واضحا. وتوجهوا إليها من مصر يحملون معهم فلسفة وخبرة مدرسة أنبا باخوميوس الرهبانية. فرحبت بهم البلاد وأطلقت يدهم للعمل فى كافة مناطقها، فتوزعوا يدعمون ويثبتون المؤمنين ويبشرون غير المسيحيين فوسعوا نطاق انتشار المسيحية بعد دخولها بقرن واحد. وبنوا الكنائس وأسسوا الأديرة التى حملت أسماء بعضهم ولعبت فيما بعد دوراً بارزاً وحيوياً فى حياة المسيحية الإثيوبية. وهكذا دخلوا التاريخ الكنسى الإثيوبى من أوسع أبوابه وبات ذكرهم على كل لسان حتى اليوم. ولم يترتب على وجودهم أو خدمتهم الجليلة أى شئ يثير شكوك كنيسة مصر أو يؤيد هواجسها الخاصة بالانفصال أو الاستقلال.

وكانت هجرة الأقباط إلى إثيوبيا على نطاق واسع للإستقرار فيها وممارسة مختلف الأنشطة ممكنة ومرغوبة منذ البداية + ولو تحققت، خاصة بتشجيع الآباء المطارنة، لمثلت أملا حقيقيا لتقارب الشعبين ولبناء الثقة بينهما، وللتخفيف من الهاجس القبطى. إذ كان من ثمارها أن تتكون جالية قبطية ضخمة، أو شعب مختلط يصعب تفريقه عن مصر وشعبها وكنيستها ويشكل لها "عمقا أخويا وأمنيا". ولنا مثل حى فى السودان، فبعد اختفاء المسيحية منه تماما حوالى القرن السادس عشر عادت إليه عن طريق الجنود والموظفين الأقباط وعائلاتهم الذين استقروا فى أنحاء منه إبان فتح السودان أوائل القرن التاسع عشر وبنوا الكنائس والمدارس حتى صار لكنيسة الإسكندرية الآن ثلاث إيبارشيات.

على أن الكنيسة اكتفت كما يبدو بالتعايش مع هاجسها وتركته يسسيطر على سياستها وتعاملاتها مع الكنيسة الإثيوبية قرنا بعد قرن. وتضخم مع الأيام حين بدأت طبيعة العلاقات بين الكنيستين تتغير رويدا من علاقة كنيسة كارزة فى حقل جديد يتسع يوما بعد يوم، وهى منشغلة باحتياجاته وسبل تأمينها، إلى كنيسة "أم" باتت لها حقوق مرعية الجانب ولها

+ قيل أن التجار المصريين كانوا يقيمون فى القرن الخامس عشر فى مدينة جديدة باسم زارارا بين ديرى تكلاهيمانوت ودابرلبانوس بمياهه المقدسة.

هيبتها ولها سلطتها على "ربيبة" تابعة. حدث هذا ولاشك تدريجياً. وساعد على حدوثه عوامل ثلاثة، أحدهما إثيوبى تمثل فى تمسكه بهذه العلاقة التى سعى إليها منذ البداية، وإصراره عليها حتى باتت جزءاً من عقيدته لا يقوى على الإخلال بها، كما غاصت فى اللاوعيه المقولة العنصرية "إن اليد السوداء لا تبارك" (٣٤)! والآخر قبطى تمثل فى اعتياد مصر على مدى قرون على أن تكون مصدر السلطة ومبتدأ سلسلة وضع اليد، ومصدر القيادة ومنبع التعليم. وتأكد هذا الدور خلال أزمة المجادلات اللاهوتية العقيمة التى استمرت قرابة ثلاثة قرون. أما العامل الثالث فمشترك بين الإثنين وهو قرارات مجمع نيقيه وإن لم يتفق الإثنان حول عددها ومضمونها وقانونيتها.

وغفل الطرفان زمنا طويلا عن هذا التطور الوئيد فى طبيعة العلاقات التى تربطهما، أو هكذا بدواَ. وكان المجتمع الإثيوبى الأسرع إلى التنبه إليه بحكم المتغيرات التى طرأت عليه فى العصر الحديث كما سبق الإشارة إليه، حتى أنه بدأ يتململ تحت "ثقل" اليد القبطية التى كانت قبلا يد البركة ويد العون والإرشاد. وبدأ يرى ما كان قبلا طوق محبة "نيراً وقيداً"! وصدمت هذه المفردات الطرف القبطى. فاجأه التغيير. لم يكن مستعدا له. وفاجأته بالأكثر نبرات اللغة الجديدة وقسوتها والتى بدت نوعا من "نكران الجميل". ورويدا وجد نفسه ينزلق إلى مستوى المهاترات مع الجانب الإثيوبى، وإن بقى فى حدود الدفاع عن النفس ـ عن التاريخ الطويل.

ويخامر المرء شعور قوى الآن بأنه ربما كان من صالح الكنيستين عموما والكنيسة الإثيوبية خصوصا لو أنها تقوت وتدعمت وتمتعت بنوع من الاستقلال مكنها من تدبير شئونها بحكمة، وتوسيع عملها التبشيرى خارج حدودها، قبل القرن السابع ووقوع الكنيسة القبطية ذاتها تحت سيطرة الحكم الإسلامى، حين بدأ حكام إثيوبيا يتشككون فى تدخله فى شئون كنيستهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة مما انعكس سلبا على الكنيسة القبطية ورجالها.

---

(٣٤) سمعت هذه العبارة لأول مرة فى أديس أبابا من "عم بسطا" فراش المطرانية ومترجمها، فغاص قلبى بسبب هذه النغمة العنصرية المنفرة. ولولا أننى شاهدت تدافع أبناء شعبنا على الرهبان الإثيوبيين، ومن بعد على أساقفتهم، يقبلون أيديهم ويطلبون البركة والصلاة من أجلهم لظننت أننا فعلا شعب عنصرى.

- ٧ -

بوادر الانتفاضة

شهدت العقود الأولى من القرن العشرين إنتفاضة حذرة تتجمع نذرها فى المجتمع الإثيوبى، لم تكن محصورة فى المناطق الحضرية أو العاصمة بالذات كما هو معهود فى بلاد العالم الثالث، بل بلغت المناطق الريفية أيضاً. فانتشار الأديرة والكنائس الكبيرة بقياداتها فى أنحاء البلاد يربط بسرعة بين ما يحدث فى الحضر والريف معا. وفى الماضى كثيرا ما كانت الأديرة هى صاحبة المبادرات سواء نحو العمل البناء المشترك، أو إثارة الجدل حول قضايا عقيدية أو ممارسات مثل حفظ السبت وغيره.

ولقد بدأت الكشافات تسلط أضواءها على «**التقليد**» العريق بين الكنيستين، وعلى "فته نجسْت" ذاته لصلته به، تحاول التعرف على كنهه بعقلانية العقل ومنطلق العلم، وعلى مكانه فى إثيوبيا الحديثة، وفى نظام عالمى كان يتشكل فى رحم الزمن ويتأهب لولادة طويلة عسرة صاحبها مخاض حرب عالمية ضروس وثورة بلشفية واضطرابات عمالية، وصرخات ضد كل ما هو قديم.

ومع تزاوج التعليم الكنسى التقليدى والتعليم المدنى الحديث ظهرت شرائح مثقفة تأثر بعضها بالثقافة الأجنبية من خلال إلتحاقه بمدارس الإرساليات وبدأ يفكر بصوت مسموع ويناقش التقليد بجرأة، فدعا إلى احترامه من حيث بقاء علاقة ندية بين الكنيستين تتعاونان من خلالها وتتآزران معا فى المحافل الكنسية والدولية، على أن يرأس الكنيسة الإثيوبية إبن من أبنائها. فى حين اشتط فريق منه دأب على استهجان قبول الإثيوبيين لعلاقة من التبعية وعدم التكافؤ قرنا بعد قرن، متأثرا بالمبشرين الأجانب وقيادات الكنائس الغربية [(٣٥)]، وبلغة الغمز واللمز للكتّاب الأجانب الذين دأبوا على التنديد بالعلاقة "الشاذة" بين الكنيستين. ونادى هذا الفريق باستقلال الكنيسة الإثيوبية بحيث تنسلخ من تلك العلاقة المكبلةوتنطلق ككنيسة حرة لها منزلتها عند الله شأن كنائس بلاد المعمورة.

---

(٣٥) وعلى رأسهم المطران اليونانى (مطران أكسوم) نيقولا (نيقولاس) عبده الذى دأب على نفث سموم التفرقة بين قيادات الشعب فى كل مناسبة متهما الكنيسة القبطية بالجهل والتأخر. وكان على صلة وثيقة بالإمبراطور والإتشيجى ورؤساء الأديرة وغيرهم.

على أن الحزب الأقوى كان ذاك الذى يدعو إلى الحفاظ على الوضع القائم والالتزام بالتقليد المؤسس على القانون النيقاوى من حيث مواصلة التبعية لكنيسة الأسكندرية. وقد عرف بحزب "الحرس القديم" ونعت "بجماعة الرجعيين". ويتكون من شرائح عريضة من الشعب، أفقيا ورأسيا، يتقدمهم جمهور من الرهبان ورجال الدين والدبترا والأراخنة خاصة كبار السن. ومثّل قوة لا يستهان بها كان على التقدميين أن يحسبوا له ألف حساب.

وكان التقدميون يعرفون صعوبة الفكاك من المعتاد والانطلاق من قبضة التقليد، ويدركون الحاجة إلى قوة دفع هائلة تخرج كنيستهم من نطاق جاذبيته ومن ثم تأخذ لنفسها مدارا جديداً. لهذا بدأت أصواتهم ترتفع وأقلامهم تكتب فى محاولة منهم لخلق قوة الدفع هذه. وخرجت جريدة "برهان نّاسلام" فى عددها الأول بعد تأسيسها فى ١٩٢٥/١/١ بمقال لرئيس التحرير يدعو الحكومة لبناء الجسور (الكبارى) حماية لحياة الذين يضطرون للذهاب إلى أديس أبابا من أقاليمهم البعيدة من أجل رسامتهم بيد المطران أنبا متاؤس. فقد غرق ١٤ صبيا من بين ١٥ كانوا فى طريقهم من جودچام لهذا الغرض.

وفى عدد آخر كتب "نجادراس دستاميتيك" باعتباره شاهد عيان أنه رأى واحداً وثلاثين صبيا وهم يغرقون فى الفترة من ٩ إلى ١٤ إبريل وضياع عدد من توابيت الكنائس. كما شاهد ثمانية يصارعون تيار النهر من أجل حياتهم. وحصر أعداد الصبية الذين شاهدهم فى المنطقة بين سلولتا ودبرامرقس متوجهين إلى المطرانية بألف وسبعمائة وواحد وسبعين. ومع أنه لم يلم أو يتهم أحداً فقد كان القصد هو وضع "فته نجست" (٣٦) والقانون النيقاوى وما تولد عنهما من مركزية السلطة الدينية فى قفص الإتهام. ومن هنا بدأت المعركة، إذ سرعان ما نشرت الجريدة مقالات تهاجم أنبا متاؤس وتنتقده لأنه يشترط الحصول على المال لقاء خدمات تكافئه الدولة عليها. وتطالبه بتعيين كهنة يباركون التوابيت فى كنائسها حماية لها ولأرواح من يحملونها (٣٧).

---

(٣٦) وتنكر المادة ٤٢ منه على الإثيوبيين حق إختيار بطريرك من بينهم وتقصره على بابا الأسكندرية.

(٣٧) وكتب المحرر عن مقابلة أجراها مع خمسين من رجال الإكليروس أتوا إلى أديس أبابا من إقليم تيجراى لمباركة التابوت وانتظروا أنبا متاؤس طويلا لحين عودته من ديرداوه، ونفذ ما معهم من مال وجاعوا.

ولم يسكت متاؤس على هذا الهجوم أو على حرية الصحافة التى استهدفته. فشكا أمرها للرأس تفرى مكونن، وتم القبض على محرر المقالات، دامس ولد جبرييل، وسجن. وتوقف الهجوم، ولكن إلى حين. فما أن تنيح المطران [٣٨] فى ١٩٢٦/١٢/٤ وشيعته الأمة متحسرة لخسارتها أبا حنونا وقائدا حكيما، كما قالت يولاند مارو، حتى انطلقت الألسنة بالهجوم عليه وتبارت الأقلام فى إظهار مالم يعجبها فيه. فالمتدينون عابوا عليه ماديته وطمعه. والإكليروس حسدوه على ماكان له من مركز قوى وسلطات واسعة. أما الصفوة من المثقفين ـ التقدميين ـ فاعتبروه رمزا "للاستعمار القبطى" وللجمود والرجعية!

وامتد الهجوم ليشمل مطارنة إثيوبيا الأقباط عامة ويتهمهم بعدم احترامهم "فته نجست" وينتقدهم على عادة التدخين [٣٩]، وعلى عدم الالتزام بكافة الأصوام التى تعترف بها الكنيسة الإثيوبية، أو الاحتفال بالأعياد الكنسية ما خلا الميلاد والقيامة، والاكتفاء بالاحتفالات فى العاصمة فقط مع عدم الاهتمام بالمناطق الداخلية والريفية.

---

(٣٨) وصل أنبا متاؤس إلى إقليم شوا كأسقف له عام ١٨٨٢ واكتسب إعجاب واحترام الإمبراطور منليك الثانى الذى أصر على أن يقوم بتتويجه بعد موت الإمبراطور يوهنس، رغم وجود أنبا بطرس كمطران للإمبراطورية. لهذا طلب من البابا أن يرفعه إلى درجة مطران فاستجاب له، وقام بتتويجه، ووهب له الإمبراطور جبل منجشا وسالادنجاى كأملاك خاصة له. وخوله جمع الضرائب من المناطق الجديدة التى دخلت المسيحية بعد ما لقبه برئيس الكهنة فتمكن من جمع ثروة طائلة كانت سبب حسد الإكليروس الإثيوبى وغضبه، وقيل إنه استخدمها فى بناء المدارس فى مصر. وسمح له بزيارة مصر عام ١٩٠١ فى سابقه لم تتح لغيره من المطارنة الذين سبقوه. واعتمد عليه فى أمور الحكم فكان يحل محله أثناء غيابه ويحضر اجتماعات البلاط والحكومة. ولما سافر إلى الخارج حمله رسائل خطية للبابا كيرلس الخامس وللورد كرومر بمصر، وللسلطان عبد الحميد بتركيا، ولنقولا الثانى قيصر روسيا. وكان يجيد الأمهرية ويفكر ويتصرف كإثيوبى. وشارك فى مؤامرات القصر وحل المشاكل بأسلوب النبلاء والرؤوس. وتوطدت علاقته بالعرش بعد موت منليك الثانى بسبب الاحتياج إليه وإلى الشرعية التى يسبغها، فهو الذى قام بدور كبير فى عزل ليدج ياسو، وهو الذى توج زوديتو إمبراطورة. ولو أنها كما قيل، حنقت عليه بسبب إنحيازه لموقف الأقباط فيما يتعلق بمسألة دير السلطان، وطلبت من تفرى مكونن التحول نحو الكنيسة السريانية وطلب مطران منها. ويبدو أن برنامج رحلته إلى مصر تضمن محاولة إقناع البابا بالتنازل عن دير السلطان للكنيسة الإثيوبية وقدم النياشين للإكليروس ولكبار رجال الدولة لهذا الغرض. كما كان يحلم أن يرسمه البابا بطريركا لإثيوبيا. أما أهداف زيارته لتركيا وروسيا فكانت كما قيل الحصول على اعتراف بكنيسة إثيوبيا وإعادة كنيسة القديسة هيلانه بالقدس للإثيوبيين، وكلا الهدفين لم يتحققا.

(٣٩) كان ينظر إلى التدخين فى إثيوبيا كعمل خاطئ وشر كبير. وحتى الثورة الشيوعية (١٩٧٤ - ١٩٩١) لم يكن يشاهد مدخن من بين الإثيوبيين المسيحيين فى أى مكان. ومما يذكر أن شركة روسية قامت بزراعة الدخان فى البلاد بعد ما تأكدت من وجود مناطق شاسعة تتوافر فيها متطلبات زراعته وجودته. ولكنها فشلت وخسرت الكثير لأنها لم تجد لإنتاجها سوقا فى البلاد.

واستهلت جريدة "برهان نّاسلام" الهجوم عام ١٩٢٧ بنشر حوار بين راهب إثيوبى "متزمت" وزائر أوروبى انتقد فيه الأوروبى الإثيوبيين "الذين يشترون بالهدايا سيدا لهم من مصر". ورد عليه الراهب بأنه لن يقبل أن يكون إثيوبى مطرانا حتى لو فاق ملاكا فى طهره وتقواه. ثم نشرت الجريدة فى ١/٢٧ ردا آخر لأحد المحافظين من الدبترا هو دبترا "جبرايسوس ولد مسقل" تميز بكلماته القوية الحماسية : بلاد الأسكندرية بلادنا خالقها خالقنا. دينها وعقيدتها ديننا وعقيدتنا. وعلينا أن نقدم الهدية ونستحضر لنا مطرانا من الأسكندرية. وحث الشعب ألا ينزل إلى مستوى تقبيل يد سوداء ! وتحمس المحافظون لمقاله رغم اعتراض التقدميين الشديد عليه، وظهرت قوتهم وثقلهم حتى أن الإمبراطورة زاوديتو كافأت الكاتب بشال ثمين.

وقبل أن يبرد هذا المقال تحدى أبّا أفورك جبرايسوس المادة ٤٢ من القانون النيقاوى موضحا أنه جُمع بعد تسعة قرون من انعقاد مجمع نيقية ليشكل قيدا على الإثيوبيين مما ساعد على هز ثقة الشعب فيه واحترامهم له. ومنذ ذلك الوقت أخذت تتردد الإشارات إلى هذه المادة باعتبارها "مفروضة"، و "مدسوسة"، ومثلث "نيرا قبطياً". وتكرر نشر المقالات التى تندد **«بالتقليد»** وبفكرة "استيراد" مطران من الخارج. وترددت أصوات التقدميين تطالب بـ "كنيسة حرة فى دولة حرة" بينما دعا بعضهم إلى عرض قضية العلاقة بين الكنيستين على عصبة الأمم بعدما صارت إثيوبيا عضوا فيها.

وعلى المستوى الرسمى دعا الإتشيجى المجلس الإكليريكى للانعقاد فى ١٩٢٧/١/٦ لمناقشة موضوع تعيين مطران جديد. واستمرت المناقشات قرابة الشهرين، انتهت بقرار رفع إلى الإمبراطور يطلب استقدام مطران جديد من مصر تكون له استقلاليته (٤٠)، وله حق رسامة أساقفة. واعتبر التقدميون هذا القرار إنتكاسة لهم. وعبر الشاعر "كيدانا ولد كفلى" عن مشاعرهم بقوله :

---

(٤٠) أى استقلالية فى التصرف والرسامات دون التقيد بمصر أو الرجوع إليها. لأن زوديتو، قبل وفاة أنبا متاؤس بثلاثة شهور، أصدرت لائحة من ٢٨ مادة تعطى الإتشيجى سلطات إدارية فى الكنيسة بحيث يكون مسئولا عن كل شئونها ماعدا الرسامات وتقديس التابوت. وقيل إن الهدف من صدورها كان امتصاص غضب التقدميين.

في بلادنا ألقاب عظيمة لرجال الدين.. هي ألقاب مطارنة، ليست لصعاليك

لا حرية لهم في بلادهم كغيرهم من رجال الدين

لا يمكن أن نقول بكمال وقارنا وتمام حريتنا :

فالسريان والأرمن يختارون ويرسمون لهم بطريركا ومطرانا.. دون أن يكون لهم ملك

لا يوجد في العالم جنس آخر غير الإثيوبين لايُختار ولا يُرسم من جنسهم مطران!

وأرفق تفرى مكونن قرار المجلس برسالة منه إلى البابا كيرلس الخامس (١١٢)، الذى كانت تربطه به علاقة طيبة منذ أن زاره وهو فى طريقه إلى جنيف عام ١٩٢٣. ورد البابا على الرسالة بموافقته على رسامة الإتشيجى أسقفا كيما يساعد خليفة الأنبا متاؤس، مما كان يعتبر سابقة مبشّرة فى علاقة الكنيستين. ولكن البابا تنيح قبل أن يتسلم تفرى رسالته. وكان على إثيوبيا أن تنتظر إلى حين رسامة البطريرك الجديد. وكان على تفرى أيضا أن ينتظر وهو الذى كان متشوقا لحضور المطران لتتويجه إمبراطورا، فقد سبق وتُوج ملكا بواسطة الإتشيجى فى ١٩٢٨/١٠/٧ بطلب من زوديتو. وجاءه الفرج فى صورة برقية من البابا الجديد أنبا يؤنس (٢٩/١/١٠) تبشره بقرب رسامة المطران، ورسامة الإتشيجى أسقفا، ورسامة أى عدد من الأساقفة الأقباط المعاونين، وتطلب إرسال أستاذ يعلم الأساقفة الجدد اللغة الأمهرية + وهو طلب يمثل إفاقة مفاجئة للكنيسة بعد ستة عشر قرنا.

+ مع أن الرهبان الإثيوبيين كانوا متوفرين بمصر وبإمكان أحدهم القيام بالمهمة. ومع كل فقد ذكر أن أديس أبابا رفضت إرسال معلمين حتى لا يتعلم الرهبان الأقباط اللغة الأمهرية فيؤثر ذلك على المطالبة بالاستقلال مستقبلا.

وما تحقق فعلا هو رسامة الأنبا كيرلس مطرانا لإثيوبيا فى ١٩٢٩/٥/٣٠ . ورسامة أربعة رهبان أثيوبيين أساقفة لأول مرة فى تاريخ علاقة الكنيستين، وهم بطرس وأبراهام واسحق وميخائيل ثم رسم الإتشيجى أسقفا، رسمه البابا يؤنس فى أديس أبابا عند زيارته الرعوية لها فى فبراير ١٩٣٠ . فى خلالها كرس كنيسة القديسة مريم بأديس أبابا، ووضع حجر الأساس لكاتدرائية سلاسى (الثالوث)، واختيرت أول بعثة من الطلبة الإثيوبين للدراسة فى الكلية الإكليريكية بالقاهرة.

- ٨ -

دعم الانتفاضة

وجاء الإحتلال الإيطالى (١٩٣٦ - ١٩٤١) (٤١) كأنما ليقدم دعما للانتفاضة على غير انتظار، وليزيد من جذوة المطالبة بالاستقلال الذاتى للكنيسة الإثيوبية. فمناورات سلطات الاحتلال المحسوبة خلقت واقعا جديدا استقلت به الكنيسة الإثيوبية فعلا، ولأول مرة، من جانب واحد

لقد تودد الإيطاليون لقيادات الكنيسة فى البداية (٤٢). فبعد دخول المارشال بادليو أديس أبابا فى ٥ مايو ١٩٤١ استدعى أنبا كيرلس مطران إثيوبيا وطمأنه على سلامة الكنيسة واستقلالها، ووعده بعدم تدخل سلطاته فى شئونها. ولكن الوضع تغير عندما تعرض خليفته جرازيانى للإعتداء عليه بواسطة شابين إريتريين (٤٣) فقد أخذ يضغط على أنبا كيرلس ليصدر بيانا بتوقيعه يدعو فيه الشعب إلى الهدوء، وإلى مهادنة السلطات

(٤١) اخترقت إيطاليا الحدود الإثيوبية فى ١٩٣٥/١٠/٢ ولكن العاصمة سقطت فى ٥ مايو ١٩٣٦.

(٤٢) وأخذوا فى الوقت نفسه يتوددون للجالا (الأورومو) والصوماليين والعرب ويقربونهم ويرفعون من شأنهم على حساب الأمهرا (الجنس السامى) الذين احتفظوا بسلطان البلاد فى يدهم منذ القرن الثالث الميلادى، فهايل سلاسى كان الإمبراطور رقم ٢٢٥ . وذلك بهدف إضعافهم وتعميق الإنقسام بين الإثيوبين.

(٤٣) كانت المناسبة عيد الملاك ميخائيل السنوى (٢/١٩) وأراد جرازيانى أن يحتفل به بأسلوب هايل سلاسى حين كان يوزع العطايا على الفقراء والهدايا على العاملين. واجتمع للمناسبة جمع كبير من الشعب وكباره ورجال الدين فى ميدان سدست كيلو الذى يطل عليه القصر الإمبراطورى. ووصل جرازيانى فى موكب كبير يصحبه أنبا كيرلس وفجأة انفجرت قنبلة قرب الموكب وجرح جرازيانى وانتهى الحفل بمقتلة كبرى فى الميدان وفى أنحاء عدة من البلاد. وفى المساء جمعت السلطات المشبوهين فى المؤامرة إلى الميدان وأشعلت فيهم النار. وقدر عدد الضحايا بثلاثين ألفا. ويقوم الآن فى نفس الميدان نصب تذكارى ضخم لشهداء هذا اليوم المشئوم.

الإيطالية من أجل ضمان مستقبله ومصالحه. بينما كان شغل كيرلس الشاغل هو أن يضمن جرازياني استقلال الكنيسة وعدم تدخل السلطات في شئونها أو في حياة البلاد الدينية والروحية. ولما لم يحدث اتفاق بين الرجلين تحول جرازياني إلى مطالبته بفصل الكنيسة الإثيوبية عن الكنيسة المصرية بحجة أن مصر يحكمها الإنجليز أعدى أعداء إيطاليا ولا مكان لها في إثيوبيا. وكان يرمي إلى أن يستقل كيرلس بالكنيسة الإثيوبية ويصير هو رأسها المطلق يدير شئونها ويوجه سياستها ويرسم لها أساقفتها. ورفض كيرلس أن يفعل هذا لأسباب كثيرة ليس أقلها احترامه لقوانين كنيسته ولتعهداته، ولكنه قبل عرضا آخر بالتوجه إلى روما لمناقشة المسألة مع موسوليني نفسه، وجرت المقابلة فعلا دون أن تسفر عن شيء(٤٤) وغادر روما إلى القاهرة حيث ظل بها حتى عام ١٩٤٢.

وقبل سفر أنبا كيرلس إلى روما أناب أنبا أبراهام أسقف جندر وجودچام لرعاية الكنيسة أثناء غيابه، مما جعله موضع احترام الشعب. وكان أبراهام واحدا من الخمسة الذين رسمهم البابا يؤنس التاسع عشر عامي ١٩٢٩، ١٩٣٠. والثاني هو الأسقف إسحق. أما الثلاثة الآخرون فقد مات أحدهم وهو الأسقف ساويرس قبل الحرب، وأعدم الإيطاليون الثاني وهو أنبا بطرس في ١٩٣٦/٧/٢٩ حينما رفض التوقيع على منشور يدعو الشعب للتوقف عن المقاومة وقد أقيم له تمثال بعد التحرير في ميدان بالعاصمة يحمل اسمه، وأتهم أنبا كيرلس بالتخاذل عن إنقاذه! وقتل الإيطاليون الثالث أنبا ميكايل في جوري في أكتوبر ١٩٣٦.

---

(٤٤) نشرت لجنة مدارس الأحد بمهمشة مذكرات حول زيارة أنبا كيرلس لروما وحول المشكلة برمتها. كما نشر سكرتيره كتابا في الموضوع إلى جانب الروايات الشفهية من مصادر متعددة. ومع وجود بعض الاختلافات في وجهات النظر حول موقف وسلوك أنبا كيرلس خلال الأزمة فإن هناك إجماعا على أنه لم يفرط في حقوق الكنيسة ولم يخن الأمانة أو بعهده بالحفاظ على العلاقة بين الكنيستين وحماية المعتقدات الأرثوذكسية. وإن تجنى عليه بعض الكتاب الإثيوبيين الذين ادعوا أنه هو الذى رغب في الذهاب إلى روما من تلقاء نفسه بغية الحصول على دعم له كمطران لإثيوبيا تحت الحكم الإيطالي. ولكن إيطاليا اشترطت عليه قطع علاقته بمصر فرفض.

والمشهود له أن الرجل كان راهبا متعبدا شديد التدين والورع، يميل إلى حياة الخلوة فبدا إنطوائيا يميل إلى العزلة والبعد عن الأضواء، بينما المرحلة التي شغل فيها الكرسي كانت تتطلب نشاطا غير عاد ودبلوماسية رفيعة وتحركا مستمرا في كافة الإتجاهات، مما حدا بالبعض إلى اعتباره رجلا غير مناسب للمرحلة التاريخية. وان كان الأصوب أن يقال إن المرحلة لسوء حظه لم تكن مناسبة له، إذ حل محل مطران قوى نال حظه بالكامل. أما هو فقد اصطدم مع الإمبراطور حول أملاك الكنيسة وحقه في إدارتها، وغضب واضطر للسفر إلى القاهرة ولم يعد إلى كرسيه إلا عام ١٩٣٣ بعد ترضية هامشية. ثم بدأ مسلسل من الأحداث المعاكسة والمأساويه التي لم تكن له يد في أغلبها ولكنها جعلت عهده حزيناً وعقيماً وربما مخيبا لآمال الإثيوبيين الذين كانوا يتطلعون لتطوير كنيستهم ونهضتها على يديه.

بعد فشل أنبا كيرلس فى روما مضت سلطات الاحتلال قدما فى تنفيذ مشروعها الخاص باستقلال الكنيسة بأمل أن يساعد هذا على تحقيق محاولاتها لتوجيه نزعة الشعب القومية نحو الدين الذى ثبت شدة تعلقه به فيخفف من غلواء قوميته السياسية. وتم عقد عدة اجتماعات بمقر المطرانية بإيعاز منها ضمت الأسقفين ورؤساء الأديرة وأراخنة الكنيسة ومثقفيها للتداول فى أوضاع الكنيسة ومستقبلها فى غيبة مطرانها. ثم اجتمع المجلس الإكليريكى الذى تشكل بتوجيه من سلطات الاحتلال فى ١٩٣٧/١١/٢٧ واختار الأسقف أبراهام ليكون مطران كنيسة إثيوبيا المستقلة وتمت رسامته بعد ذلك بثلاثة أيام فى احتفال كبير قام هو بعده برسامة خمسة أساقفة وإبيسكوبوس واحد. ثم أخذت سلطات الاحتلال تنشر مقالات عن كنائس فرعية استقلت عن كنائسها الأم تبريرا وتشجيعا لانفصال الكنيسة الإثيوبية أمام القيادات والشعب، وتأكيدا على أنه تطور طبيعى لا يعتبر خروجا عن الإيمان أو يستحق اللعنة. وساقت عدة أمثلة مثل كنائس رومانيا وبلغاريا وروسيا التى استقلت عن القسطنطينية وفرنسا عن روما.

وبادر بابا الأسكندرية بتوقيع الحرم على الأسقف أبراهام وعلى جميع رساماته على أساس أنه خان الأمانة ونكث بالعهد الذى قطعه على نفسه عند رسامته فى القاهرة. وأيد الإتشيجى الموجود فى المنفى هذا الحرم وأرسل إلى المقاومة الإثيوبية فى الداخل رسالة بهذا المعنى. وأعلنت قيادات المقاومة واللاجئين فى الخارج رفضها لاستقلال الكنيسة الذى جاء بإرادة أجنبية وأكدت ولاءها لبابا الأسكندرية.

ولما مات أبراهام فى يوليو ١٩٣٩ أختير يوهنس ليحل محله فى ٣٩/٨/١٢ ورسم فى يوم رسامته أربعة أساقفة وإبيسكوبس للدير فى أورشليم، فصار للكنيسة أحد عشر أسقفا خلال سنتين. وبعد قرابة السنة (١٩٤٠/٧/٢٨) أصدرت سلطات الاحتلال دستورا جديدا للكنيسة ادعت أنه تم بموافقة القيادات الكنسية والمدنية فى البلاد، وتمشيا مع نصوص "فته نجست" (الذى يعارض استقلال الكنيسة!) والتقاليد الكنسية، وتضمن بديهيا نصاً بقسم يؤديه رجال الكنيسة يتعهدون فيه بطاعة ملك إيطاليا وممثليه. وجرى بمقتضى هذا الدستور تقسيم البلاد إلى عشرة إيبارشيات من بينها إريتريا. ودفع قيادات الكنيسة إلى إصدار الحرومات ضد رجال المقاومة الإثيوبية مما أثار الإكليروس أنفسهم ضدها، وأدى إلى

تضاعف أعمال المقاومة وتزايد عنف سلطات الاحتلال وبطشها بأعدائها والتنكيل بهم(٤٥).

وظل يوهنس يرأس كنيسة مستقلة قرابة عشرين شهرا. فلما تحررت إثيوبيا فى ١٩٤١/٥/٥ على غير انتظار جرد من رتبته وطرد من مقره، وانتهت معه "مسرحية" استقلال الكنيسة قصيرة العمر. ولكن القضية ذاتها لم تنته. فالرغبة فى "أثوبة" الكنيسة التى كانت تطفو على السطح من وقت لآخر على مدى القرون، خاصة كلما نشبت أزمة أو طرأ سوء تفاهم مع الأسكندرية، دخلت ضمن إطار الوطنية والقومية مع بدايات القرن العشرين، ثم تحققت على غرار "تمثيلية نموذجية" استمر عرضها حوالى أربع سنوات، شاهدها الشعب الإثيوبى وتعامل معها سواء بالقبول أو الرفض وكأنه يتدرب عمليا للمستقبل! واكتفت الكنيسة القبطية خلال هذا العرض بشجبها و"قطع" الممثلين الذين يلعبون أدوارها. وماذا كان بوسعها أن تفعل وهى غائبة عن الساحة وبعيدة عنها بآلاف الأميال مما أفسح المجال لأبراهام وزملائه أن يجدوا بين الإثيوبين "عقلاء" يبررون موقفهم على أساس أن الظروف حتمت عليهم تصرفهم من أجل حماية الكنيسة وعقيدتها الأرثوذكسية (٤٦) فالبديل كان إخضاعها لبابا روما وانزلاقها نحو الكثلكة، إلى جانب ما كان يتهددها من خطر الأسلمة نتيجة لتقرب السلطات المحتلة من مسلمى البلاد ومغازلتهم وتشجيعهم بدعوى أنها حماتهم (٤٧).

---

(٤٥) والواقع ان الكنيسة الإثيوبية فترة الاحتلال كانت كنيسة شهداء بالجملة يذكر بعصر الإستشهاد الرومانى فى مصر وغيرها من بلاد الشرق الاوسط. فالبطش الإيطالى كان دائما فى صورة مذابح يموت فيها الآلاف من الإكليروس والعلمانيين بالرصاص أو بالحرق وكان نصيب الكنائس والأديرة تدميرها بالنار. وعانى دير دابرالبانوس بالذات الكثير منه بسبب إيواء أحد رجال المقاومة الذى اشترك فى إلقاء قنبلة جرازيانى وكان أفظعها مذبحة عيد تكلاهيمانوت حين غص الدير بمئات الرهبان والكهنة.

(٤٦) ويندرج تحت هذا التوجه ولو بصورة ضمنية ما جاء فى بيان للمفوضية الإثيوبية فى القاهرة إبان أزمة ١٩٤٦: "إنه بالرغم من المذهب الواحد للكنيستين إلا أن الإدارة الداخلية للكنيسة الإثيوبية منذ أن وجدت وإلى اليوم وهى مستقلة تماما. وأنها حافظت على عقيدتها وتبعيتها للكرسى المرقسى إبان الإحتلال الإيطالى بالرغم من أن الإيطاليين أرغموا الشعب على انتخاب بطريرك من بين الإثيوبيين لا يخضع للبابا القبطى".

(٤٧) مما يذكر أن موسولينى حين زار ليبيا عام ١٩٣٧ أعلن أن إيطاليا الفاشية تضمن للشعب الإسلامى فى ليبيا وإثيوبيا السلام والعدل والرخاء والاحترام لقوانين نبيهم.

ولما عاد الحكم الوطنى إلى البلاد (٤٨) برزت لكل من الكنيستين أولوياتها : فالقيادات الإثيوبية سارعت تطلب من البطريرك رفع الحرم عن الأساقفة والإكليروس وأفراد الشعب الذين حرمتهم الكنيسة القبطية بعد إعلان استقلالهم بالكنيسة، كما عبرت عن رغبتها فى أن تصاغ علاقة الكنيستين على أسس جديدة يتم التفاوض عليها. بينما انصب اهتمام الكنيسة القبطية على ضرورة عودة أنبا كيرلس مطران إثيوبيا إلى كرسيه فى أديس أبابا. والواقع أن محاولاتها فى هذا السبيل بدأت قبل ذلك فقد كانت رغبة البابا يؤنس، ومعه أنبا كيرلس، أن يرافق المطران الإمبراطور فى حملته التحريرية بدءاً من الخرطوم ويدخل معه عاصمة بلاده. فتاريخيا كان المطارنة يرافقون الأباطرة فى حروبهم وينتقلون معهم من ساحة إلى أخرى ومعهم تابوت العهد، يواصلون الصلاة حتى يتم لهم النصر. وتبادل البابا الرسائل البرقية والبريدية مع الإمبراطور حول هذا الأمر دون أن يحصل على رد قاطع حوله فى الوقت المناسب، إذ أنه وهو مايزال ينتظر الرد تمت الحملة التحريرية بنجاح ودخل الإمبراطور العاصمة والإتشيجى إلى جانبه!

والواضح أن الإمبراطور لم يكن يرغب فى أن يرافقه أنبا كيرلس فى تلك اللحظة التاريخية، إما لأنه لم يشأ أن يخطف الأضواء منه كما علله البعض، أو لأنه أراد كما تصور

---

(٤٨) وكانت السياسة الإيطالية الاستعمارية إستيطانية بالدرجة الأولى تهدف إلى جعل إثيوبيا جزءاً من الوطن الإيطالى فاستقدمت المزارعين الإيطاليين للعمل فى المزارع الواسعة التى استولت عليها وكانت مملوكة للدولة والأسرة المالكة والرؤوس. وفتحت الباب للشركات الإيطالية لتعمل فى الصناعات الاستهلاكية والغذائية وأعمال البناء لتعمير البلاد وإنشاء الطرق واستقدمت جميع موظفيها وأصحاب الحرف من إيطاليا الذين جاءوا ليستقروا فيها إلى الأبد، وتدعم هذا باتفاق جنتلمان عقد بداية عام ١٩٣٨ بين بريطانيا وإيطاليا إعترفت فيه الأولى باحتلال الثانية لإثيوبيا.

ولكن فجأة تأزم الموقف الدولى وبدأت فعلا الحرب العالمية الثانية فى ١٩٣٩/٩/١ بويلاتها ونكباتها. ولكن صدق القول "مصائب قوم عند قوم فوائد". فدخول إيطاليا الحرب مع المحور فى يونيو ١٩٤٠ عرض مستعمراتها لهجوم الحلفاء عليها وكانت هذه هى الفرصة التى كان الشعب الإثيوبى وقادته وإمبراطوره وكنيسته يصلون من أجلها. وجاءت على غير انتظار وانتهزها هايل سلاسى وعرض على إنجلترا مهاجمة مستعمرات إيطاليا فى شرقى إفريقيا برجاله على أن تمده بالسلاح والدعم.

وفعلا وصل إلى الخرطوم قادما من لندن فى ١٩٤٠/٧/٣ واستطاع تشكيل قوة ضاربة من المهاجرين الإثيوبيين عبر بها الحدود الإثيوبية فى ١٩٤١/١/٢٠ فى الوقت الذى اخترقت فيه القوات البريطانية والحليفة الجبهة الشمالية والجنوبية. وفى ٤/٦ استسلمت أديس أبابا للجيش البريطانى وتريث الإمبراطور حتى يوم ٥ مايو ليدخل العاصمة وهو نفس التاريخ الذى تركها فيه هاربا عام ١٩٣٦. واستمرت المعارك مع القوات الحليفة حتى ١١/٢٧/ حين استسلمت آخر حامية إيطالية فى جندر.

البعض الآخر أن يعرف مشاعر الشعب نحو المطران نفسه أولا قبل أن يلتزم بموقف معين منه. على أن التفسير الأقوى هو أن الإمبراطور رأى أنه ليس من حق الرجل الذى غاب عن الساحة غيابا كاملا أثناء احتلال البلاد أن يظهر فجأة ممتطيا موجة الزهو فى لحظة الانتصار.(٤٩)

ومع أنه كان هناك شبه إجماع على أن أنبا كيرلس لم يفرط فى حقوق الكنيسة الإثيوبية، ولم يخن الأمانة، وحافظ على تعهده بحماية العلاقة بين الكنيستين وعلى معتقداتها وتراثها، فقد ترجمت مواقفه وتضحياته على أنها كانت من أجل صيانة علاقة لم تكن ذات بال وقت الاحتلال، عندما كانت الحاجة أشد ما تكون إلى تضحيات من أجل الذود عن الوطن، والوقوف فى خندق المدافعين عنه ومساعدتهم والتخفيف عنهم خاصة وأن الكنيســة هى درع البــلاد الحقيقــى، فمن أجل هذا تركه الإمبراطور فى أديس أبابا. ثم أن هذه العلاقة كانت تمثل تركة ثقيلة عند بعض القيادات الإثيوبية بعد التحرير.

ويبدو أن الإمبراطور ومستشاريه، وبالذات الإتشيجى وبعض رجال الدين، رأوا أن غياب المطران عن البلاد بعد التحرير يهيئ لهم مناخا يحفل بمختلف الاحتمالات، فلم يشاءوا إفساده بالقبول بصحبته وعودته التى كان من شأنها أيضا أن تمثل عبئا أمنيا والتزامات يصعب توفيرها فى ظروف المعركة القاسية. ومن جانبه سارع الإمبراطور إلى إصدار الكثير من التشريعات التنظيمية من أجل إلغاء النظم التى فرضها الإيطاليون وسادت مدة احتلالهم. وأعاد تشكيل المجلس الإكليريكى، الذى سبق للإيطاليين أن أنشأوه، من رجال الدين الذين ظلوا على ولائهم له برئاسة الإتشيجى لتصدر باسمه التنظيمات الجديدة الخاصة بالكنيسة، وذلك دون انتظار الحصول على موافقة الكنيسة القبطية على قيام مثل

(٤٩) فبعد عودته من روما استقر فى مقره بالإكليريكية بمهمشه وانصرف فى هدوء إلى حياة التأمل والتعبد. وكان المتوقع منه كما يبدو ألا يركن إلى هذا الهدوء، بل أن يصول ويجول من أجل قضية بلاده باعتباره كان الرجل الثانى فى الإمبراطورية الإثيوبية التى تعانى الاحتلال. فيشكل اللجان مثلا لجمع المساعدات للشعب الإثيوبى للتخفيف عنه فى محنته، ويعتلى المنابر دفاعا عن قضيته. ويحاول إيجاد قنوات إتصال مع إكليروسه الموالى ويدعمه فى نضاله. ويذهب إلى لندن ليتدارس الموقف مع إمبراطوره ويعبر له عن مساندته. على أنه لا يمكن أن يلام الرجل على الذى غاب عنه من مبادرات بناءة ومطلوبة، إذ من الواضح أنه لم يجد المشورة كما أن قيادات الكنيسة لم توجهه نحو هذا اللون من التحرك والنشاط.

(٥٠) صدر القرار به متأخرا إذ أن المجمع المقدس القبطى وافق على تشكيله فى ١٩٤٦/١/٣١.

هذا المجلس(٥٠) على أنه احتفظ بالخطوط العريضة لسياسات الاحتلال فيما يتعلق بأملاك الكنيسة إذ أنها انتزعت كل الأوقاف والأملاك وضمتها للدولة وحددت مرتبات لرجال الدين تتفاوت تبعا لدرجاتهم.

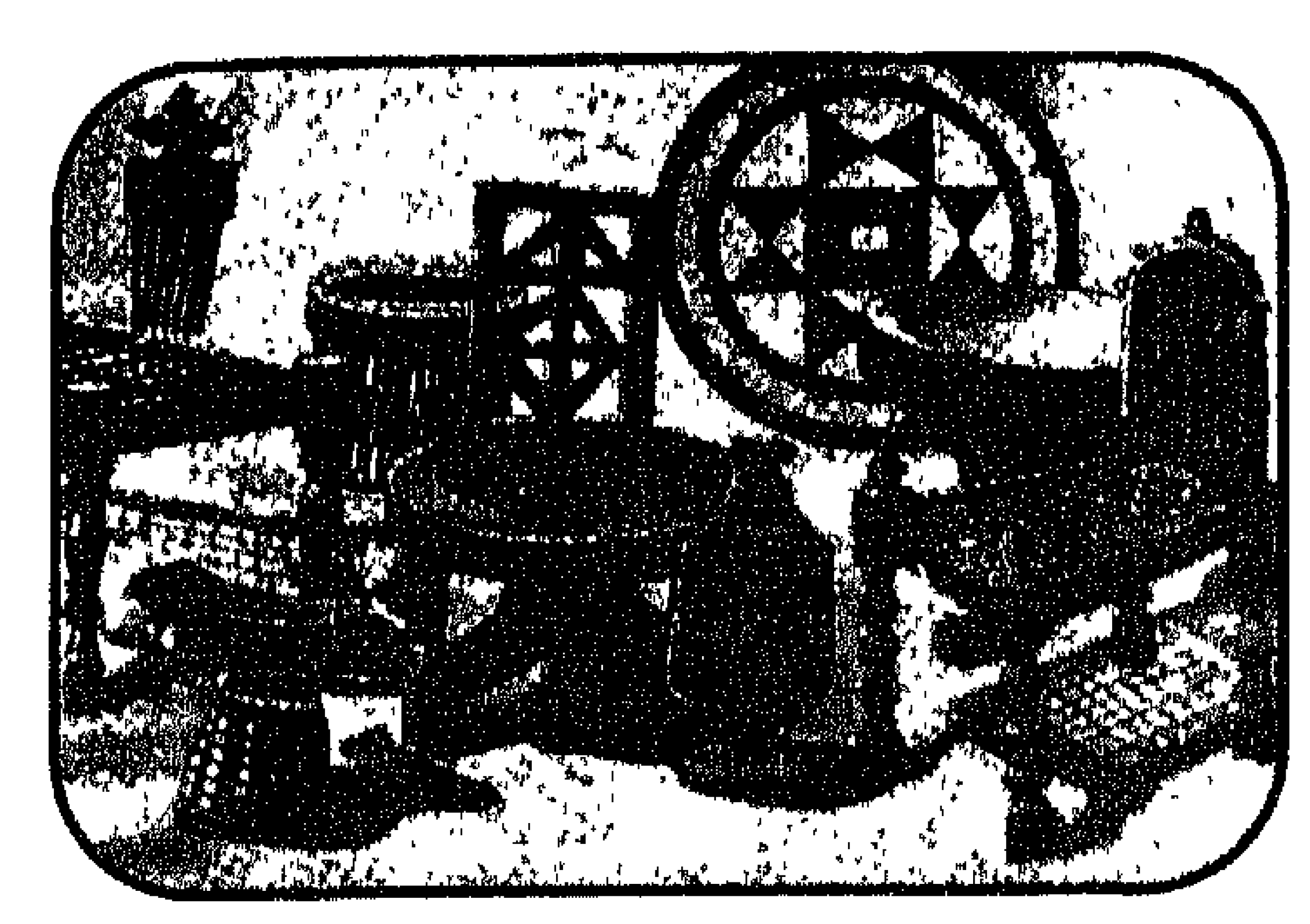
وبدأت الأمور تتحرك فى البلاد و "شبح الكنيسة الإثيوبية المستقلة" بادٍ للعيان محفور فى الأذهان : كنيسة وطنية برئيس وقيادات إثيوبية سمراء، تبارك الشعب "باليد السوداء" دون أن تحدث مجاعات أو نكبات، كما كان الشعب يتطير ويتخوف فى الماضى، بل على العكس تحققت واحدة من كبرى المعجزات السياسية إذ تحررت إثيوبيا فى "غفلة من الزمان" إذ كان الرهان أن إثيوبيا انتهت وانضمت إلى إريتريا، وإلى الأبد، كمستعمرة إستيطانية للطليان.



صور لقديسين ولقديسات
(رسم على القماش)



آلات موسيقية إثيوبية



خشبيات إثيوبية



مسلات أكسوم المشهورة



فخاريات إثيوبية

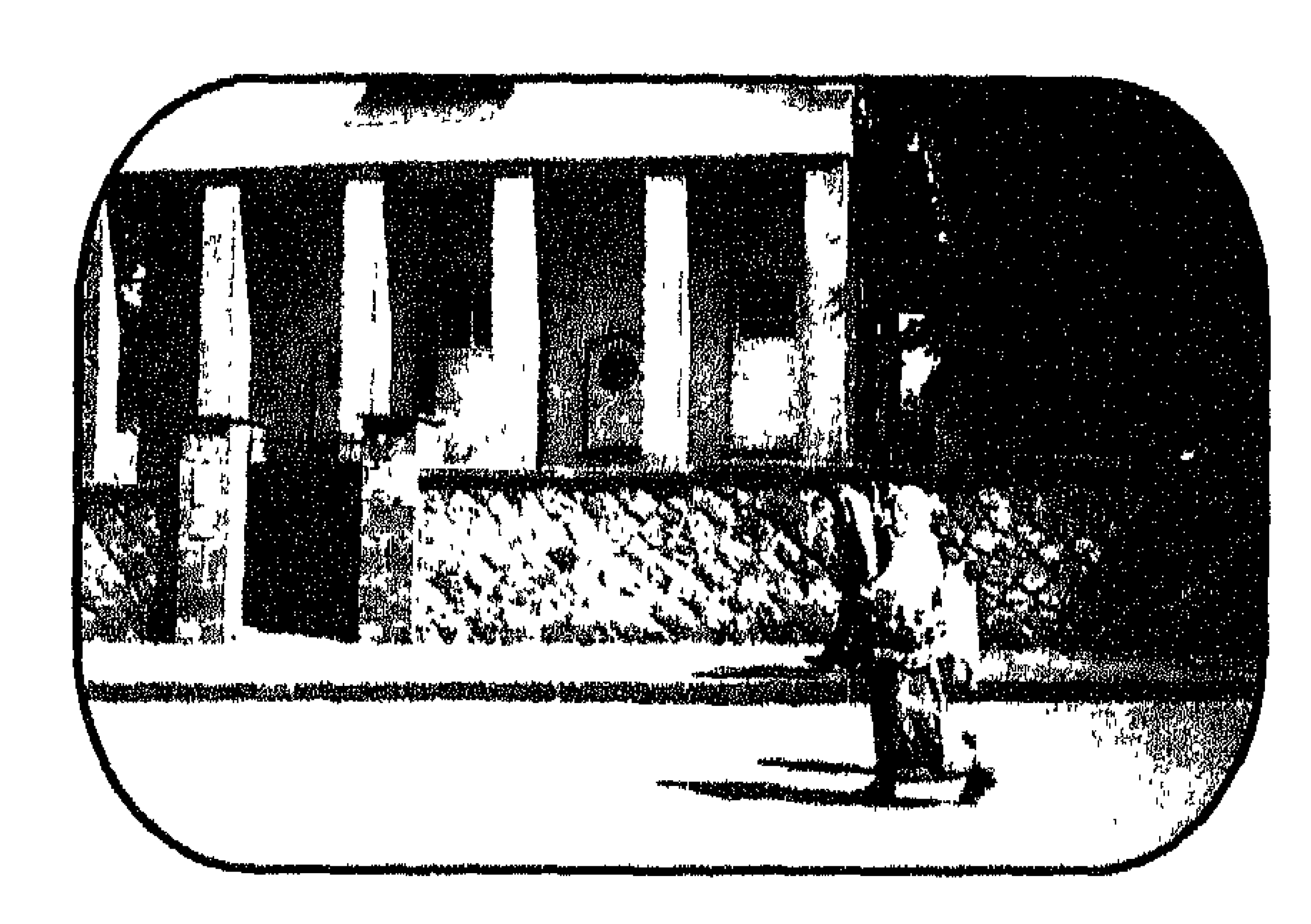


الطبلة الكنسية (كابرو) تحملها إحدى المرتلات

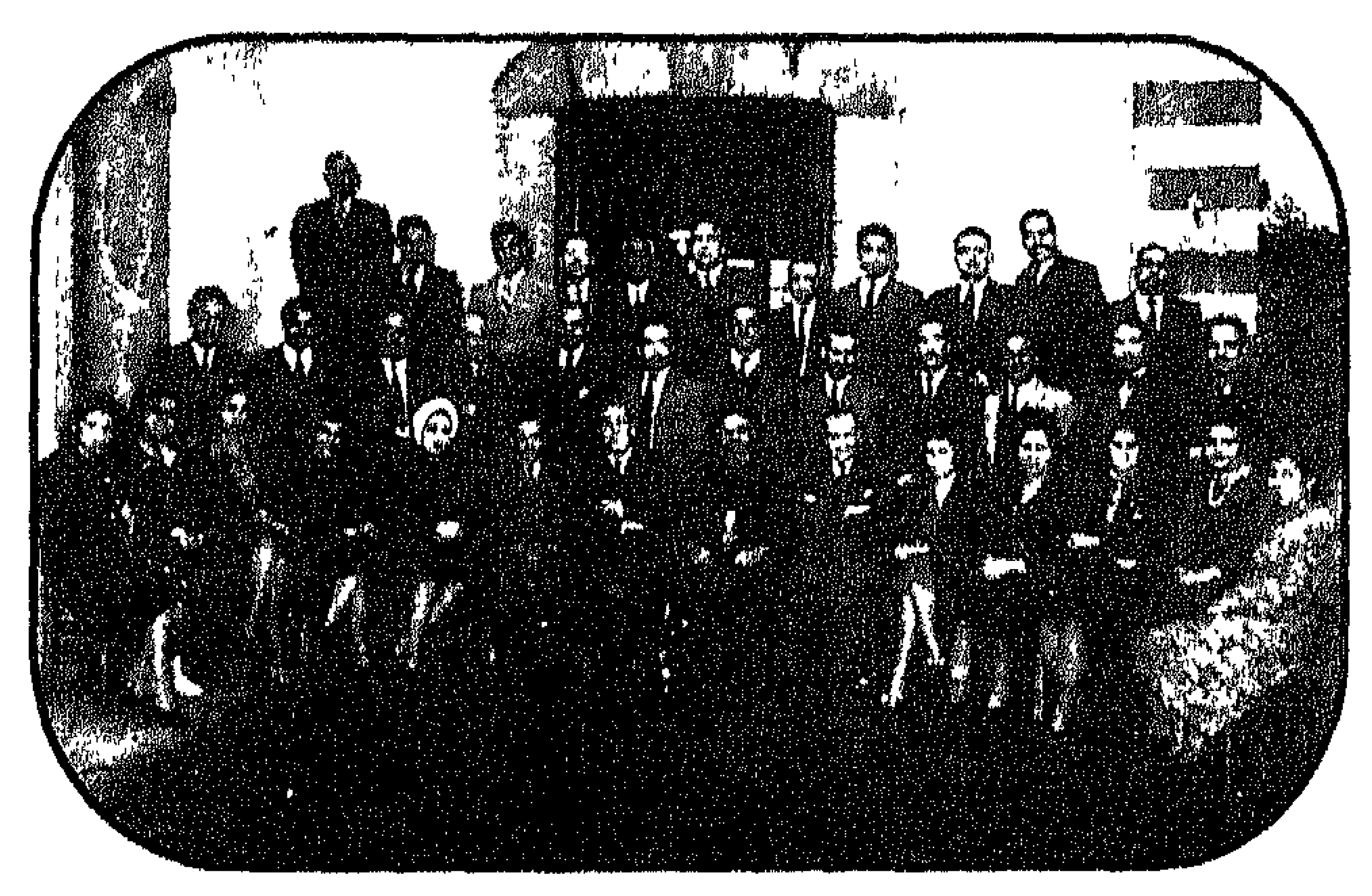
ماراثون المفاوضات



قداس الأربعين للمتنيح البابا يوساب
فى كنيسة سلاسى بأديس أبابا
بحضور أنبا يؤنس مطران الجيزة
(ديسمبر ١٩٥٦)



قاعة الاجتماعات بكلية سلاسى اللاهوتية
حيث كانت تجتمع قيادات الكنيسة الإثيوبية
فى بداية ماراثون المفاوضات
مع الكنيسة القبطية
١٩٤٥ - ١٩٤٧



الوفد القبطى من القمص إبراهيم لوقا
والمنياوى باشا مع الجالية المصرية بأديس (١٩٤٦)

ماراثون المفاوضات [١]
(بعد التحرير) [٢]

أذّنت نياحة أنبا متاؤس مطران إثيوبيا "القبطى" (١٩٢٦/١٢/٤) ببداية مرحلة جديدة فى العلاقات بين الكنيستين. فالسلطة التى اجتمعت له، سواء الروحية أو الاجتماعية أو السياسية، والتى لم تتح لغيره ممن سبقوه من المطارنة، والتى استمر يمارسها لمدة طويلة شارفت على أربعة عقود، كانت بمثابة القمة التى لا يمكن تجاوزها، لتبدأ بعدها فى الهبوط أو الانحسار، بحكم حركة الحياة والتاريخ البندولية. ويبدو أنه اندمج فى إثيوبيته اندماجا يكاد يكون كاملا، فأخذ يفكر إثيوبيا، ويتحرك إثيوبيا، ويتطلع أيضا إثيوبيا. وكان من بين هذه التطلعات أن يستقل "بكنيسته" الإثيوبية [٣]، بمعنى توطينها وتدثيرها بقوميتها، لتكون إثيوبية رأسا وجسدا وكيانا. وتطلعاته هذه ـ إن ثبتت تاريخيا ـ إما أنها شعت منه على من حوله فاستقرت فى وجدان البعض، أو أنها كانت صدى لتيار يموج حوله استشعره وتجاوب معه ورأت حكمته أن يجسده فى وعاء شخصه القبطى.

---

(١) اهتم د. أنتونى سوريال عبد السيد بأمر هذه المفاوضات وصنف كتابا قيما (٢٤٠ صفحة) جمع فيه كل مراحلها. فحفظها فى سجل فى متناول المهتمين والباحثين، وسد ـ كما قال سيادته ـ فراغا هائلا فى المكتبة المصرية والقبطية.

(٢) فقد كان هناك ماراثون آخر قصير عامى ١٩٢٨ و١٩٢٩

(٣) لم يترك مذكرات تلقى الضوء على تاريخ تلك الحقبة الهامة من تاريخ إثيوبيا وكنيستها وعلاقتها بالكنيسة الأم. وليس معروفا إن كانت توجد مكاتبات أو وثائق فى محفوظات البطريركية تعود إلى عهده وعهد غيره من مطارنة الأقباط الإثيوبيين. وتشير الدلائل إلى أنه لم يهتم بتنمية الوجود القبطى أو التأثير القبطى أو العمل القبطى فى إثيوبيا، فلم يستغل سلطاته الواسعة مثلا فى فتح الأبواب أمام الخدام الأقباط والخدمات القبطية فى مجالات التعليم الدينى والتعليم العام والصحة وغيرها. وأشار بعض كتابنا إلى أنه ساهم بطريق غير مباشر على حدوث الشرخ الذى ألمّ بعلاقة الكنيستين: فطموحاته الاستغلالية ونفوذه الواسع (وهو الأجنبى أصلا) أفزع ولا شك العناصر الوطنية المتشددة. وما اتهم به من رجعيه وتعنت أزعج التقدميين، إلى غير ذلك من الأمور التى تستحق من مؤرخينا الدرس والبحث. ويقول د. أنتونى سوريال "إن الارهاب الدينى والسيطرة القوية والستار الحديدى الذى فرضه وهو يرأس الكنيسة الإثيوبية مثلت مجتمعة السبب الأول والأخير لانفصال الكنيسة الإثيوبية! (الاستقلال الذاتى للكنيسة الإثيوبية ص ٥٢)

ومهما يكن الأمر فبعد نياحته بأكثر من ثلاث سنوات وصلت إلى القاهرة بعثة (٤) إثيوبية يرأسها وزير المعارف الإثيوبى سهلو سيدالو الذى قابل قداسة البابا يؤنس التاسع عشر. وأجمل فى مقابلته ما كان يدور فى ذهن القيادة السياسية الإثيوبية بقوله "إن الشعب الإثيوبى يطالب حكامه الآن بضرورة تعيين أساقفة إثيوبيين يعلمونه بلغته مثل غيره من الشعوب والطوائف. فإثيوبيا الحاضر ليست كما كانت. وهى فى حاجة للاسترشاد بنور العلم. وبات من اللازم سيامة أساقفة من علمائنا الإثيوبيين لأنه لا يمكن أن يستمر الحال على ما هو عليه الآن". وطلب رسامة عشرة (٥) أساقفة إثيوبيين إلى جانب المطران القبطى. واستعمل لأول مرة فى تاريخ علاقات الكنيستين لغة المقارنة بين الواقع القبطى والواقع الإثيوبى، ومن ثم تكررت هذه اللغة فى المفاوضات اللاحقة. فالأقباط مليون نسمة ولديهم ثمانية عشر أسقفا، فهل عشرة كثيرون لشعب من عشرة ملايين؟

ووصلت برقية من الرأس تفرى مكونن ولى العهد تعلن الاكتفاء بأربعة أساقفة، مما سّهل تحقيق الطلب، وتمت الرسامات كما أسلفنا. وأرسل البابا رسائل مع الأساقفة الجدد لكل من الإمبراطورة زوديتو وولى عهدها تضمنت أسماءهم.

وبعد تحرير إثيوبيا من الاحتلال الإيطالى عام ١٩٤١ بدأت سلسلة جديدة طويلة من المفاوضات استمرت قرابه عقدين. قامت بها بعثات إثيوبية وأخرى قبطية تتنقل بين العاصمتين، ولب مضمونها هو ما ردده الوزير سهلو سيدالو على مسامع قداسة البابا عام ١٩٢٩ مفتتحا به ما يمكن تسميته بماراثون المفاوضات الإثيوبية القبطية.

+ وكانت أولى البعثات قبطية وصلت أديس أبابا فى ١٩٤٢/٦/٣ وضمت صادق وهبه باشا وفرج موسى بك ومريت غالى بك. واصطحبت المتنيح أنبا كيرلس الخامس مطران إثيوبيا لدى عودته إلى مقر كرسيه، ومعها خطاب من البابا للإمبراطور هايل سلاسى الأول. وكانت عودة المطران على رأس اهتمامات البطريركية منذ تحرير إثيوبيا باعتبارها مؤشرا لعودة الأمور إلى مجاريها بين الكنيستين. ونزل مؤقتا فى مقر ولى العهد. وزاره الإمبراطور والإمبراطورة مرحبين.

(٤) لم تأت معها القوافل المعتادة تحمل الهدايا الثمينة لكل من البابا والسلطان!

(٥) وهو نفس العدد الذى طلبه الإمبراطور "هايل" من البابا غبريال (١١٣٠ – ١١٤٤) منذ حوالى ثمانية قرون، ولكن أساقفة من الأقباط لا الإثيوبيين.

وشكل تأخر انتقال المطران إلى مقر مطرانيته أزمة ثقة بينه وبين القيادات الإثيوبية، كما كدّر أعضاء البعثة القبطية، خاصة وأنها كانت مشغولة بالإكليروس الذى عينته سلطات الاحتلال الإيطالى، والواقع تحت الحرم من قبل الكنيسة الأم.

وكان رفع هذا الحرم، الذى صدر عام ١٩٣٧، عن الإكليروس وعمن تبعهم من الشعب محور المحادثات التى دارت طوال إثنى عشر يوما بين البعثة وبين الإتشيجى ومندوبين عن المجلس الإكليريكى (٦)، ثم بينها وبين الإمبراطور. وكان الشرط القبطى لرفع الحرم هو أن يقدم المحرومون من الإكليروس خضوعهم واعترافهم واسترحامهم مع إبعادهم عن العاصمة. أما الرغبة الإثيوبية فكانت أن يتم تلقائيا ودون شروط من جانب الكنيسة القبطية، حماية للمصالح الإثيوبية العليا (٧)، وحفاظا على التوازنات الدقيقة التى نشأت عن الاحتلال الإيطالى الذى تمخضت عنه سابقة حين جعل للكنيسة بطريركا من أبنائها يرسم الأساقفة ويدير شئونها، وهو مالم يفعله الحكم الوطنى أو يحاول تحقيقه فى الماضى.

واجتمع المجمع المقدس القبطى برئاسة الأنبا يوساب القائمقام البطريركى وقرر رفع الحرم عن أفراد الشعب، وعن المطارنة والأساقفة وعن الذين ساموهم من كهنة وشمامسة، على أن يعودوا جميعا إلى الحالة التى كانوا عليها من قبل. وهو قرار وجد من يرحبون به فى البلدين، ووجد أيضا من يحزنون بسببه، وعلى رأسهم أنبا كيرلس، خاصة وأنه خلا من أى قيد أو شرط يرى فيه تعزيزا لمركزه أو تخفيفا للضغوط التى كان يعانى منها منذ عودته

(٦) أو المجمع المقدس. فقد سبق لسلطات الاحتلال الإيطالى أن شكلت مجمعا مقدسا للكنيسة يساعد البطريرك الجديد فى تصريف شئون الكنيسة وبقى هذا المجمع بوظيفته بعد التحرير بعد تغيير أعضائه. وهو المجلس الذى لم يوافق على عودة أنبا كيرلس بنسبة ٧٠٪ من أعضائه.

(٧) فالمحرومون من الإكليروس كونوا لأنفسهم مراكز قوى، إلى جانب عملاء الاحتلال الذين استفادوا من وجوده، إلى جانب خصوم الإمبراطور سواء قبل الاحتلال أو بعده. بالإضافة إلى أن فترة عودة الحكم الوطنى نفسها اتسمت بالميوعة وعدم الاستقرار. وتطلب كل هذا علاج الموقف بالحنكة والدهاء، خاصة وأن الإمبراطور كان يراعى مصالحه ومصالح عرشه، وكان يأمل بالعفو عن الإكليروس واحتضانهم أو إحتضان بعضهم ألا يخسرهم لحساب خصومه، وقد يكسب الكثير من ورائهم فى ظروف يحتاج فيها إلى كافة عناصر الدعم والتأييد. ثم أن فريقا من الشعب كان يرى أن رجال الإكليروس هؤلاء قد قبلوا مناصبهم حماية للشعب وعقيدته الأرثوذكسية، خاصة وأن خبرة إثيوبيا مع الكاثوليكية منذ القرن السادس عشر ومحاولاتها كثلكة البلاد خبرة كانت مرة.

إلى أديس أبابا. ومما زاد من حزنه ما جاء فى تقرير البعثة الذى رفعته للقائمقام، والذى تبنى الكثير من الموقف الإثيوبى ووجهات نظره، وأشارت فيه إلى "الناشئة الإثيوبية" الذين يتهمون الكنيسة القبطية بأنها لـم تفعل شيئا لرفع مستوى الشعب الإثيوبى وإكليروسه، وأنهم يتطلعون إلى تقدم كنيستهم ونهوضها يوم يدير أبناؤها شئونها.

وتندر للأسف بعض كتابنا بأمر "الناشئة" هؤلاء، متساءلين أين هم وما مدى قوتهم أو تأثيرهم، مع أنهم كانوا موجودين فعلا كثمرة من ثمار التعلم الدينى (الديرى) والتعليم المدنى الذى توسع فيه الرأس تفرى مكونن، وتعليم الإرساليات التى شجعها الرأس نفسه على التوسع فيه. وهم مهما قل عددهم ـ بعدما قتل الاحتلال العديد منهم ـ كانوا يمثلون قاطرة التغيير لبلادهم. ولقد عانى منهم هايل سلاسى نفسه فى الخمسينيات، بعدما أسس لهم كلية هايل سلاسى الجامعية، إذ أخذ طلبتها يغمزون نقدا على نظامه بالشعر والنثر، وأحيانا فى حضوره.

+ وكانت البعثة الثانية قبطية أيضا برئاسة المتنيح أنبا تيموثاوس مطران الدقهلية، وعضوية جندى عبد الملك واسكندر قصبجى وأسعد مرقس. أرسلها البابا مكاريوس الثالث لدراسة أحوال الكنيسة الإثيوبية دراسة تفصيلية متكاملة، تتناول وضع المطران القبطى ومطرانيته ومسئولياته وخدمته، وعلاقاته بالدولة والشعب، ورحلاته الرعوية داخل البلاد، وأوضاع الإكليروس وأهليته وثقافته، والطقوس ومدى تطابقها مع الطقوس القبطية، والكنائس وكيف تبنى وتدار، والحياة الديرية بتفصيل، وعلاقة الدولة بالكنيسة وشروط من يتولى العرش وتحديد عقيدته. وهى معلومات كان من المفروض أن تكون معروفة [٨] بوضوح ودقة منذ قرون، وإن احتاجت إلى مراجعة دورية كانت تحققها نسبيا تقارير المطارنة التى

(٨) فمثلا المطران القبطى الذى كان يقوم بتتويج الإمبراطور كان يعرف أن القسم الإمبراطورى يتضمن: "ونتعهد بأن ندافع عن المذهب الأرثوذكسى المقدس المؤسس على عقيدة القديس مرقس السكندرى المعترف به فى كل إثيوبيا منذ أيام الإمبراطورين المقدسين (أى أبرها وأصبها وخلفائهما)، وأن نراعى مصالح شعبنا الروحية والمادية وتقدمه".

وغنى عن البيان أنه كان من واجب البطريركية الاحتفاظ بسجل للأباطرة الإثيوبيين وأعمالهم ودورهم فى الحياة الكنسية خاصة وأن بينهم علماء وعلى اطلاع واسع بالمسائل اللاهوتية، ولهم إسهاماتهم فى التبشير وبناء الكنائس والأديرة، والتأليف الدينى أيضا.

كانت ترسل من وقت لآخر. ويدل غيابها وعدم وجود سجلات وافية عنها بالبطريركية، الأمر الذى تطلب إرسال بعثة خاصة لجمعها، على مدى الارتجال والعشوائية التى كانت تهيمن على علاقة الكنيستين.

ووصلت البعثة فى ١٩٤٤/٦/٢ وصرفت قرابة أربعة أسابيع فى لقاءات مع كل الفعاليات، وعلى رأسها الإمبراطور، واجتمعت بالوفد الإثيوبى الذى رأسه الإتشيجى وضم مجموعة من اللاهوتيين والعلمانيين من بينهم وزير العدل. وحظيت بكافة التسهيلات لإعداد الدراسة المطلوبة. وزارت مناطق مختلفة بالبلاد. واستمعت إلى المطالب الإثيوبية التى تركزت حول تعيين مطران إثيوبى له حق رسامة أساقفة. وتطرقت مناقشة هذا المطلب ومبرراته إلى قوانين مجمع نيقيه وتفسيرات كل من الجانبين له. وانتقلت إلى طلبات تتعلق بالتعليم الدينى الذى لم يحظ بالاهتمام الكافى طوال القرون الستة عشر، منها إنشاء مدرسة إكليريكيه بأديس أبابا يزودها البابا بالمعلمين والمسئولين ويلتحق خريجوها بأديرة مصر وكليتها اللاهوتية، مع تبادل الرهبان بين أديرة البلدين [٩]

وشكل المجمع المقدس القبطى لجنة من مطارنة القدس والدقهلية والغربية والأقصر والقمامصة سرجيوس وابراهيم لوقا وميساك وجرجس بطرس، لدراسة تقرير البعثة والطلبات الإثيوبية. فعقدت إجتماعين وقدمت توصياتها للمجمع فى ٤٥/٢/٥، ومن أهمها رفض رسامة مطران إثيوبى له حق رسامة أساقفة رفضا باتا لعدم توافقه مع القوانين الكنسية، ورفض تشكيل مجمع مقدس لكنيسة إثيوبيا يكون له حق اختيار الأساقفة. واقترحت رسامة أسقفين من الإثيوبيين واثنين من الأقباط. وأيد المجمع فى ١٩٤٥/٢/٨ توصيات اللجنة، وأعطى للكنيسة الإثيوبية حق تمثيلها فى المجمع المقدس بمطرانها وأساقفتها، وتمثيلها فى انتخابات البابا بمطرانها وأساقفتها ومندوب عن الإمبراطور. ووافق على إنشاء المدرسة الإكليركية بأديس أبابا وعلى تبادل البعثات والزيارات بين الإكليروس.

---

(٩) وهى طلبات تدل على الكثير الذى غاب عن الكنيسة القبطية ومطارنتها القيام به من قرون. مما حدا بأحد كتابنا أن يشير إلى العلاقة «الواهية» التى كانت تقوم على مجرد إرسال مطران إليها! فلما توقف إرسال المطران لم يبق للكنيسة من أثر قائم يتمثل فى كنائس أو أديرة أو مستشفيات، أو ـ وهو الأهم ـ مدارس أو إرساليات تبشيرية فى داخلية البلاد، على غرار ما فعلته الإرساليات الأجنبية فى العقود الأخيرة.

وكان رفض المجمع المقدس للمطلب الإثيوبى الرئيسى بمثابة الشرارة التى أشعلت حملات قاسية ضد الكنيسة القبطية وضد وجود مطران قبطى فى البلاد، انطلقت بها الصحافة والإذاعة، ووسع الاتشيجى والإكليروس نطاقها فى اجتماعات بحضور رؤساء الكنائس ورجال الدولة، وبإرسال الوفود داخل البلاد لتثيرها ضد "التعنت" القبطى وتوحيدها وراء قضيتها (١٠). ومن أبرز ما تضمنته الحملة:

ـ إن قرار مجمع نيقية الذى يحرمهم من تعيين مطران من بينهم هو من وضع الكنيسة القبطية، فمجمع نيقية انعقد (٣٢٥) قبل أن تكون هناك كنيسة إثيوبية

ـ وفرومنتيوس نفسه لم يكن مصريا +، وأن الإثيوبيين هم الذين أرسلوه ليرسمه البابا أثناسيوس الرسولى الذى كان "مِلْك" العالم المسيحى كله.

ـ إن الكنيسة الإثيوبية قد نضجت وشبت عن الطوق وآن لها أن "تفطم". وهى كنيسة إمبراطورية عريقة مترامية الأطراف من حق أبنائها أن يديروا شئونها، ولديها علماء ولاهوتيون قادرون على قيادتها وإنهاضها.

ـ وقد حان الوقت لأن تتحرر وتتخلص من أى قيد أجنبى.

(١٠) وأيضا لأجل محاصرة غير المؤيدين لها من رؤساء الكنائس والأديرة وعزلهم. ثم استقر الرأى على تشكيل هيئة من ممثلين لمختلف أرجاء الإمبراطورية عن طريق الانتخاب، لتكوين جبهة متحدة داخل الكنيسة. وتشكلت فعلا هيئة من ٧٢ عضوا إنضم إليها خمسة وعشرون عضوا زكاهم الإتشيجى. واجتمعت الهيئة فى ١١/١٨/ ١٩٤٥ فى القاعة المخصصة للاجتماعات بكلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا. وحدد الإتشيجى خطوات الكنيسة المستقبلية، وهاجم الكنيسة القبطية بشدة لرفضها أتوبة كنيسة البلاد. وتوالت اجتماعات الهيئة. وكنتُ فى الكلية أشاهد دخول الأعضاء وخروجهم وأسمع أحيانا صيحات الحماس ونبرات المتكلمين دون معرفة مضمون الخطابات، وإن تركزت كما اتضح فيما بعد حول التنديد بتاريخ الكنيسة القبطية فى إثيوبيا، وتفصيل صور تقصيرها.. إلخ. وحدث أن طالب البعض فى اجتماع ٤٥/١١/٢٦ بقطع العلاقات فى الحال، ولكن ممثلى الحكومة فى الاجتماعات دعوا إلى الاعتدال وإلى أخذ الأمور بروية. وللأسف رفض اقتراحهم هذا حين جرى التصويت عليه وذلك بـ ٧٢ ضد ٢٥ صوتا. ومع ذلك فقد أمر الإمبراطور بإرسال وفد إلى القاهرة لمقابلة القائمقام. وهو الوفد الذى وصلها فى ١٩٤٦/١/٢٦.

+ فى عام ١٩٨٨ أصدر الأب تسفسلاسى موجاس كتابا باللغة الأمهرية بعنوان "القديس مرقس إثيوبى" سجل فيه ما هو شائع فى أوساط إثيوبية من أن القديس مرقس كاروز مصر ومؤسس كنيستها هو نفسه إثيوبى الأصل. وهى شطحة تماثل ما تدعيه قبائل فى غربى إفريقيا من أن الفراعنة تنتمى إلى أصولها.

+ وجاء دور إثيوبيا لترسل وفدا إلى القاهرة للتفاوض، وقد وصلها فى ١٩٤٦/١/٢٦ وفى البطريركية قائمقام هو الأنبا أثناسيوس بعد ما تنيح البابا مكاريوس الثالث فى ١٩٤٥/٨/٣١. وكان الوفد من عضوين [١١] هما بلاتا/ مرسى هزن وفيتوراري/ هبت ميكايل، ويحمل رسالة من الإمبراطور لنيافة القائمقام. وعقد المجمع المقدس جلستين لدراسة المطالب الإثيوبية التى حملها الوفد، وخرج فى جلسته الثانية (١٩٤٦/١/٣١) بقرارت اتسمت بالشجاعة والتاريخية. فقد قرر أن يكون المطران الذى يخلف أنبا كيرلس راهبا إثيوبيا موضحا أنه "يسر المجمع المقدس الحالى أن يتم فى عهده هذا الحدث الأول من نوعه فى تاريخ الكنيسة القبطية"! ولكنه رفض منح المطران القادم حق رسامة أساقفة. وإن وافق على رسامة أربعة أساقفة إثيوبيين جدد، إلى جانب قبطيين شريطة أن يكونا ملمين باللغة الأمهرية، وهو شرط استحدث لأول مرة أيضا.

ولم يطرب الوفد الإثيوبى لهذه القرارات لخلوها من حق المطران القادم فى رسامة أساقفة ولتأجيل رسامته إلى ما بعد نياحة أنبا كيرلس. وأكد فى تصريحاته للصحفيين رغبته فى أن تتم رسامة المطران فى الحال، وأن يقوم هو برسامة الأساقفة الإثيوبيين الجدد، على أن يكون عددهم إثنى عشر. ولجأ الوفد إلى الحكومة المصرية وكان يرأسها النقراشى باشا، الذى كان من رأيه إجابة كافة المطالب الإثيوبية حفاظا على العلاقات الطيبة بين البلدين. ودارت مفاوضات مع الوفد الإثيوبى اشترك هو فيها مع القائمقام وسكرتير المجمع المقدس وسابا حبشى وزير التجارة والصناعة. واستمرت المباحثات بدون النقراشى باشا بعد استقالة حكومته، واختتمت فى ١٩٤٦/٢/٢٠ بمحاولة إقناع الوفد الإثيوبى بعدم جواز رسامة مطران محل آخر لم يمت، وأن الحل الأمثل هو أن يبقى أنبا كيرلس بمصر لأسباب صحية ويقوم مقامه أحد الأساقفة الأثيوبيين بعد رسامتهم حتى يحين وقت رسامة المطران الجديد. وكان النقراشى قد طلب من أنبا كيرلس الحضور إلى القاهرة للاستئناس برأيه فى المفاوضات. فحضر وأقام بمهمشة حتى نياحته.

(١١) وانضم إليها فيما بعد أتورمنسى لمآ مدير عام وزارة المالية والذى صار وزيرا لها فيما بعد. وكان يتكلم العربية بطلاقة وعلى علاقة طيبة بالمصريين فى إثيوبيا ومصر.

+ وفى ١٩٤٦/٥/٦ وصل وفد إثيوبى آخر ليشارك لأول مرة فى انتخابات (١٢) البابا الجديد، ضم أربعة عشـر عضــوا، علمانيين هما بلاتا/ مرسى هزن وفيتــوراري/ تفسا هبت ميكايل، والإتشيجى وأحد رؤساء الأديرة وستاً من رجال الدين وأربعة من الرهبان رشحهم الإمبراطور للأسقفية.

+ وفى ١٩٤٦/٥/٢٨، وبعد رسامة البابا يوساب الثانى، استؤنفت المفاوضات بين تفسا هبت ميكايل ووفد قبطى برآسة البابا ويضم القمص إبراهيم لوقا وكيل البطريركية وسابا حبشى. وكانت رسامة الأساقفة الجدد هى الموضوع الرئيسى، وكانوا حسب قرار سابق للمجمع المقدس خمسة من الإثيوبيين وقبطيين. ولكن تفسا اعترض على رسامة القبطيين. فاجتمع المجمع المقدس والمجلس الملى معا فى ١٩٤٦/٦/٣ لإصدار قرار استشارى حول الموضوع. فأيد الاجتماع القرار السابق. واعترض تفسا للمرة الثانية وهدد بالعودة إلى بلاده. فاجتمع المجمع والمجلس مرة ثانية وتقرر فى اجتماعهما تأجيل رسامة الأسقفين القبطيين إلى وقت لاحق يحدد مع الإمبراطور، ورسامة الإثيوبيين الخمسة فورا بعد أخذ التعهد عليهم. ولكن تفسا رفض موضوع التعهد وهدد ثانية بالعودة إلى بلاده.

وتحول موضوع التعهد إلى أزمة حقيقية لم يحسمها تدخل إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء. فقد أكد البابا يوساب أن قرار توقيع الأساقفة على التعهد أقرته الأغلبية طبقا لقوانين الكنيسة ولا رجوع عنه. وأمام هذا التصميم عاد تفسا إلى بلاده معلنا تجميد العلاقات بين الكنيستين! بينما بقى الرهبان الأربعة فى القاهرة.

وصدرت أربعة بيانات حول المفاوضات وقضاياها المحورية وتطوراتها: واحد عن الحكومة المصرية، وثان عن المجمع المقدس، وثالث عن المفوضية الإثيوبية بالقاهرة، ورابع عن المجلس الملى ردا على بيان المفوضية. وكل بيان، بديهياً، يقدم الموقف من زاويته الخاصة. واستمرت الأزمة عامين تقريبا، تجمد خلالها الموقف وإن كانت المحاولات لإيجاد المخرج لم تتوقف:

(١٢) وقد خضع موضوع اشتراك الإثيوبيين فى الانتخابات البابوية لرسائل متبادلة بين الإمبراطور والقائمقام حول من يحق لهم الاشتراك فيها. واجتمع المجمع المقدس والمجلس الملى فى جمعية عمومية فى ١٩٤٦/٤/٨، تقرر فيها الموافقة على رغبة الإمبراطور فى اشتراك الإثيوبيين فى الانتخابات البابوية على أن يمثلهم المطران والأساقفة والإتشيجى وأربعة وعشرون عضواً يختارهم الإمبراطور.

ـ قام الرأس كاسا بزيارة المفوضية المصرية فى أديس أبابا توجهت على أثرها لجنة قبطية من إبراهيم المنياوى باشا والقمص إبراهيم لوقا إلى أديس أبابا (٤٦/٧/٢٤)، وأجرت مفاوضات مع وفد إثيوبى من الرأس كاسا والإتشيجى وأتو أكلاورك وزير التعليم، على مدى خمس جلسات خلال أكثر من أسبوع، وانتهت بالفشل حين طلب الوفد الإثيوبى عرض قرارات نيقية (٢١ ـ ٨٤) المختلف حولها على مجمع من رؤساء الكنائس خلفاء رؤساء الأساقفة الذين اشتركوا فى مجمع نيقية فى القرن الرابع! أى تدويل القضية +. وعندها غادر الرهبان الأربعة القاهرة عائدين إلى بلادهم.

– وظل الموقف على ما هو عليه قرابة السنة لم تنقطع خلالها رسائل الامبراطور للبابا، وكان يحمل بعضها سابا حبشى أثناء تردده بين العاصمتين. وفى يونيو ١٩٤٧ عبرت إحدى رسائله عن رغبته فى إنهاء الخلاف القائم بين الكنيستين، مما دفع الموقف إلى التحرك إذ تجاوب البابا يوساب بأن عقد اجتماعا للمجمع المقدس تقرر خلاله تشكيل لجنة خاصة من أنبا تيموثاوس وأنبا كيرلس والقمص إبراهيم لوقا تقوم بدراسة المشكلة برمتها. وقدمت اللجنة فعلا تقريرها ومقترحاتها بعد استكمال دراستها. وأشرك البابا عددا كبيراً من نخبة الأقباط لدراستها واجتمع بهم فى البطريركية بالأسكندرية فى ٤٧/٨/١٨. ووافق المجمع المقدس عليها فى اجتماعه فى ١٩٤٧/٨/٢٧.

ـ وسرعان ما دعا الإمبراطور القمص إبراهيم لوقا إلى أديس أبابا لمناقشته فى هذه القرارات الأخيرة. ومن ثم وافق عليها المجلس الإكليركى الإثيوبى، ماعدا القرار الخاص بالنائب البابوى، فى جلسة له فى ١٩٤٨/٣/١.

+ وعاد فيتورارى/ تفسا ولدميكايل إلى القاهرة وأجرى مفاوضات مطولة، وفى تكتم شديد، استمرت ثلاثة شهور مع وفد قبطى مكون من القمص إبراهيم لوقا ونجيب إسكندر ود. مراد كامل، انتهت بالتوصل إلى اتفاق وقّع عليه تفسا عن الجانب الإثيوبى، وأنبا

+ ومما يذكر أنه بعد انضمام إثيوبيا للأمم المتحدة طالب البعض بعرض قضية العلاقة بين الكنيستين على المنظمة العالمية.

توماس سكرتير المجمع المقدس عن الجانب القبطى، والقمص إبراهيم لوقا ونجيب إسكندر ومراد كامل كشهود. وحمله أنبا توماس إلى أعضاء المجمع المقدس فى إيبارشياتهم فوقعوا عليه. وأرسل نصه إلى المفوضية الإثيوبية بالقاهرة. ونص على ما يلى :

أولا : يتم اختيار من يزكى مطرانا طبقا لقوانين الكنيسة من رهبان الأديرة أو الأساقفة الإثيوبيين مع مراعاة الكفاءة والخبرة وحسن السيرة، وبعد اعتماد الإمبراطور. على ألا يرسم أى مطران إثيوبى إلا بعد وفاة أنبا كيرلس.

ثانيا: يظل من حق واختصاص البابا رسامة ووضع اليد على المطران الإثيوبى الذى تنتخبه الكنيسة الإثيوبية ويعتمده الإمبراطور.

ثالثا: يتم اختيار المزكين لرتبة الأسقفية من رهبان الأديرة والكنائس الإثيوبية طبقا لقوانين الكنيسة على أن يكونوا من المشهود لهم بالكفاءة والخبرة والسيرة الحسنة.

رابعا: يخول المطران الإثيوبى رسامة أساقفة إثيوبيين يتولون رعاية الشعب بحسب ما تدعو إليه حاجة الكنيسة هناك. على أنه كلما قررت الكنيسة الإثيوبية رسامة أساقفة واختارت الرهبان المؤهلين لذلك، يرفع هذا القرار إلى البابا مصحوبا بالقائمة ويصدر البابا مرسوما يخول المطران الإثيوبى بالاشتراك مع الأساقفة الإثيوبيين سلطة رسامة الأساقفة الجدد، وينيبه فى وضع اليد عليهم بعد توقيع التعهد الذى يتضمن أن يظلوا أمناء للعقيدة وخدمة قوانين وتقاليد الكنيسة، والاعتراف ببابا الإسكندرية هو باباهم وبطريركهم، وبعدم تنصيب بطريرك.

خامسا: يقوم بمهمة الاتصال بين الكنيستين مندوب من رجال الإكليروس يختاره البابا.

ـ وجاء الإتشيجى ومعه الرهبان الأربعة إلى القاهرة فى ١٩٤٨/٧/٢٤ . ووقع الإتشيجى على الاتفاق بتخويل من الإمبراطور. ووقع كل من الأنبا توماس وأنبا كيرلس (مطران قنا) مفوضين من البابا. وفى اليوم التالى، ١٩٤٨/٧/٢٥ تمت رسامة الأساقفة الخمسة فى احتفال كبير. وأصبح الإتشيجى، أباجورجيوس، الأسقف باسيليوس.

وتبادلت القيادات رسائل التهانى والشكر. وكان من نصيب البابا يوساب الوشاح الأكبر من نيشان سلاسى والرداء الإمبراطورى. كما أقيمت الاحتفالات بالمناسبة فى كل من القاهرة وأديس أبابا.

+ وبعد نياحة أنبا كيرلس الخامس، آخر المطارنة الأقباط فى إثيوبيا، فى ١٩٥٥/١٠/٢٢، جاءت الفرصة الكبرى التى كانت تحلم بها إثيوبيا. فبعد انتخاب أنبا باسيليوس الإتشيجى السابق ليكون مطران إثيوبيا جاء إلى القاهرة مع وفد كبير، وجرى طقس رسامته كأول مطران لإثيوبيا من الإثيوبيين فى الكنيسة المرقسية الكبرى يوم ١٩٥١/١/١٤ فى احتفال كبير وبحضور رجال الدولة والسفراء وممثلى الطوائف وأعيان الأقباط.

والتعبير المفعم حقا بالمعانى بهذه المناسبة جاء من الإمبراطور الذى اعتبر تحقيق الرسامة "مسأله كرامة له ولشعبه". وقد سبق له أن قال بمناسبة رسامة الأساقفة الخمسة "إنه من الضرورى أن تسير عظمة إثيوبيا وتقدمها الحضارى جنبا إلى جنب مع عظمتها الروحية". وكان أبرز ما فى الحدثين كما قال رئيس وزراء إثيوبيا "إنهما تمّا من خلال الرضا المتبادل بين الكنيستين". ويتفق هذا مع قناعة استقرت فى وجدان الإمبراطور الذى سُجّل عنه أنه "لم يشأ أبداً أن يشوه عهده بإعلان استقلال غير قانونى ـ أى من جانب واحد ـ لكنيسته الإثيوبية"، إذ كان يرى ذلك "نقضا لتراث الماضى الطويل ويجعل من الكنيسة الإثيوبية وكأنها كيان ظهر فجأة up start، كالمحدث أو حديث النعمة، فتبهت أصالتها وتتسطح تاريخيتها". كما أنه كان مهتما بالخلافة الرسولية التى تتمثل فى القديس مرقس. ومع أن المتطرفين قدموا البديل حين نسبوا تأسيس كرسى إثيوبيا إلى فيلبس أو الى متى البشير حسب تقليد إثيوبى يشير إلى أنهما أدخلا المسيحية إلى إثيوبيا قبل فرومنتيوس، فقد رفض هذا البديل وأصر على تمسكه بمرقس وبالكرازة المرقسية. ونص الدستور الجديد (الثانى) الذى صدر عام ١٩٥٥ على تبعية الكنيسة الإثيوبية لمبادئ مرقس الرسول، مما يؤكد إصرار الإمبراطور وحكومته على وجوب الإبقاء على العلاقة بين الكنيستين وتجنب أى أسباب لفصلهما.

ويؤكد هذا أن كل ماقيل عن وسطية الإمبراطور هيل سلاسى بين الداعين إلى الاستقلال التام وبين المحافظين الداعين إلى الابقاء على الوضع القائم كما هو status quo كان صحيحـا. وهـو قبل أن يصير ولى العهد تفرى أو الملك تفرى أو الإمبراطور هايل سلاسى، كان شابا يشارك أترابه من الأجيال الجديدة، التى أتيحت لها فرص التعلم فى مدارس الإرساليات والمدارس المدنية التى أنشأها منليك الثانى، تطلعاتها نحو إثيوبيا جديدة تأخذ بأسباب الحضارة والعصرنة التى خطا منليك نحوها بخطوات مهمة. ولم يكن فى ذهنه تفرقة بين الدولة والكنيسة. بل لعله كان يرى فى الكنيسة مدخلا أساسيا نحو ما يصبو إليه من تمدين بلاده لالتحامها القوى بالأمة ولتأثيرها العميق على الشعب، لهذا جعل إصلاحها (١٣) وتطويرها من أولوياته. وأثبت دائما، منذ أن صار وصيا على العرش ووليا للعهد عام ١٩١٦، أنه سابق لعصره. فكثر المتشككون فى نواياه، الذين كانوا فى الواقع عاجزين عن فهمه. وكثر المقاومون له ولبرامجه التقدمية لانغراسهم فى الماضى وعدم قدرتهم على مجاراته.

ولقد أدار المفاوضات مع الكنيسة القبطية بفطنة ومهارة وطول أناة كرجل دولة أريب. وانطلق فيها من احترامه للعلاقات التاريخية التى تربط الكنيستين والتى لا يمكن إنكارها أو

---

(١٣) لهذا أصدر تنظيما جديدا لإدارة شئونها فى مارس ١٩٤٢ نصت مواده الأولى على تنظيم أملاكها وأوقافها وتلك التى وهبت لرجال الدين الذين صار لزاما عليهم أن يدفعوا للكنيسة الضرائب التى تحددها الحكومة. وخصصت خزينة للكنيسة تنشئها الحكومة وتعين موظفيها من أجل إيداع كافة الإيرادات والتحصيلات التى يتم الصرف منها على إدارة الكنيسة وخدماتها وأنشطتها. على أن يشرف على الشئون المالية مجلس من المحافظين برآسة البطريرك. وعمل أيضا على تنظيم جمع التبرعات والنذور وما إليها وإيداع حصيلتها فى خزائن الكنائس. ونصت مواد أخرى على تنظيم شئون الإكليروس من حيث شروط اختيارهم وتحديد أعدادهم فى كل كنيسة حسب احتياجها وربط رواتب لهم. وعمل الإمبراطور على ترجمة الكتاب المقدس وكتب الطقوس إلى الأمهرية، بجانب الجئز، بهدف نشر معرفتها وسط الشعب وكسر احتكار الإكليروس لها. وسعى إلى رفع مستوى الوعظ وخصص له وقت فى الإذاعة. وافتتحت المدرسة اللاهوتية الأولى بإدارة قبطية عام ١٩٤٤ فى أديس أبابا. كما تأسست الإرسالية الأرثوذكسية عام ١٩٦٣ من أجل العمل بين غير المسيحيين ومعها إذاعة خارجية للعالم. وعمل الإمبراطور على التخلص من عادات وتقاليد بالية كان الإكليروس يستغلونها لتدعيم سيطرتهم ومنها ما يتعلق بالجنازات والتذكارات الكثيرة المثقلة للشعب وابتدأ بنفسه حين ماتت قرينته وابنه.

- ومما يذكر له أنه ساعد وليم نجيب ناشد (القبطى) مدير مدرسة التجارة بالعاصمة على تحقيق مشروع الآلة الكاتبة الأمهرية، الذى استدعى تغييرات فى أشكال الأبجدية، وذلك فى وجه مقاومة المحافظين والتقليديين من رجال الكنيسة وغيرهم.

التنكر لها، ومن تمسكه بالمرجعية المرقسية والخلافة الرسولية التى تمثل جذور الكنيسة الإثيوبية وانتمائيتها، ومن وعيه لفلسفة التطور الإنسانى وقدرة الإنسان بل وحتمية خروجه من ماضيه، وليس عنه أو عليه، نحو آفاق جديدة هى بمثابة جسر يعبره نحو المستقبل. ومن احترامه للإنسان مهما كان لونه أو عرقه، وفطرة المساواة التى كانت تستهويه. وشكلت هذه المنطلقات رؤيته لوضع كنيسته ككنيسة مستقلة تعتمد على نفسها وعلى مواردها الروحية والأدبية والتاريخية، داخل أسرة رسولية لاخلقدونية مقدسة. وجعل تحقيق هذه الرؤية هدفه الذى لم يحد عنه حتى تم له ذلك معتمدا أسلوب الخطوة خطوة والتدرج فى تحقيقه لإدراكه صعوبة التخلى عن الموروث والمألوف عند المجتمعات التقليدية المحافظة التى ينتمى إليها.

وطال مخاض الولادة التى تجسد رؤيته لأن الكنيسة القبطية عوّلت على كونها صاحبة حق، وهو حق تاريخى مقرر لم تشأ أن تعطى نفسها فرصة لمناقشته ومراجعته، ودراسة طبيعته وجذوره ومقاصده الأساسية، ومدى ملاءمته لما هو جار فى العالم حولها، بل ومدى ملاءمته للكنيسة والشعب الإثيوبيين. ولهذا لم تتكون لديها رؤية مستقبلية لعلاقة الكنيستين، ولم تكن تملك سياسة واضحة طويلة النفس لمواجهة الموقف الجديد الذى ينازعها فى هذا الحق ويريد تغيره. ومع أنه كان يمثل هاجسا عايشته قرونا فقد بدا وكأنه أخذها على غرة، فجاءت تصرفاتها مجرد ردود أفعال. تتخذ قراراً لتنقضه فى اليوم التالى، فانتقلت فى خلال قرابه عقود أربعة من الرفض التام إلى التسليم التام. وهو تسليم وصفه بعض كتّابنا على أنه تحطيم لتقاليدها ونظمها.

ومهما يكن الأمر، فقد بدت إثيوبيا فى عهدها الجديد ومطرانها من بنيها منسجمة والبيت المرقسى. فالزيارات والمجاملات مستمرة. والدفء ملحوظ. فقد قام ولى العهد الإثيوبى وإحدى أخواته وزوجها بزيارة المقر البابوى وأكدوا على العلاقات الطيبة بين الكنيستين. واشترك المطران الإثيوبى نائبا عن الإمبراطور فى حفل تدشين الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية عام ١٩٥٢ . وأرسل الإمبراطور هدية للكاتدرائية عبارة عن إكليل وصليب من الذهب الخالص وأوانى كنسية أخرى.

ودخلت طرفا فى أزمة تنحية البابا يوساب الثانى عن كرسيه عام ١٩٥٥ . وأصدرت بيانا احتجاجيا عبرت فيه عن ألمها الشديد لأنها لم تدع لحضور المجمع المقدس فى جلسته التى اتخذ فيها قرار التنحية باعتبارها جزءاً من الكرازة المرقسية كما أن البابا هو الأب الروحى المشترك للكنيستين. وأعلنت أيضا عن رفضها لقرار التنحية وتمسكها بباباوية أنبا يوساب. وقدمت فى هذا الصدد حججا ضد القرار مبنية على قرارات مجمع نيقية، وكأنها تنبه الكنيسة "الأم والمعلمة" إلى ما فاتها من علم ومعرفة! وقد سبب البيان صدمة فى الأوساط القبطية حيث جرت قراءته على أنه تدخل إثيوبى فى شأن قبطى محلى، وادعاء منه بحقوق ليست له، ووسيلة للاصطياد فى الماء العكر للحصول على المزيد من الاستقلالية للكنيسة الإثيوبية، بل والتسرب إلى المجمع المقدس القبطى للسيطرة عليه وتوجيه سياسة الكنيسة!

وأرسل المجمع المقدس الإثيوبى وفدا إلى القاهرة لإثناء المجمع المقدس القبطى عن قراره، والعمل على عودة أنبا يوساب إلى كرسيه. فتحولت الأزمة إلى صراع طاحن بين جبهتين: "الجبهة اليوسابية" وتضم فيها الصوت الإثيوبى القوى. و "جبهة الإصلاح القبطى". وأخذت كل جبهة تدعو إلى إجتماعات صاخبة، وتصدر بيانات نارية، وتتوسل بالحكومة المصرية لتحقيق ما تريد. الأمر الذى أساء إلى الكنيسة أبلغ الإساءة. وأظهر وهنها حين استطاع سبعة أساقفة إثيوبيين زائرين أن يبلبلوا قياداتها ويضربوا بإسفين الانقسام وسط شعبها. ولم ينه الأزمة / المأساة إلا وفاة البابا يوساب فى ١٩٥٦/١١/١٣ (١٤).

وفتحت أزمة تنحية البابا يوساب الباب لأزمة حادة أخرى مع الكنيسة الإثيوبية حول لائحة انتخاب البابا الجديدة التى أُعتمدت وصدرت فى ١٩٥٧/١١/٣ . فبعد دراستها قرر المجمع المقدس الإثيوبى عدم الاشتراك فى انتخابات البابا الجديد على أساس أن بنودها لا تحترم حقوق الكنيسة الإثيوبية. مما دفع البطريركية إلى تأجيل الانتخاب. كما قرر المجمع

---

(١٤) أقامت له الدولة جناز الأربعين فى كاتدرائية سلاسى حضره الوزراء وكبار رجال الدولة ورأسه نيافة أنبا يؤنس ودعيت إليه الجالية المصرية التى طلبت منى إلقاء كلمة تأبينية بالنيابة عنها، فألقيتها بالأمهرية وما أن انتهيت من إلقائها حتى تقدم وزير الاعلام وأخذها منى.

- والبابا يوساب كان أول بابا تشترك الكنيسة الإثيوبية فى انتخابه. ويعرفه الإمبراطور ورجال الدولة حق المعرفة فقد اشترك فى تتويج الإمبراطور هايل سلاسى الأول نائبا عن البابا يؤنس التاسع عشر وهو الذى مسحه بالزيت المقدس قبل وضع التاج على رأسه.

المقدس ألا يمضى فى عملية الانتخاب بدون مساهمة الكنيسة الإثيوبية، وأبلغ القائمقام الإمبراطور بهذا القرار.

ـ فقرر الإمبراطور إرسال وفد إلى القاهرة وصلها فى ١٩٥٨/٥/٢٤، وأجرى مفاوضات مطولة كان هدفها كما قال رئيس الوفد ليدج/ أسرات كاسا (إبن الرأس كاسا) "ضبط العلاقة بين الكنيستين التى كانت دائما موجودة وستظل قائمة بينهما إلى الأبد"، والحفاظ على "التعايش السلمى الأزلى المقرون بالسير جنبا إلى جنب على قدم المساواة".

وركزت المفاوضات على موضوع الساعة وقتئذ وهو اشتراك الكنيسة الإثيوبية فى الانتخابات البابوية. وبعد عقد أربع عشرة جلسة من المباحثات الجادة سجل المحضر النهائى اتفاق الطرفين على حذف العبارات التى وردت فى اللائحة الجديدة واعتبرها الوفد الإثيوبى تدل على التفرقة بحيث تساوى عدد أعضاء لجنة الترشيح واللجان الأخرى المتصلة بالانتخاب، كما تساوى عدد الناخبين من الجانبين. أما الترشيح للكرسى البطريركى فقد أصر الأقباط على قصره على الأرثوذكس المصريين فقط. ووافق الوفد الإثيوبى على هذا الشرط بالنسبة للانتخابات الوشيكة وحسب. وتضمن المحضر بندا خاصا بمنح مطران إثيوبيا مركز نائب البطريرك.

وقوبل هذا المحضر برفض شديد من أعضاء عديدين بكل من المجمع المقدس والمجلس الملى على أساس أنه لا يصح إجراء تعديلات فى نظام انتخاب البابا فى غيبته. واشتد التيار الداعى إلى الرجوع إلى اللائحة القديمة، وإلى الإسراع فى عملية الانتخاب بعد ما ظلّ الكرسى شاغرا قرابة العامين. وأخطر القائمقام الجانب الإثيوبى بهذه التطورات.

وتحدد فعلا يوم ١٩٥٩/٤/١٧ موعدا لإجراء انتخابات البابا، ويوم ٤/١٩ لإجراء القرعة الهيكلية. وتمت الانتخابات دون حضور الناخبين الإثيوبيين. وأسفرت القرعة الهيكلية عن اختيار القمص مينا البراموسى. وتحدد صباح الأحد ١٩٥٩/٥/١٠ موعدا للرسامة. وتمت رسامته بدون استجابة الإمبراطور والمطران للدعوة التى وجهت إليهما لحضورها. بل إن الإمبراطور لم يستجب لرسالة شخصية أرسلها له القمص مينا بمجرد اختياره عبر فيها عن محبته وتقديره العميقين له ولكنيسته، ووعد فيها باعطاء الأولوية لدراسة المطالب الإثيوبية بعد رسامته مباشرة.

وبر البابا كيرلس السادس بوعده، وعقد عدة إجتماعات حول القضية الإثيوبية، وقرر إرسال وفد قبطى كبير إلى إثيوبيا للتفاوض يضم الآباء أنبا لوكاس وأنبا بنيامين، واللواء فريد منقريوس عضو المجلس الملى، ود. مراد كامل ود. إدوارد بشرى وإميل دوس وأمين فخرى عبد النور وكمال فهمى حنا. ووصل أديس أبابا فى ١٩٥٩/٦/١ وحظى باستقبال طيب من الجميع وعلى رأسهم الإمبراطور. وأدى مهمته فى تأكيد مشاعر البابا الفياضة نحو الإمبراطورية، وفى توجيه الدعوة لوفد إثيوبى إلى القاهرة من أجل "دراسة تنظيم جديد يمكّن الكنيسة من إنجاز مهامها وتنفيذ مسئولياتها نحو العمل الرعوى والإدارى، والنشاط الاجتماعى المتشعب مع وضع خطوطه والتخطيط له". واتفق أيضا مع المسئولين هناك على رسامة بطريرك للكنيسة الإثيوبية.

ووصل الوفد الإثيوبى إلى القاهرة فى ١٩٥٩/٦/١١ برئاسة أسرات كاسا وعضوية أنبا ثاوفيلس وبلاتا/ مرسى هزن وأتو أببّا رتّا (١٥)، وأعتبر جزء من وفد كبير يضم جميع أقاليم الكرازة المرقسية. وتكوّن هذا الوفد الكبير من البابا رئيسا، ومن أسرات كاسا ممثلا للإمبراطورية الإثيوبية، وأنبا لوكاس ممثلا لإكليروس مصر، وأنبا يؤنس ممثلا للسودان وأوغنده، وأنبا ثوفيلس ممثلا لإكليروس إثيوبيا، وأنبا باسيليوس ممثلا لإكليروس أورشليم، ويوسف سعد وكيل المجلس الملى ممثلا للشعب القبطى، ومرسى هزن ممثلا للشعب الإثيوبى. وانضم إلى الوفد عدد من المستشارين (١٦). ومهمة الوفد الأساسية كانت تنظيم الكرازة المرقسية كأسرة واحدة كبيرة، وتحديد علاقة البابا برؤساء كنائس أقاليم الكرازة، وإنشاء مجمع مقدس عام للكرازة المرقسية. وهى مهمة جليلة نبعت عن فكر تجديدى ورؤية

---

(١٥) كان سفيرا لبلاده فى لندن فى الأربعينيات من القرن الماضى. التقيتُ به على الباخرة من السويس إلى جيبوتى فى طريقنا إلى أديس أبابا. كان ذلك فى يونيو ١٩٤٥، وكانت بصحبته بنات الرأس إيمرو. وتحادثنا طويلا حول الشئون الكنسية وعلاقة الكنيستين. وقد عبر عن تقديره للكنيسة القبطية ودورها فى إثيوبيا. وشدد على أن انتمائية الكنيسة الإثيوبية للأرثوذكسية اللاخلقدونية والكرازة المرقسية راسخة. وتحتاج علاقة الكنيستين إلى النضج والموضوعية والوعى بالمتغيرات، فقد آن للكنيسة الإثيوبية أن تأخذ وضعها وتضطلع بدورها ككنيسة مستقلة تدير شئونها بطاقات أبنائها. وقد صار وزيرا للصحة ومن الشخصيات المقربة للعرش، وعمل معه أحد الأقباط (إسكندر إبراهيم) كرئيس لحسابات الوزارة لعدة سنوات.

(١٦) هم د. مراد كامل للسكرتارية. وعدلى إندراوس وديمترى رزق والأب مكارى السريانى (المتنيح أنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة).

شمولية انتظرت البابا كيرلس السادس ليقدمها ويرعاها. ولو سبقه إليها البابا كيرلس الرابع مثلا لحققت الكثير للكرازة المرقسية، ولجنبتها الهزات، ولقضت على بذور وجذور المشاكل التى نشبت فى علاقاتها مع الكنيسة الإثيوبية. ولا شك أن هذه الرؤية لم تكن وليدة الساعة، بل كانت فكرا يختمر فى ذهن قداسته طوال سنوات تفرده فى نسكه وخلوته، يترامى إلى سمعه ما كان يجرى على ساحة الكنيسة من مفاوضات، يصاحبها الكثير من التشنجات ومن الصخب، ومن الانقسامات وسط الشعب، ومن التشهيرات والاتهامات. مما أدى إلى اهتزاز صورة الكنيسة القبطية، وخلّف مرارات دون أى داع.

وكان الآب مكارى السريانى (المتنيح أنبا صموئيل) واحدا ممن أعدوا لاجتماعات الوفد الكبير وساهموا فى أعماله. وقد منح وسام نجمة إثيوبيا بدرجة فارس تقديرا لدوره هذا. ولقد رافق قدسه قضية العلاقة بين الكنيستين فى مراحلها الأولى فى الأربعينيات بحكم وجوده فى أديس أبابا عضوا بهيئة التدريس فى المدرسة اللاهوتية. ولاشك أنه كان يشاطر قداسة البابا رؤيته المباركة والحلول التى تم التوصل إليها. فقد كان القمص مينا السريانى أباه الروحى منذ رهبنته فى كنيسة مارمينا بمصر القديمة فى أبريل ١٩٤٨ حيث قضى ثلاث سنوات قبل أن يندمج فى سلك الرهبنة فى دير السريان. ويدل هذا على تطور عميق فى تفكيره وتوجهاته إذ كان قبلا من أشد المقاومين لأى تنازل للكنيسة الإثيوبية [(١٧)]. وكان وثيق الصلة بالمتنيح أنبا كيرلس الخامس مطران إثيوبيا ويتفق معه فى أرائه ومواقفه من المطالب الإثيوبية باعتبارها تنبع من قلة لا ينبغى الاعتداد بها وهى الأفكار التى كانت

(١٧) كان من رأيه أن تبقى الكنيسة الإثيوبية على تبعيتها، وأن تتمسك الكنيسة المصرية بوضعها "الوصائى" عليها وعلى شعبها من أجل صالح الكرازة المرقسية. كان وقتها علمانيا باسم "سعد عزيز"، وعشت معه تحت سقف واحد عدة شهور بعد انضمامى إلى هيئة التدريس بمدرسة سلاسى اللاهوتية فى العام الدراسى ١٩٤٦/٤٥ وتعلمتُ منه الكثير فقد كانت وداعته وطيبة قلبه جزءاً من طبيعته السمحة. وكان بيننا حوار طويل حول هذه القضية الساخنة وقتها. واختلفت معه. ويوما اصطحبنا، هو وأنا، المتنيح أنبا كيرلس بسيارته إلى مشارف "منجشا" خارج العاصمة. وكان نيافته وديعا رقيق الحاشية. وجرى الحديث حول موقف الإثيوبيين ومطالبهم فقلت بسذاجة واندفاع شاب العشرين: "وماذا يمنع من الاستجابة لهذه المطالب. إنه بيتهم وهم أعرف به. ومن حقهم أن يشعروا أنه فعلا بيتهم. وأنهم يستطيعون تدبيره. وأنهم الأحق بتدبيره". فنظر إلى نيافته بابتسامة خفيفة ولم يعلق. وخفت أن أكون اندفعت وتجاوزت حدودى فصمتُّ. وعلق سعد عزيز بأن الأمر ليس بهذه البساطة، فهناك تاريخ وقوانين كنسية. ولكن نيافته غيرّ الموضوع وبدأ يطمئن على صحتى وأحوالى. وعدنا من رحلتنا القصيرة إلى دار المطرانية، وباركنى وصلى من أجلى. وبعدها بأيام غادر البلاد نهائيا (فبراير ١٩٤٦) إلى القاهرة.

رائجة وقتها فى الأوساط القبطية، وإن عارضتها قلة فى مصر وأديس أبابا اتهمت "بالعمالة" ومناصرة الخصوم "والتجسس" لحسابهم سعيا وراء المنفعة الشخصية! (١٨)

واستمرت اجتماعات الوفد الكبير ومناقشاته قرابة الأسبوعين (٦/١٣ ـ ١٩٥٩/٦/٢٥) وانتهت إلى اتفاق كامل حول بروتوكول تم توقيعه فى ختامها، وعرف فيما بعد ببروتوكول ١٩٥٩ . ونصت المادة الرابعة منه على ترفيع مطران إثيوبيا إلى مركز "بطريرك جاثليق". وحددت المادة الخامسة رسامته وتنصيبه بواسطة بابا الأسكندرية. ومنحته المادة السادسة حق رسامة مطارنة وأساقفة مع ضرورة توقيعهم على تعهد كتابى قبل رسامتهم.

ورشح الإمبراطور أنبا باسيليوس مطران إثيوبيا لشغل كرسى بطريرك إثيوبيا. ووصل القاهرة فعلا واستقبل استقبالا حاراً. وتحدد يوم ١٩٥٩/٦/٢٨ لتنصيبه. وقام البابا كيرلس السادس برسامته بمشاركة المطارنة والأساقفة الأقباط والإثيوبيين، وبحضور الإمبراطور، ورجال الدولة وأعيان الأقباط. وبعد رسامته حلف يمين الولاء أمام الإمبراطور فى قصر القبة. وهكذا حقق البابا كيرلس حلم إثيوبيا الكبير إذ صارت بطريركية وتمتعت كنيستها باستقلالها الذاتى وببطريرك جاثليق من أبنائها. وانتهى ماراثون المفاوضات الطويل نهاية سعيدة للإمبراطور ولأجيال إثيوبيا الجديدة ولكل من تمنوا استمرار العلاقة الوطيدة بين الكنيستين. وهو ماراثون كان يمكن اختزاله فى لحظة مثل تلك اللحظة المجيدة التى قررها البابا القديس، والتى بلغها من رؤية جليلة للكرازة المرقسية كأسرة واحدة تتكون من أقاليم عدة منها مصر ومنها أيضا إثيوبيا. ومن هنا ندرك أن الأعمال العظيمة كثيرا ما تكون تجسيدا لرؤى عظماء أو قديسين يتميزون بالتجرد وصدق الحس ويقظة الوعى. وقد علق على هذه الخاتمة المباركة بلاتا/ مرسى هزن من علماء الكنيسة الإثيوبية وأحد وزراء البلاد بقوله "لقد ساعدت شخصية البابا كيرلس السادس المتواضعة والمتوازنة على ترطيب الجو والاتجاه نحو المصالحة".

---

(١٨) راجع كتاب "الاستقلال الذاتى لكنيسة إثيوبيا" فقد حوت صفحاته الكثير عن الأقباط فى أديس أبابا وكيف انقسموا حول المطالب الإثيوبية بين معارضين وموالين، وأن الموالين كان همهم المنافع الشخصية. كما أشارت إلى الأقباط فى مصر وإلى الفصيل المؤيد باعتباره أيضا فصيلا إنتهازيا يسعى وراء مصالحه. لم يستطع المؤلف أن يرى فى المؤيدين قوما واقعيين موضوعيين طليعيين بمعنى أنهم رأوا ما لابد أن يكون وما يجب أن يكون.

ـ ٢ ـ

ماذا لو ... ؟

"لو" لغويا حرف يعبر عن "امتناع الوجود"، أى عدم وجود شئ لوأنه وجد لتغيرت الأوضاع أو النتائج. ويستعمل عادة بعد ما يكون "اللبن" قد انسكب وتبدد.

"ولو" تكون أيضا للتمنى، أى تمنى شئ يكاد يكون مستحيلا مثل "لو يعود الشباب"، أو لو يعود الماضى فنغير طرق تناولنا للأمور ونعيد كتابة التاريخ بأحرف جديدة! ولهذا فالأمور تبقى كما هى ونبقى نحن على غفلتنا.

وتتردد "لو" كثيراً على البال والوجدان كلما عادت قضية علاقتنا بإثيوبيا إلى الذاكرة أو ظهرت على مسرح الأحداث. فإثيوبيا كانت "وزنة" ضخمة إئتمن الرب الكنيسة القبطية عليها بمحض "الصدفة" الإلهية المباركة. وجاهدت الكنيسة للاحتفاظ بهذه الوزنه "والمتاجرة" بها فى حدود إمكاناتها على مدى قرون عدة بلغت ستة عشراً. وتقيدت بالقانون النيقاوى (١) الذى ينظم علاقتها بها، وقيدتها هى أيضا به، وبدت علاقة "التبعية" وكأنها غاية فى حد ذاتها. أو كما قال أحدهم "لقد جعلنا من القانون النيقاوى المرجعية الأولى والأخيرة التى تنظم علاقات كنيستينا. شكلناه **تقليدا** صلبا أصم وغلفناه وطمرناه فى مرقد مقدس. وأقمنا فوقه مزارا مقدسا، نحج إليه بالزهور كلما نجحنا فى حمايته، ونسرع إليه بالبخور والتمتمات كلما تهددته رغبات جامحه تبغى اقتلاعه من مرقده".

وفجأة أطفأنا أنوار المزار، وأسدلنا عليه الستار، وحاولنا تناسى ما ترتب على تقديسه من آثار! حدث هذا فى أعوام ٤٦ ، ٤٧ ، ١٩٤٨ حين قرر المجمع المقدس "أن يمطرن الإثيوبيون لأنفسهم مطرانا من جنسهم"، على أن يكون ذلك بعد نياحة مطرانها أنبا كيرلس الخامس. ثم تكرر عام ١٩٥٩ حين صدر عن المجمع المقدس بروتوكول يعطى للإثيوبيين الحق فى أن "يبطركوا لهم بطريركا من جلدتهم".

---

(١) نص على أن الحبش لا يقام عليهم رئيس كهنة من علمائهم ولا باختيار منهم فى أنفسهم بل يكون تعيينه من قبل بطريرك الأسكندرية، ولا يحق له تعيين أساقفة".

نسينا القرار المقدس وحكمة الآباء الثلثمائة والثمانية عشر. وتندر البعض عنه قائلين إنه كان أشبـه بالأسطـورة التـى مضـى زمـانها. وفلسف آخرون الموقف وقالوا قد تجاوزه الزمن (٢).

و "التقليد" قضية فى غاية الأهمية والحساسية. احترامه واجب. وفهمه وتفهمه واجب أيضا. وتحليله فى إطار المستجدات والمتغيرات للوقوف على مدى ملاءمته واجب أوجب. ولقد واجه السيد المسيح قضية "التقليد" باعتباره عقبة وحائلا دون تقبل الجديد، أو التوجه نحو ما هو أفضل "قد جئت لكى تكون لهم حياة ويكون لهم أفضل. يو ١٠ : ١٠". وحذر من تحوله إلى مدخل نحو "تعدى وصية الله. مت ١٥ : ٣". وكان مفهوم حفظ السبت واحدا من نقاط المواجهة الحادة حول التقليد، فحسمها السيد بتأكيده أن "السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت. مر ٢ : ٢٧". فالإنسان ومجتمع الإنسان واحتياجاتهما تأتى أولا.

وغنى عن البيان أن التمسك "بالتقليد" أمر وجيه، ومريح أيضا. إنه كطرق المرء للدرب المعهود والمألوف وعدم المجازفة بسلوك طرق جديدة بمخاطرها ومجهولها. ولكن المجازفة كثيرا ما تكون مطلوبة من أجل الانطلاق إلى آفاق أرحب. من أجل ذلك نرى السيد المسيح يقف فى وجه "التقليد" وينعى أسراه الذين يقفون فى وجه حركة التاريخ الإنسانى والفكر الدينى المستنير. عقبة كأداء. لا يدخلون ولا يدعون الذين يريدون الدخول أن يدخلوا (مت ٢٣ : ١٣). وقد يسارع من سمعه يقول للسامرية إنه "لا فى هذا الموضع ولا فى أورشليم ينبغى السجود يو ٤ : ٢١" إلى اتهامه بالتنكر لقدسية الأماكن وأنه لا يعطى وزنا لما ندعوه نحن بيوت الله، وكأنه يكرس عبادة الطرقات والحوارى. مع أنه رمى إلى

(٢) أما الإثيوبيون فشككوا فى صحته، ووصمه البعض بالتزييف وأنه أضيف بمعرفة البابا غبريال الثانى واستعانت به الكنيسة القبطية لتفرض سيطرتها على كنيسة إثيوبيا وبيعها. وقيل أيضا إن "التزوير" تعمده إبن العسال مؤلف "فته نجست" الذى وصل إثيوبيا فى عهد الإمبراطور زارياكوب وبدأ العمل به أيام الإمبراطور سرسادنجل (١٥٦٣ ـ ١٥٩٧). وقال د. زاهر رياض إن قرارات نيقية كانت عشرين فقط وما زاد كان "مدسوسا" ومنها القرار ٢٤ الذى يفرض تبعية الكنيسة الإثيوبية والدليل على أنه تزوير هو أن انعقاد مجمع نيقية فى ٣٢٥ كان سابقا لدخول المسيحية فى إثيوبيا. (كنيسة الاسكندرية ص ٨٨).

التحرر من قيد المكان وقيد الزمان ومن كل قيد غبى يصنعه الإنسان توطئة للانطلاق والتحرر من قيد الجسد وأوهام الوجدان.

ولنبدأ بالسؤال الأول: **ماذا لو تفهمنا احتياجات الكنيسة الإثيوبية الفعلية فى أوقاتها**، وسارعنا إلى تلبيتها بكرم وكرامة؟ ولقد توافرت فعلا فرص عدة لمثل هذه المبادرات النبيلة منها:

+ واحدة فى القرن التاسع عشر حين طلب الإمبراطور يوهنس الرابع ثلاثة أساقفة أقباط مساعدين للمطران الجديد. ويوهنس كان إمبراطورا عظيما ومصلحاً له إلهاماته، وكان مهتما بمستقبل بلاده الذى ربطه بمستقبل كنيسته نفسها وبسلامة عقيدتها، خاصة بعد قرون الصراع اللاهوتى الداخلى الذى مزق البلاد والكنيسة معا. وقام فعلا بتقسيم البلاد إلى أربع إيبارشيات من أجل حسن الرعاية وانتظام التعليم، ودعم العمل الكرازى. وانتظر مجئ المطران والأساقفة الثلاثة ليتسلموا إيبارشياتهم. وظل يكتب لمصر على مدى سنوات ويرسل الهدايا والمال والبعثات. والبطريركية تماطل [٣]. وبعد سبع سنوات عجاف إستجابت وأرسلت أنبا بطرس مطرانا ومعه ثلاثة أساقفة مساعدون هم متاؤس ولوكاس ومرقس. وأرسلت معهم بعض الهدايا من بينها ألف بندقية قدمها الخديو. ولم يأت ذكر لكتب للتعليم والبنيان الروحى أو أوانٍ كنسية تنفع أو تحفظ للذكرى والتاريخ. وإن كانت زودتهم بقوانين سبعة، يهدد أولها من لا ينفذها أو يحرفها بالحرم. ويؤكد الثانى مكانة وعظمة التقليد النيقاوى، والثالث التبعية الدائمة لكنيسة إثيوبيا للكرسى المرقسى.

+ وقبل هذا بسبعة قرون كانت هناك فرصة أخرى حين طلب الإمبراطور هايلى من المطران أنبا ميخائيل، الذى رسمه البابا مكاريوس الثانى أوائل القرن الثانى عشر، أن يرسم أكثر من أسقف لمساعدته فى مسئولياته الواسعة بعد ما تقدم فى العمر. وحددت بعض المصادر عدد الأساقفة المطلوبين بسبعة، وحددتها مصادر أخرى بعشرة، وإن كانت إيريس المصرى سجلت أن الطلب كان لأسقف واحد. ولما أكد أنبا ميخائيل أنه لابد من استئذان

(٣) وفسرت هذه المماطلة على أنها كانت محاولة للضغط على الإمبراطور لاتخاذ موقف سياسى وعسكرى معين بالنسبة للدولة المصرية، أو عقد معاهدة صلح معها. مما يعنى تورط الكنيسة فى أمور ليست من شئونها وتمس المصالح الإثيوبية العليا.

البابا أولا أرسل الإمبراطور رسولا عاجلا إلى الخليفة ومعه إلتماس للبابا. وحول الخليفة الحافظ الالتماس إلى البابا وطلب منه أن يحقق رغبة الإمبراطور. فما كان منه إلا أن ذهب إلى الخليفة بنفسه وقال له "لو استجبت لطلبه فسأعجل بيوم إنفصال الكنيسة التى بنيناها بكل فخر"! واقتنع الخليفة برأى البابا. وسارع البابا بإرسال مبعوثه إلى الإمبراطور برسالة توضيحية. ولما عاد المبعوث إلى مصر قال إن الخراب الذى نتج عن القحط والوباء جعل الإمبراطور يخضع للقرار ويطلب فى رسالته للبابا أن يحله ويرسل له بركاته.

+ وقدم القرن العشرون فرصة أخرى حين طلب الرأس تفرى مكونن، الذى صار ولى العهد عام ١٩١٦، من البابا كيرلس الخامس مطرانا ومعه عدة أساقفة، لكى يحقق بهم ما كان يطمح إليه من إصلاح كنيسته والنهوض بها. وقيل إن البابا كان متجاوبا للصلة الطيبة التى كانت تربطه بولى العهد، ولكنه تنيح عام ١٩٢٧ قبل أن يحقق شيئا من طلب تفرى مكونن.

+ ويشير أحد كتّابنا إلى فرصة ذهبية أتيحت لكنيستنا أثناء الاحتلال الإيطالى (١٩٣٦ ـ ١٩٤١) الذى قام بفصل الكنيستين فعلا. ويقول إنه ما كان ينبغى لكنيستنا أن تكتفى بتوقيع الحرم على قيادات الكنيسة الإثيوبية التى أقامتها السلطات الإيطالية، بل كان الواجب يدعوها أن تقوم برسامة بطريرك وأساقفة إثيوبيين من الموالين لبلادهم وللسلطة الشرعية (٤) تناهض بهم القيادات "المغتصبة" والمحرومة، وتفتح بهم قنوات مع الشعب الإثيوبى نفسه، تشدد من عزمه ونضاله وتثبته فى عقيدته وتدعمه روحيا وماديا. وما كان هذا التصرف ليحسب بدعا من جانب الكنيسة القبطية بل استباقا منها للأحداث، فقد استقلت كنائس أرثوذكسية أخرى فى شرقى أوروبا عن كنيسة إنطاكية الأم دون أية حساسيات.

ويؤكد الكاتب نفسه ومعه آخرون أن الخطأ ـ أى خطأ الكنيسة القبطية ـ كان منذ البداية، وذلك حين اعتبرت إثيوبيا ذات المساحة المترامية والعدد السكانى الكبير بتنوعه العرقى والثقافى إيبارشية واحدة كإحدى إيبارشيات مصر مثل الأقصر أو أسوان مثلا.

---

(٤) د. انتونى سوريال عبد السيد، الاستقلال الذاتى لكنيسة إثيوبيا ص ٢٢٥.

وتدعم هذا الخطأ بخطأ آخر تراكم مع مر العصور، وهو الاكتفاء بمطران واحد يحمل وحده مسئولية ضخمة تحتاج لعشرات مثله. ولا يدرى المرء كيف غابت عن كنيسة كانت كارزة فى صدر حياتها، وتعرف أهمية التعليم فى بناء المؤمنين، وبناء الكنيسة ذاتها ونشر الكلمة، حقيقة لا تقبل الجدل وهى عدم قدرة مطران واحد غريب عن البلاد ويجهل عاداتها ولغتها أن يضطلع وحده بمهمة التعليم الحيوية هذه. علما بأنها واحدة من مهام أخرى لا تقل جسامة. فلا عجب أن تبارى الكتاب، من أقباط وأجانب، فى كشف التقصير البالغ الذى وقعت فيه الكنيسة القبطية، على مر العصور، فى التعليم الدينى والثقافة الروحية.

وفوق ذلك ثبت تكرارا أن باباوات الإسكندرية واجهوا صعوبات بالغة فى اختيار الراهب المناسب ليكون مطرانا لإثيوبيا (٥). لأن الرهبان كانوا يتهيبون الذهاب إلى بلاد بعيدة يقضون فيها العمر كله وكأنه نفى لهم. مع أنهم خرجوا من العالم وماتوا عنه لهذه الغاية بالذات، أى خدمة سيدهم فى أى مكان وتحت أية ظروف. فتهربهم يدعو للأسف لأنه يدل على غياب الوعى بالعمل الكرازى والمفهوم المسيحى للعطاء حتى الدم، والانخراط "بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا. ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينا بالخزى. عب ١٢ : ٢".

---

(٥) فمثلا واجه البابا يؤنس السادس (١١٨٦ ـ ١٢١٦) مأزقا من هذا النوع، واضطر أن يرسل أسقف فوة، أنبا ميخائيل، ليكون مطرانا لإثيوبيا. وللأسف هرب إلى مصر بعد خمسة أعوام، واختلق سببا لهروبه. ولما تقصى البابا الحقيقية اكتشف أن المطران أمر بضرب شخصية كبيرة حتى الموت بسبب شكه فى أنه سرق قضيب ذهب من الخزينة التى كانت فى عهدته.

وتكرر الموقف مع البابا كيرلس الخامس حين حاول إجابة طلب الإمبراطور منليك الثانى برسامة أسقف لمملكة (إقليم) جودجام. وجاء فعلا وفد كبير من إثيوبيا لهذه الغاية ومعه رسائل وهدايا وكانت مظاهرة كبيرة للكنيسة القبطية. ولكن البابا ورجاله عانوا كثيرا فى إقناع الراهب المناسب بقبول الرسامة رغم وعده أن يسمح له بزيارة مصر من وقت لآخر على نفقة البطريركية. ولما وفقوا فى النهاية كان حفل رسامته مظاهرة شعبية ورسمية كبرى حضرها رئيس النظار واللورد كرومر وكبار رجال الدولة. وكان الأسقف يوحنا رجلا مثقفا يجيد عدة لغات وحظى بحب القيـادات التى التفت حـوله. ولم يمكث طويلا لأن منليك أعفاه من منصبه وقيل إن أنبا متاؤس كان وراء ذلك لأنه شعر بخطورته عليه وعلى مركزه وشعبيته!

ولم تنبه هذه الأوضاع القيادات الكنسية القبطية للعمل على استنباط العلاج المناسب لمستقبل الخدمة والرعاية الدينية والروحية فى الكنيسة الإثيوبية:

ـ كأن يُؤسس مركز للدراسات الإثيوبية فى مصر بإشراف أساتذة إثيوبيين، يلتحق به الرهبان والعلمانيون الراغبون للتخصص فى هذه الدراسات واتقان اللغة الأمهرية.

ـ أو يُؤَسس مركز للرهبان والشباب الإثيوبى، تستقبلهم فيه الكنيسة القبطية وتشرف على تعليمهم وتدريبهم وإعدادهم لخدمة بلادهم +.

ـ أو تؤسس ثلاثتها معا كبرنامج متكامل.

للأسف لم يتحقق شئ من هذا رغم أن الحدود كانت مفتوحة وحركة الرهبان الإثيوبيين لم تتوقف. فبعد دخول المسيحية فى إثيوبيا دأب الحجاج الاثيوبيون على زيارة مصر فى طريقهم إلى الأراضى المقدسة ذهابا وعودة.

وواصلت الكنيسة القبطية سياستها التى قامت على الاعتماد على المطران "اليتيم" ++ الذى كانت ترسله ليتاجر بالوزنة الكبيرة التى أعطاها السيد لها. وكان من بين المطارنة الذين أرسلوا رجال عظماء حقا، اتسعت "تجارتهم بوزنتهم" وحفروا لأنفسهم أسماء وذكرى مازالت ماثلة بقوة فى الذهن الإثيوبى إلى اليوم (٦). ويعود إليهم كل ماهو كائن الآن فى اثيوبيا من صور الأرثوذكسية القبطية وثقافتها الراسخة فى الحياة الإثيوبية.

---

(٦) وطبيعى كان هناك مطارنة فشلوا وقدم بعضهم صورة سيئة من حيث تصرفاتهم الشخصية أو من حيث مدى كفاءتهم وتقديرهم لمسئولياتهم. والعيوب المشتركة هى عدم الإلمام باللغة فلم يكن الوعظ والتبشير من مهامهم ولم يهتموا بإقامة احتفلات دينية فى الأرياف. ويرسمون شمامسة وكهنة صغار السن قليلى المعرفة والخبرة.

+ ويبدو أن هذا ما فعله البابا يوساب الأول (٨٣١ - ٨٤٩)، حسب رواية للأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الملقب بابن المقفع، فقد استقدم قداسته أعدادا من مسيحيى النوبة وإثيوبيا إلى مصر لتعليمهم وتثبيت إيمانهم.

++ البابا يؤنس الثالث عشر خرج عن هذه القاعدة وأرسل أنبا إسحق مطرانا ومعه الأسقف مرقس ليخلفه بعد وفاته، وأرسل معهما مساعدين هما أنبا ميخائيل وأنبا يؤنس وكاهن هو القمص يوسف. والبابا غبريال السابع أرسل المطران يوساب الأول عام ١٥٤٧ ثم أرسل بطرس عام ١٥٥١ ليساعد يوساب ويخلفه.

ـ ويقول الإثيوبيون إنه فى عهد البابا يؤنس السادس (٧٤/ ١١٨٨ - ١١٢٦) كان بالكنيسة ثلاثة أساقفة إثيوبيون يعاونون المطران أنبا ميخائيل وهم الآباء عزرا وصموئيل ويرداميكايل، ورسم رابع باسم أنبا جيروم.

ورغم أهمية هذا المطران فقد تعرض إرساله لفترات توقف متعددة كما ذكر آنفا (٧). من بينها واحدة بارزة فى تاريخ العلاقات لأنها استمرت عدة عقود امتنع خلالها أربع باباوات عن رسامة مطران جديد "عقابا" للإثيوبيين على سوء معاملتهم للأنبا بطرس الأول، وتجذّر هذا التصرف فى الذاكرة الإثيوبية باعتباره صورة من صور العقاب الجماعى الذى اختلت فيه معايير العدالة والرحمة معا. لأن ما حل بأنبا بطرس وعوقبت إثيوبيا كلها بسببه حدث بسبب عملية نصب كبيرة قام بها راهبان قبطيان مزيفان! (٨)

السؤال الثانى: **ماذا لو سبقناهم** وتقدمنا عليهم خطوة أو خطوات، وعرضنا نحن عليهم أن يبدأوا هم فى تحمل مسئولية أنفسهم بأنفسهم؟ ولاحت فعلا بعض الفرص كى تخطو الكنيسة هذه الخطوة الشجاعة:

ـ عندما تفهم البابا كيرلس الخامس احتياجات الكنيسة واستجاب عام ١٨٨١ لطلبات الإمبراطور ورسم ثلاثة أساقفة مساعدين للمطران القبطى. فلو أنه أعرب من جانبه عن استعداده لرسامة عدد مماثل من الأساقفة أو الإيبسكوبس الإثيوبيين لمساعدة الأساقفة الأقباط فى إيبارشياتهم، ولو من جهة اللغة، فلربما تشكلت "توليفة" جديدة من الخدام النشطاء، وتخلقت روح الفريق مبكرا بين عمال أو "فلاحى" الكرازة الواحدة، ولتمهد السبيل لأبناء إثيوبيا أن يحتلوا مكانهم فى خدمة كنيستهم بأنفسهم. ولأدت هذه الخطوه ـ لو أنها تحققت ـ إلى تفهم توجهات الرأس تفرى مكونن (١٩١٦) ـ هايل سلاسى الأول لاحقا ـ الخاصة بتطوير كنيسته واستقلاليتها.

ـ بعد نياحة أنبا متاؤس عام ١٩٢٦ كان بإمكان البابا يؤنس التاسع عشر أن يبادر من تلقاء أبوته بتحقيق رغبة الملك تفرى مكونن قبل أن يطلبها بنفسه، ويعمد المجمع المقدس إلى اتخاذ القرار الذى صدر فعلا عن المجمع المقدس عام ١٩٥٩ برئاسة البابا كيرلس السادس، فيكون لإثيوبيا بطريرك جاثليق من أبنائها. ولو حدث هذا لتغيرت أمور كثيرة

---

(٧) أنظر ص ١٣٨ من الكتاب

(٨) كان إسم أحدهما ميناس من دير أنبا أنطونيوس والآخر فيكتور (بقطر). طلبا من أنبا بطرس مالا فرفض. فقاما بتزوير خطاب من البابا قزمان يقول إن أنبا بطرس منتحل الوظيفة ويجب أن يحل محله ميناس. وانتهى الأمر بعزل بطرس فعلا وتم نفيه واحتل ميناس الكرسى. ولما كشفت اللعبة أُعدم ميناس وأستدعى بطرس ليحتل مكانه ولكنه كان قد مات فى منفاه.

ولانتفت مشاكل عديدة، منها على سبيل المثال:

● محنة الأنبا كيرلس الخامس، إذ ربما بقى الرجل راهبا فى ديره الأنبا أنطونيوس، أو اختاره الرب لمهمة أخرى. فقد اصطدم فى أيامه الأولى من حبريته بالإصلاحات التى أدخلها الملك تفرى فى الكنيسة، والتى أدت إلى تقليص سلطاته، خاصة المالية، واصطدم بسببها مع الإمبراطور نفسه وغادر كرسيه بسببها إلى القاهرة. ثم أحاطت به كارثة الاحتلال الإيطالى وضاعفت من محنته. وتعرض للهجوم من كل جانب، قال البعض إنه لم يكن الرجل المناسب للحقبة التاريخية التى عاصرها. وذكر أحد كتابنا أن هايل سلاسى عمل على اختيار مطران قبطى "ضعيف إداريا" ليسهل تطويعه. وليس معروفا كيف نجح الإمبراطور فى ذلك فهو لم يعقد مسابقة بين المرشحين للمنصب ليختار الفاشل، ولا نعلم إن كان استعان بالعرافين والمنجمين. وقيل عنه أيضا إنه كان ينقصه الكثير من قدرات متاؤس سلفه الذى ظل "شبحا" يعيش فى ظله، يقارن بين ما وصل إليه من سلطة وامتيازات وما حل به هو، ويحرضه به الذين حوله ليكون مثله أو يفوقه. فأرتبكت حياته وخدمته.

● ولوفرت الكنيسة، فوق ذلك، ثلاثة عقود من المفاوضات الشاقة دأبت خلال مراحلها على أن ترفض فى مرحلة ما تعود وتقبله فى مرحلة لاحقة. وكانت تتحسس طريقها فى جو مشحون بالتشنج والعصبية وانفلات الأعصاب، دون خريطة مرسومة أو سياسة مدروسة.

● ولأتيحت لنا الفرصة لكسب احترامهم لنا باعتبارنا أمناء على الرسالة فوق كل اعتبار آخر، ولكسبنا عندئذ ثقتهم الأمر الذى كان من شأنه أن يمهد الطريق ليفتحوا لنا قلوبهم ويلجأوا إلينا كلما واجهتهم مشاكل أو احتاجوا إلى المشورة والرأى أو إلى الدعم.

- وعادت الفرصة وقدمت نفسها عام ١٩٤١ ، بعد تحرير إثيوبيا وعودة الإمبراطور منتصرا، وباتت المناسبة جديرة بتقديم بعض هدايا الانتصار، كأن يبادر البابا برسامة الإتشيجى الذى رافق الامبراطور فى منفاه أسقفا مع وعد بترفيعه إلى رتبه مطران فى الوقت المناسب ورسامة عدد آخر من الإثيوبيين أساقفة لمساعدة الإمبراطور والمطران على مواجهة الأوضاع المستجدة بالبلاد وتخليصها من جماعة الإكليروس التى فرضها الاحتلال.

فوتنا هذه الفرص تباعا، وغيرها من قبل، واخترنا طريق "الصراع" التفاوضى فى مواجهة مفاوض مناور ودبلوماسى من طراز رفيع، يعرف ما يريد منذ البداية، وأعلنه بوضوح منذ الوهلة الأولى، ولعب بكل الأوراق التى تربح. واستغل فريقه المفاوض الرفض القبطى والإصرار عليه بذكاء، وذلك باستغلاله مادة للدعاية وسط شعبه ضد "التعنت" القبطى وتشبيه الطرف القبطى بفرعون لا يهمه إلا التسلط والتحكم.

ولـلأسـف إنـدفعـت أقـلامنـا تـؤكـد أن المطـالـب الإثيوبية ما هى إلا مؤامرة أحكم هايل سلاسى حبكتها لتستقل كنيسته ويسيطر هو عليها حماية لعرشه وتأكيدا لسلطانه. لذلك فرح البعض فى نكبته حين هزم أمام الإيطاليين عام ١٩٣٦ وفر هاربا خارج بلاده كالمذعور. وزاد الشامتون فيه حين اقتلع من عرشه عام ١٩٧٤ وجرجره عساكر الانقلاب كالمتسول.

وكشـفـت أقـلامنـا عن جهلها بتاريخ العلاقات بين الكنيستين حين اعتبرت محاولة هايل سلاسى الاستقلالية هى الأولى من نوعها، مع أنه حافل بسوابق (٩) لم يصل إلينا منها إلا القليل إما لأنه أهمل تسجيلها أو ضاعت سجلاتها. ومن أهم هذه المحاولات ما حدث أيام الإمبراطور زاراياكوب (١٤٣٤ - ١٤٦٨) وابنه بائدمريم (١٤٦٨ - ١٤٧٨). فبعد موت المطران ميخائيل الثالث ظل الكرسى شاغرا ثلاثا وعشرين سنة لم يطلب أى منهما بديلا من مصر كما هى العادة. وعقد بائدمريم سنودسا ضخما عام ١٤٧٧ حضره عدد كبير من أحبار الكنيسة لكى يقرروا مصير العلاقة بين الكنيستين. فقد اتهم بعض رجال الإكليروس الكنيسة القبطية بأنها "تشوش على الإيمان القبطى وتأكل أطعمة محرمة حسب الناموس"! وطالبوا الشعب أن يختار راهبا إثيوبيا ليمطرن عليهم. ووافق على هذا الرأى أربعمائة من الحاضرين وعارضه ثلثمائة ولكن الإمبراطور إنقاد فى اللحظة الأخيرة لرأى الآب مهراكريستوس رئيس دير دابرالبانوس بالابقاء على العلاقات، وأعد بعثة إلى

(٩) يذكر "تاريخ البطاركة" أنه لما نفت الإمبراطورة أنبا يوحنا الأول (يوهنس) إلى مصر عينت محله مطرانا إثيوبيا الأمر الذى مثل سابقة شاذة. واضطر الإمبراطور زوجها إلى استدعائه فى عهد البابا يوساب الأول بعد ما عانت بلاده مجاعات وأوبئة.

مصر فى طلب مطران جديد ولكن ذهابها تعطل بسبب وفاته وذهبت فى عهد خليفته إسكندر (١٤٧٨ - ١٤٩٤). ورسم للبلاد مطران جديد باسم اسحق الثانى.

وعانت العلاقات ظروفا صعبة فى عهد سوسينيوس (١٦٠٧ - ١٦٣٢) وانتهت بقطعها بعد قبوله الكاثوليكية علنا وصار بيتر بايز الكاثوليكى بطريركا لإثيوبيا. وإن تغير الوضع فى عهد إبنه فاسيليداس. وعانى ثلاثة مطارنة من محاربات سوسينيوس واتهاماته لهم بعلاقات جنسية، هم مرقس الثالث الذى قال عنه أن سلفه سرسادنجل نفاه إلى جزيرة "داق" فى بحيرة تانا بسبب سوء سلوكه الجنسى، وكريستودولو الأول الذى اتهمه أيضا باحتفاظه بمحظيات، وبطرس الثالث الذى اتهمه بإقامة علاقة غير شرعية مع إحدى الزوجات واضطر الى دفع الغرامة المفروضة على من يرتكب مثل هذا الفعل. وهى اتهامات غلب عليها الكيد والتشهير. وقتل رابع هو أبنا سمعان حين انضم إلى زوج بنت سوسينيوس الذى خرج يقاتل صهره بسبب انحرافه العقيدى.

وهايل سلاسى نفسه لم يسلم من اتهام خصومة له بالكثلكة أو على الأقل بمحاباة الكاثوليك، ربما لأنه تعلم فى مدارسها بهرر، أو لأنه شجع إرسالياتها على العمل وفتح المدارس، واستقدم بعثة تعليمية من الجيزويت الكنديين عام ١٩٥٠ قامت بتأسيس كلية هايل سلاسى الجامعية فى أديس أبابا والتى تحولت عام ١٩٦٠ إلى جامعة هايل سلاسى الأول كأول جامعة بالبلاد. وإن كان الرجل قد شجع جميع الإرساليات على العمل وحدد لها مناطق نشاطها، وكانت أغلبها فى الأقاليم التى تنتشر فيها العبادات الإفريقية. وبقى ملتصقا بالكنيسة الأرثوذكسية، فكانت أول بعثة تعليمية استقدمها بعد التحرير مصرية من الأقباط[١٠] وكان أول مستشار لوزارة التربية هو د. مراد كامل الذى أكد فى كتبه ومذكراته مدى التصاق هايل سلاسى بكنيسته المصرية التى للأسف فوتت فرصة إحتضانه "كإبنها البكر أو "إبنها المدلل" الذى يصعب رفض طلباته! ولو فعلت لكسبت ثقته ولوطدت

---

(١٠) وكان المستقبل للإسهام القبطى فى مجال التعليم مضمونا لو أن العلاقات الكنسية كانت مستقرة وتقوم على الانفتاح والتفاهم، والعلاقات السياسية متوطدة وتقوم على الشفافية. وأحسن اختيار المعلم المناسب من جهة الكفاءة وإتقان اللغة الإنجليزية.

معه علاقة عمل ندية ربما مكنتها من أن تعوض من خلالها ما فاتها فى الماضى فتؤسس الإرساليات للعمل داخل البلاد، وتساهم بفاعلية فى مجالات النهضة التى بدأها الرجل ليخرج ببلاده من عصورها الوسطى، بفتح المدارس وإقامة المستشفيات، وتشجيع رأس المال القبطى ورجل الأعمال القبطى على ولوج مجالات النشاط الاقتصادى الإثيوبى فتعم الفائدة على الجانبين(١١). ولفتحت أديرتها للرهبان الإثيوبيين للانضمام إليها والتدرب فى رحابها ولاستقبلت الشمامسة والكهنة فى كلياتها الإكليريكية (١٢) للتزود بالمعارف اللاهوتية بحيث يتشكل جيل من الإكليروس الإثيوبى مشبع بحبها وبروح الانتماء إليها، لأن هذه هى "التبعية" الحقة.

ولأغلقت الباب فى وجه عواصف ظلت تهب طوال المفاوضات، كادت تعصف بكل شئ قائم بين البلدين. واستطاعت فعلا أن توهن من بنية علاقتيهما. فالرفض القبطى كان يفتح الباب للهجمات الإثيوبية فى وسائل الإعلام والاجتماعات العامة فى طول البلاد، والتى لم تكن تخلو من افتراءات وتجريح ومهاترات. والضغط الإثيوبى وطلباته من جانبه يفتح الباب لأقلام التنديد به وبما يدعيه من حقوق. والقبول القبطى يثير الرأى العام فى مصر ويضاعف من احتجاجه. فحين أخذ المجمع المقدس بمبدأ تعيين مطران إثيوبى، عامى ٤٦و١٩٤٧، عبرت المقالات الصحافية عن شعور "الحزن والصدمة والحسرة" على هيبة الكنيسة التى تهاوت سلطتها التى كانت لها على كنيسة إمبراطورية ضخمة، وانتهت إلى التفريط فى تقاليدها. واشتدت هذه النغمة عام ١٩٥١ حين تمت فعلا رسامة أول مطران إثيوبى. وعاد الشجن والشجب. واستعمل المعارضون لها عبارات مثل نجاح "الضغط والإرهاب الإثيوبيين" فى تحقيق رغبات إثيوبيا. وفندوا ما تردد عن تقصير الكنيسة القبطية

(١١) كانت التجارة الخارجية للبلاد، بعد الاستقلال، فى أيدى جماعات من اليونانيين والعرب (خاصة الحضارمة واليمنيين). ولم يكن بينهم غير مصرى واحد حظى بعطف الإمبراطور. وكانت هناك شركة نسيج باسم "سابيان" بمساهمة مصريين.

(١٢) أرسلت مدرسة سلاسى اللاهوتية بإدارة القمص مرقس داود مجموعتين للدراسة فى إكليريكية القاهرة فى الأربعينات والخمسينيات من القرن العشرين.

وإهمال واجباتها تجاه ربيبتها الإثيوبية (١٣)، وأكدوا العكس وذهبوا إلى حد القول "إن الصلة التى كانت قائمة بين الكنيستين كانت السياج المنيع الذى صان استقلال إثيوبيا"! كيف كان ذلك؟ الله أعلم.

وبلغ اللغو مداه حين عزّى أحد الكتاب (جريدة مصر ١٩٥١/١/١٥) جمهور الأقباط بقوله "إذا كانت الظروف قد اضطرتنا اليوم إلى تنصيب أحد الإثيوبيين فى هذا المنصب فإننا نأمل أن يأتى يوم قريب أو بعيد يطلب إلينا فيه الإثيوبيون أنفسهم أن نعود لنتولى هذا المنصب"!!

وتسرب الإنقسام إلى الشعب القبطى. فقد ارتاح بعضه لصدور القرار برسامة المطران الإثيوبى واعتبره خطوة سليمة نحو تصحيح العلاقة بين الكنيستين، ويتفق وحركة التاريخ والمتغيرات الجارية فى العالم ـ عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. ولم يفلت هذا البعض من التنديد به ومن موقفه المتخاذل بالنسبة لكنيسته وحقوقها المشروعة. كما هوجم الذين

(١٣) يقرر المتنيح القمص مرقس داود الذى صرف عشر سنوات بالبلاد أن الكنيسة القبطية "لم تقدر تغيير العوائد (عوائد اجتماعية وأسرية سيئة) لضعف من كانوا يذهبون هناك. وأضاف "حالة الأسرة الإثيوبية مفككة ساعد على ذلك حال الكهنة الإثيوبيين وتفشى المادية والإباحية فيهم مما أضعف تأثيرهم على الشعب". وعندما كان يناقش الكهنة الإثيوبيين فى هذه الأمور كان ردهم "أنتم ـ أى مبعوثى الكنيسة القبطية ـ الذين علمتمونا ذلك"! (من كتاب: القمص مرقس داود شجرة مثمرة، ص ٦٨، ٧٠).

ـ وفى هذا السياق يذكر د. أنتونى سوريال أن صراع المطران ضد الإمبراطور حول أملاك الكنيسة وتدخله فى شئون الكنيسة، إلى جانب دخوله فى صراعات عدة مع أطراف مدنية ودينية، جعله ينشغل عن وظيفته الأساسية وهى رعاية شعبه روحيا ودينيا. ويشير أيضا إلى منصب الإتشيجى الذى أنشئ أواخر القرن الثالث عشر وكيف أن الإتشيجى لمعرفته لغة البلاد وعاداتها "غطى" على المطارنة الأقباط بسبب جهلهم العلمى والدينى وبعادات ولغة البلاد فانعزلوا عن الأهالى ورجال الدين مما أدى إلى انتشار الجهل والخرافات والشعوذة وسط الشعب.

ـ ويقول د. زاهر رياض. ولكن مما يؤسف له أن اهتمام البطاركة بالحقل الإثيوبى لم يتعد الاهتمام بإرسال الرسائل إلى كل من المطران والإمبراطور مستفهمين عن حالة رعاياهم وعن أخبار الدولة والكنيسة. ولم يحدث أن زار أحد البطاركة هذا الحقل الإثيوبى من أجل الوقوف عن قرب على رغباتهم. فالبابا يؤنس التاسع عشر هو أول من قام بمثل هذه الزيارة الرعوية (عام ١٩٣٠). (تاريخ كنيسة الأسكندرية ص ٩٦). ويشير فى كتابه "تاريخ إثيوبيا" ص ٥٣ إلى اضطراب العلاقة بين الكنيستين منذ القرن السابع نتيجة للظروف الخارجية والداخلية التى أحاطت بالكنيسة القبطية وأدت إلى ضعفها. فكان نصيب الكنيسة الإثيوبية "الضعف والانهيار"!

تجاوبوا مع المطالب الإثيوبية أو ساعدوا على تحقيقها، واتهم بعضهم بممالأة الإثيوبيين والسعى وراء تحقيق مكاسب شخصية أو مكانة خاصة فى إثيوبيا (١٤). قيل هذا ضد الإيغومانس ابرهيم لوقا، وهو رجل "شبعان" من بيت كريم ساعد بالمال والجهد على بناء كنيسة مار مرقس "النموذجية" بمصر الجديدة (١٥). وضد الوزير سابا حبشى وهو الرجل العف النبيل الذى اشتهر بمكارم الأخلاق طوال حياته فى المحاماة وفى الحلبة السياسية. بل واتهم بعض الأقباط "بالتجسس" لحساب الإثيوبيين وتزويدهم بالمعلومات التى تنفعهم فى دعواهم!

وتفاقم الأمر حين طالب الإثيوبيون ـ باعتبارهم من الأسرة المرقسية ـ باشتراك أساقفتهم فى المجمع المقدس القبطى، وباشتراكهم فى انتخابات البابا على قدم المساواة مع الأقباط فى لجنتى الترشيح والانتخاب، وبحق الرهبان الإثيوبيين فى ترشيح أنفسهم للمنصب. وفسرت أقلامنا هذه المطالب "الجامحة الجريئة" على أنها محاولة من الكنيسة الإثيوبية "لاحتواء الكنيسة القبطية نفسها ـ أى الاستيلاء عليها". وتخوفت من أن يصير لإثيوبيا يوما أغلبية أعضاء المجمع المقدس، "فيملون الشروط ويتخذون القرارات كيفما شاءوا. فتصبح كنيسة إثيوبيا هى صاحبة الأمر والكنيسة القبطية هى التابعة الخاضعة" (١٦).

أى أن "فتـرة ماراثون المفاوضات "كانت فترة نشر الغسيل الوسخ على الجانبين، والتشكيك فى نوايا كل جانب، وهكذا تداعت أركان المحبة المسيحية التى "لا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء. ١ كو ١٣ : ٥". وأصيب جسم العلاقة ذاته بتشوهات منفرة وانتشرت فيه الجراح والندبات، وامتلأت الأخلاق بالمرارة التى ترسب

---

(١٤) بعد التحرير الإثيوبى عام ١٩٤١ دأب الإمبراطور على منح الذين ساهموا فيه، من الجندى إلى الوزير، قطعة أرض فى حدود مائة فدان (يطلق عليها "جشا" بالأمهرية)، يسلم صكها لمن وهبت له، وعليه البحث عنها والوصول إليها للاستفادة بها. وبعضها كان يبعد مئات الأميال عن العاصمة. وقد أهديت قطعة للمتنيح القمص إبراهيم لوقا لا يعتقد أنه رآها أو استفاد بها. وبالمثل للقس مرقس داود.

(١٥) اتهم أيضا بأنه كان يطمع فى منصب "النائب البابوى" بأديس أبابا؛ وهو منصب رفض الإثيوبيون وجوده أثناء مفاوضاتهم مع الإيغومانس إبراهيم لوقا نفسه فى أديس أبابا!

(١٦) لا يبعد أن القيادات الإثيوبية من كنسية وعلمانية أرادت فعلا بطلباتها هذه أن يستشعر الأقباط هذا الاحتمال كى يذوقوا مرارة "التبعية" التى يفرضونها عليهم.

بعضها فى الوجدان الإثيوبى ومازال باقيا حتى اليوم كما يبدو ويؤثر سلبا على علاقة الكنيستين التى تعانى فى الوقت الحاضر من حالة ركود (١٧)

وعقدة الموقف وأزمته الحقيقية تمثلت فى أننا لم نكن نملك قضية تتوافق ومعطيات العالم وتطلعات شعوبه فى تلك الحقبة، أو يمكن الدفاع عنها فى ساحات هذا العالم الذى كان يعج بحركات التحرير والدعوة إلى حق تقرير المصير، واستقلال الأوطان وقيام الحكم الوطنى. وكانت مصر نفسها، فى ذلك الوقت، تكافح من أجل التخلص من الوجود البريطانى فى منطقة القنال لاستكمال حريتها وسيادتها الوطنية.

فنحن ككنيسة قبطية كنا نسعى إلى الاحتفاظ بحقنا التقليدى فى رئاسة الكنيسة الإثيوبية، وبالتالى الشعب الإثيوبى. ونطالب الجانب الإثيوبى بالإبقاء على تبعيته للكنيسة المصرية والاحتفاظ بوصايتها عليه، رغم كونه إمبراطورية مترامية الأطراف حرة ومستقلة وتعتز بكونها البلد الإفريقى الوحيد الذى احتفظ باستقلاله على مدى ثلاثة آلاف سنة لم يعكرها إلا فترة الاحتلال الإيطالى القصيرة (١٨). وساد على حملتنا هذه نغمات نشاز

(١٧) فى إحدى المناسبات التى جاء فيها ذكر العلاقات القبطية الإثيوبية تنهد أحد المطارنة وهو أنبا كيرلس مطران ديسى، وكان وقتها مديرا للبطريركية، وقال "ألا يكفينا منها ستة عشر قرنا؟!". وفى حفل إستقبال ضخم أقامه البطريرك ثاؤفيلس على شرف قداسة البابا شنودة الثالث أثناء زيارته لاثيوبيا فى سبتمبر ١٩٧٣، ألقى البطريرك ثاوفيلس خطابا أبرز فيه نقطتين أنه كبطريرك واحد من أبناء اثيوبيا يعرف لغتها وعاداتها، وأنه يضطلع بدوره كراع صالح لكنيسته بكفاءة واقتدار. وكأنه كان يرد على ما رددته صحافتنا أثناء "ماراثون المفاوضات" عن ضعف الكنيسة الإثيوبية وتخلفها وافتقارها لقيادات قادرة من أبنائها.

(١٨) وكانت لها وقفات مساندة للحق القبطى ولكرامة الأقباط حينما كانوا يتعرضون لسوء المعاملة من حكامهم المسلمين. فمثلا (١) لما سُجن البابا ميخائيل الأول بسبب الضرائب، أواسط القرن الثامن حرك الإمبراطور الإثيوبى قواته واحتلت أجزاء فى جنوب البلاد مما دفع عبد الملك إلى الاستعانة بالبابا للتوسط لدى الامبراطور. (٢) وأرسل الإمبراطور "أمدصيون ١٣١٤ - ١٣٤٤" رسالة إلى السلطان ابن قلاوون يطلب منه وقف اضطهاد الأقباط وظلمهم وإعادة بناء ما تهدم من كنائسهم والا حوّل مجرى النيل (٣) وانتقم الإمبراطور" سيف أراد (١٣٤٤ ـ ١٣٧٢) لحبس البابا مرقس الرابع بطرد المصريين المقيمين فى إثيوبيا وتنصير بعضهم. (٤) وذكر أن الإمبراطور داوود الأول جرد حملة ضد سنار دعما لأقباط مصر، وجاءته بعثة من سلطان مصر ورد عليها بإرسال ٢٢ جملا محملة بالهدايا للسطان برقوق. (٥) وكتب الإمبراطور "زارياكوب ١٤٣٤ ـ ١٤٦٨" رسالة شديدة اللهجة لسلطان مصر عندما سمع بالاضطهاد الذى يعانيه الأقباط (أيام برسباى). وبنى دير "ميتوك" فى إثيوبيا ردا على تدمير دير المغطاس القبطى.

يسهل نعتها بالاستعمارية، ولا تنسجم إطلاقا مع تلك الداعية إلى الحرية والانطلاق، التى كانت تصدح فى أرجاء عالم تئن بعض أجزائه تحت نير الاستعمار.

كما أنها قضية لم تجد أدنى مساندة لها فى الأوساط الكنسية الأخرى، سواء كانت أرثوذكسية أو كاثوليكية أو بروتستانتية. فعلى الجانب الأرثوذكسى استقلت عدة كنائس وطنية عن إنطاكية، بينما تنبهت البابوية فى الجانب الكاثوليكى ورسمت منذ زمن بطاركة لكنائس متعددة أقربها إلينا الكنيسة المارونية فى لبنان. أما الجانب البروتستانتى فيكفى الاختلاف فى وجهة النظر، لاهوتيا أو تنظيميا أو غير ذلك، ليخرج المنشقون ويكونوا كنيسة مستقلة لهم. بل إن طبيعة العلاقة بين الكنيستين المصرية والإثيوبية خضعت منذ زمن طويل لانتقادات شديدة من الكنائس الغريبة، سواء عن حسد أو عدم تقدير لها، خصوصا مع بداية عصر التنوير والدعوة لانطلاق العقل وتحرره من الغيبيات.

ثم إنها كانت تتمسك برئاستها ومكانتها دون استعداد لتحمل نفقاتها، وذلك بالعمل على تشييد الكنائس وفتح المدارس وإنشاء المستشفيات، وتقديم الخدمات الاجتماعية والتنموية وإنهاض البلاد دينيا وروحيا. فى حين ملأت الإرساليات الأجنبية، التى لا سلطان لها ولا سيادة، البلاد بهذه المنشآت والأنشطة. فكانت المقارنة تسبب حرجا للأقباط المقيمين بالبلاد وتدعوهم للخجل.

أى أن الكنيسة القبطية، كما علق بعضهم، كانت تسبح ضد التيار العام وهى لا تدرى. غيّبتها السلطة التاريخية عن واقع الحال وتحولات العصر الذى قال عنه د. أنتونى سوريال وبحق "لم يكن عصر المركزية الدينية المسيطرة على الأقاليم التابعة لها" فقد استقلت الكنيسة الفرنسية عن كنيسة روما، واستقلت الكنيسة الروسية عن كنيسة القسطنطينية.

وقد عبر سلامه موسى عن هذا الموقف فى مقال بجريدة مصر (١٠/٥/١٩٤٧) قال فيه إن "الخلاف يقوم على الحقوق مع أنه ليس للأقباط أى حق فى إثيوبيا، وإنما وجبت عليهم الخدمة البارة الشريفة وهو ما يجب أن يكون عليه موقف الأقباط إزاء الإثيوبيين".

وأصر على أن يكون هدف المفاوضات هو الخدمة وليس المحافظة على الحقوق التاريخية القديمة. كما أصر على أن تقوم المساواة بين الأقباط والإثيوبيين، فليس هناك ما يمنع من وجـود أسـاقفـة إثيـوبيين فى مصر ذاتها وفى السودان. وطالب البابا بتزويد الإمبراطور هايل سلاسى بكل ما يحتاجه فى نهضته. ويجب أن يكون رأيه فوق كل الآراء "فكلنا يعرف أنه ليس بين أبناء الكنيسة القبطية من هو أسمى منه أو من يقاربه فى مقامه العالمى".

ومن العجيب أن كلمة "الانفصال" نحن الذين بدأنا بإطلاقها من منطلق المأثور "من ليس معنا فهو علينا". وكأن علاقة التبعية هى قدر ثابت خالد كتب عليهم، وإلا اعتبروا خارجين أو منفصلين. مع أن أمنيتهم حسب مفهومهم كانت تدور أساسا حول تأمين احتياجات كنيستهم من القيادات والعاملين من أبنائهم، باعتبارهم الأقدر على فهم هذه الاحتياجات وتدبيرها، وباعتبارهم الأحق أيضا بحيث يصبحون مستقلين ومكتفين ذاتيا داخل البيت المرقسى.

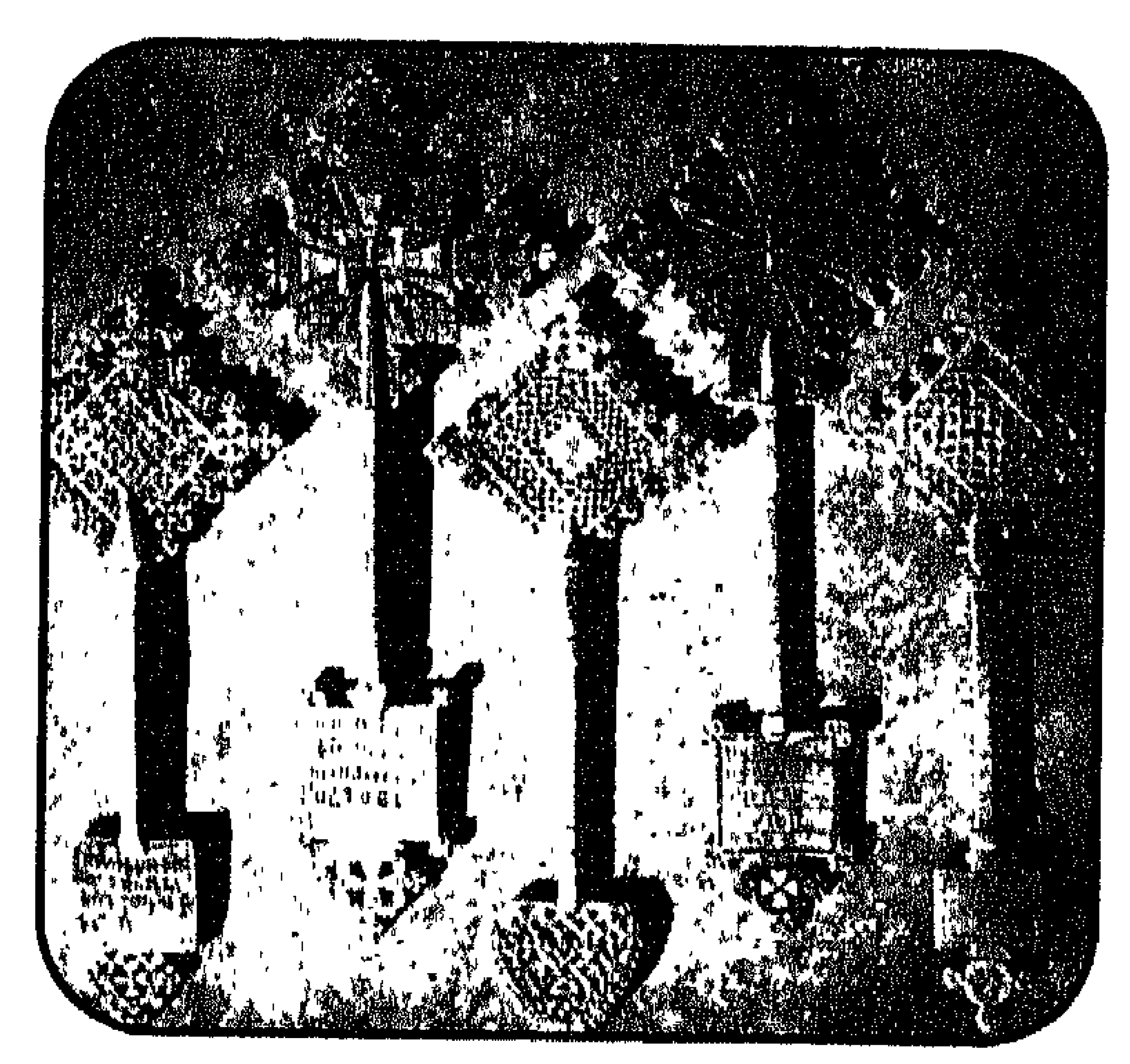
والانفصال بمعناه المطلق والمعقد، أى الخروج عن كل ما هو قبطى وأرثوذكسى هو فى الواقع عبء علينا وغبن لهم ولا تستطيعه الكنيسة الإثيوبية حتى لو أرادته وسعت إليه. فعقيدتها قبطية أكثر من الأقباط. ومنذ أيام المطران سلامه الأول وهى تتمسك بتعاليم أثناسيوس الرسولى الذى تعتز به وبأبوته لها. ورفضت الإذعان لدعوة يوستين للانضمام إلى الخلقدونيين. وهى من أشد المتمسكين بالأسرار السبعة وتحافظ على الأصوام المقدسة بشكل يثير الدهشة. وأعيادها هى أعياد الكنيسة القبطية وتحتفل بها مثلما كانت تحتفل بها قديما قبل أن توضع القيود على مواكبها ومظاهراتها المقدسة. وتقويمها هو التقويم القبطى بشهوره الثلاثة عشر، وتحتفل برأس السنة أول توت (أول الشهر الإثيوبى مسكرم). وكل ما تعتز به من ذخائر مقدسة تتمثل فى كتب لاهوتية وطقسية وتاريخية هى كلها قبطية المنبع. وظلت تدعى بالكنيسة القبطية الإثيوبية طوال ستة عشر قرنا، ومازالت بعض المصادر الغربية تشير إليها بنفس الاسم حتى اليوم. وإن أخذت قياداتها، بعد ما صار لها بطريركها، فى التباعد عن المسميات القبطية والمفردات والألقاب المرقسية إمعانا فى الأثوبة

وتأكيدا للاستقلالية "والأصالة". وقد حدث أثناء زيارة قداسة البابا شنودة الثالث لإثيوبيا فى سبتمبر ١٩٧٣ أن خرجت كل من جريدة الزمان بالامهرية والإثيوبيان هيرالد بالإنكليزية بمقال حول لقب البابا "بابا الاسكندرية" وبطريرك "الكرازة المرقسية" ادعتا فيه عدم فهم هذه الألقاب وعدم أهميتها بالنسبة للكنيسة الإثيوبية التى لا تستعملها إذ أن لها مجمعها المقدس وبطريركها. وهو طبعا مقال موعز به فالجريدتان شبه رسميتين وقصد به المزايدة فى تطبيقات الأثوبة. واللقب الحالى لبطريرك إثيوبيا هو "البطريرك رئيس مطارنة إثيوبيا مطران أكسوم وإتشيجى كرسى تكلا هيمانوت".

"والتبعية" ذاتها فى المفهوم المسيحى كلمة مجازية، نسبية المدلول والمفهوم، بشرية اللون والمحتوى، ذلك أنه منذ البداية وتبعية الكنائس كانت للسيد المسيح "لأنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح. ١كو ٣: ١١" وواجه بولس نشازها البشرى الذى بدأ يتحيز للأسماء، أفرادا كانت أو أماكن، بكل حزم وإقناع. "فمن هو بولس ومن هو أبولس.. بل خادمان آمنتم بواسطتهما وكما أعطى الرب لكل واحد. ليس الغارس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى. ١كو ٣: ٥،٧". وأضاف قوله "لأنه من يميزك. وأى شئ لك لم تأخذ. وان كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟ ١كو ٤: ٧". وما هى مبررات أن "ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر ١كو ٤: ٦"؟ سواء كان هذا الواحد بولس أو أبلوس أو بطرس أو مرقس! وهذا الكلام هو لرسول الأمم العظيم الذى استخدمه الروح القدس بقوة ليس فقط لنشر الإنجيل الذى أؤتمن عليه بل وأيضا لتحقيق النبوات القديمة عن "القفر الذى يبتهج ويزهر كالنرجس. إش ٣٥: ١" والوعود الإلهية "سأدعو الذى ليس شعبى شعبى والتى ليست محبوبة محبوبة. رو ٩: ٢٥" أى عن الأمم ودخولهم فى نعمة الإنجيل.

ولو استقرت هذه الفلسفة الروحانية فى وجدان الكنيسة منذ البداية وعلى طول المدى لاختفت روح التحيزات الغبية والنعرات المذهبية من صفوفها ومن حياتها وخدمتها، وما انتشر التمزق والتشرذم اللذان تعانى منهما منذ القرن الرابع، منذ بدأ التغنى بالأفراد، بالرؤساء، بالبشر أيا كانوا، فتضخم حجمهم واتسعت دائرة ظلهم حتى حجب السيد

صاحب البيت وحجر الزاوية، ورب الخلاص العظيم. وبينما كان بولس يتكلم عن أهمية "المجاهرة" بإنجيل المسيح، ويطلب الصلاة "مصلين بكل صلاة وطلبة.. لأجلى.. لأعلم جهارا بسر الإنجيل. أف ٦ : ١٨ ,١٩" باتت عائلات الكنائس وتوابعها تتكلم بلغة "العزوة والاعتداد"، وتتنافس على كل شئ ماخلا الكلمة المقدسة وما تدعو إليه من إنكار للذات وحمل للصليب.



نماذج صلبان إثيوبية يحملها الكهنة



دير دابرا لبانوس المشهور (القرن ١٣) بعد تجديده

- ٣ -

أصـــداء الـتـاريـــخ

التاريخ كالصوت له رجاعه أو أصداؤه، والصدى هو رد الخلاء على نداء يطلقه المرء بحثا عن عزيز غاب أو أمل تاه فى أحراش الزمن... يطلقه فيرتد إليه كما هو لا أثر فيه للعزيز الذى مضى أو الأمل الذى هوى.

وهناك تاريخ طويل بين شعبين وكنيستين امتد قرابة ستة عشر قرنا، قامت خلاله مآثر وشواهد. وتسجلت صور ومشاهد. وحفرت مواقف وتجارب. وانتشرت معالم وانتصبت منابر انطلقت منها دعوات وجلجلت صيحات. وسمعت على مدى قرونه أهازيج تهزج وأفراح تموج بالبهجة و حبور... عكرتها أتراح غصت بالتنهد والدموع... ورفعت أدعيات وأقيمت صلوات وامتلأت المجامر بالبخور..

أيمضى كل هذا وينتهى دون رجع أو حتى همهمة؟!

حملت هذا السؤال بين جوانحى وتوجهت إلى أديس أبابا أبحث له فيها عن جواب. طالعتنى المدينة كعادتها بالخضرة تنتشر فى أرجائها وبالنسمة الندية المنعشة تسرى فى جنباتها. كان ذلك فى يناير ١٩٩٣ بعد أقل من عقدين من آخر زيارة لها. تغيرت خلالهما كثيرا. فقد شقت شوارع جديدة. وظهرت ميادين واختفت أخرى. وارتفعت فيها المبانى أعلى مما كان مألوفا. وغلفتها كآبة مازجها قبح من مخلفات الحروب والصراعات الداخلية التى نكبت بها البلاد منذ الانقلاب العسكرى الماركسى فى سبتمبر ١٩٧٤.

التقيت ببعض الأصدقاء القدامى أغلبهم كانوا طلبتنا. وتوجهت إلى دار البطريركية وتحدد لى موعد لمقابلة البطريرك الجديد أنبا پاولوس. وكانت هناك مفاجأة تنتظرنى، فحين استقبلنى اكتشفت أنه كان تلميذى فى كلية سلاسى اللاهوتية بأديس أبابا أواخر الخمسينيات من القرن الماضى. واحتضننى الرجل ورحب بى كأستاذ سابق وأخذ يسرد بعض نوادر الدراسة معى. ولما فاتحت غبطته فى أمر العلاقات بين الكنيستين دعانى لحضور إحدى جلسات المجمع المقدس لأسمع ما يقوله المطارنة والأساقفة حول الموضوع.

وحضرت الاجتماع الذى انعقد صباح الأربعاء ١٩٩٣/١/٢٧ واستمر قرابة ثلاث ساعات تكلم خلالها عدد من المطارنة والأساقفة، تطرقوا إلى تاريخ العلاقة بين الكنيستين

وما طرأ عليها بعد قيام الحكم الماركسى بالبلاد، وأكدوا على الحاجة إلى علاج ما ترسب من مشاكل وسوء فهم طوال عقدين من الزمان، وإلى فتح صفحة جديدة تتسم بروح الفهم والتفاهم والتعاون. ولم تخل بعض الكلمات من النقد والعتاب. ومما قاله أحدهم إنه بعد القبض على المتنيح البطريرك ثاوفيلس انصب اهتمام الكنيسة القبطية على معرفة ما حدث له هو، ولكنها "لم تهتم" بما حدث للكنيسة الإثيوبية نفسها، وباكتشاف الطرق التى تستطيع بها مساعدتها ودعمها وتركتها وحدها لغيلان الشيوعية. ودافعتُ عن مواقف كنيستى قدر ما استطعت وألقيت الضوء على بعض الظروف وصور عدم الفهم. وانتهى الاجتماع بشبه مظاهرة تأييد لكل الخطوات البناءة والنوايا الطيبة نحو توثيق العلاقة بين الكنيستين.

ولما علم سفيرنا فى إثيوبيا، د. مجدى حفنى، باتصالاتى دعانى لمقابلته وأشار إلى اتصالاته المستمرة بغبطة البطريرك أنبا پاولوس، ولمست فعلا مدى حماس سعادته لتوثيق العلاقة بين الكنيستين كجزء مهم من مهمته الدبلوماسية لتوطيد العلاقات بين البلدين.

ولما عدت إلى القاهرة قدمت للسكرتارية البابوية تقريرا مكتوبا بما حدث وبما سمعت ولاحظت، وودت لو يسمعنى أحد بما أود البوح به شفاهة. واشتدت هذه الرغبة حين تأكد قرب وصول وفد كنسى إثيوبى مفاوض إلى القاهرة. فهناك ما يجوز كتابته وهناك ما يفضل الإفضاء به مباشرة.

ووصل الوفد فى ٤ مارس ١٩٩٣ واستقبلتُه مع المستقبلين. وكان يتكون من أربعة مطارنة هم الآباء مكاريوس وجاريما (تلميذى القديم) وياكوب وتيموثيوس . وقام الوفد بجولة فى القاهرة نظمتها له أسقفية الخدمات زار خلالها بعض المعالم السياحية وبعض الكنائس ككنيسة السيدة العذراء بالزيتون والكنيسة المعلقة، وشاهد المطارنة بأنفسهم مدى محبة الشعب القبطى لإثيوبيا وللإثيوبيين حين أقبل عليهم وتحلّق حولهم فى طلب البركة.

وانتقل الوفد إلى دير أنبا بيشوى العامر فى ٧ مارس حيث جرت المفاوضات مع الوفد القبطى برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث، وكانت مفاوضات مثمرة توصل الطرفان فى نهايتها إلى بروتوكول جديد وإلى خلق جو من المحبة والثقة والتفاؤل فى المستقبل بفضل

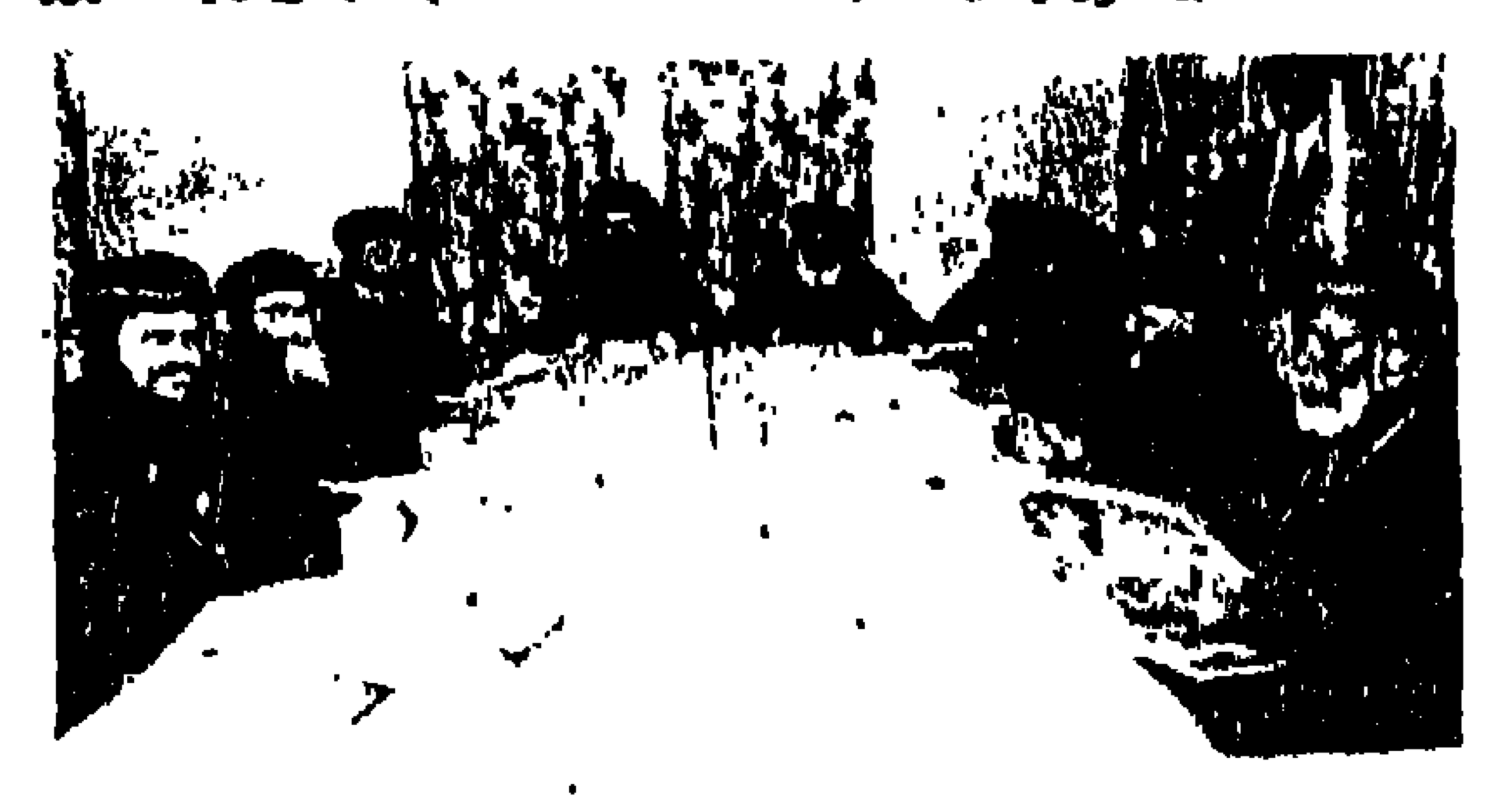
قداسة البابا الذى أدار المفاوضات بكل حكمة وروية وفتح قلبه وصدره وتجاوب مع كل ما هو حق ومشروع من طلبات ورغبات الوفد الإثيوبى فى جو من الألفة والشفافية.

وصادق المجمع المقدس القبطى على البروتوكول، وتوجه وفد من الأساقفة برئاسة نيافة أنبا بيشوى مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس إلى أديس أبابا فى فبراير ١٩٩٤، وقضى أسبوعا فى العاصمة الإثيوبية (٢/٧ ـ ١٩٩٤/٢/١٣) تدارس خلاله البروتوكول مع لجنة من أساقفة الكنيسة الإثيوبية وتم الاتفاق على كل شئ، ومن ثم صادق المجمع المقدس الإثيوبى عليه. وحظى بترحيب الصحافة والرأى العام.

صور صفحة ٢٠١

الكنيسة الاثيوبية والقبطية تستأنفان علاقاتها الروحية

اديس ابابا ـ تم الاتفاق بين الكنيسة الارثوذكسية الاثيوبية وبين الكنيسة القبطية المصرية على استئناف علاقاتها الروحية وذلك بعد بين لجنتين ممثلتين لكل من الكنيستين الاثيوبية والمصرية وذلك ابتداء من السابع الى الثالث عشر من فبراير (١٩٩٤) الحالى فى مكتب البطرياركية الاثيوبية



مسئولو الكنيسة الاورثوذكسية الإثيوبية والمصرية وهم يعقدون اجتماعهم

ان ازالتا خلافاتهما التى حدثت بينهما فى السنوات الماضية.

وقد جرت مناقشات ثنائية متتالية طبقا لما جاء فى نشرة صحفية اصدرها المكتب.

وقد ذكر بأن الحل الذى تم التوصل إليه بين اللجنتين سيكون سارى المفعول بعد ان يصادق عليه بطريرك الكنيستين بصورة رسمية.

وقد أعرب قداسة البابا ابونا باولوس بطريرك الكنيسة الارثوذكسية الاثيوبية عن تمنياته القلبية لنجاح هذه المهمة النبيلة لهذه اللجنة الثنائية. كما اعرب عن شكره للبابا شنودة بطريرك الكنيسة القبطية الاسكندرية لاهتمامه العميق باستئناف العلاقات بين الكنيستين الاثيوبية والقبطية.

وطبقا لما جاء فى النشرة الصحفية، فان اعضاء الوفد المصرى قد قاموا بزيارات لكنائس إثيوبية مختلفة كما قاموا بزيارات لمعاهد لاهوتية تديرها الكنيسة الارثوذكسية الاثيوبية فى البلاد، وذلك خلال تواجدهم هنا.

صحيفة «العلم» الإثيوبية الحكومية التى تصدر أسبوعيا كل يوم جمعة

وبدت الأمور وكأن صفحة جديدة مشرقة من العلاقات الحميمة قد بدأت لولا "سحابة صيف" تجمعت فجأة في سماء الكنيستين بسبب الكنيسة الإريترية + بعد أن تمت رسامة خمسة أساقفة إريتريين لها فى ١٩٩٤/٦/١٩ . وصدرت تعليقات وتبودلت رسائل حول المسألة أغضبت قيادات الكنيستين إذ فسرها كل طرف من زاويته وخلفيته التاريخية ومكانته. وتحولت إلى عقدة بسبب حساسية الإثيوبيين جميعا من جهة إريتريا وإحساس الكنيسة الإثيوبية بتجاهلها وتعمد عدم إحاطتها علما بالأمر رغم توافر الفرصة طوال عام من المفاوضات كانت تجرى بين الكنيستين (مارس ١٩٩٣ ـ فبراير ١٩٩٤). وقد تمت رسامة أنبا فيلبس كأول بطريرك لإريتريا فى ١٩٩٩/٥/٨ وجرى تجليسه فى أسمره وحرب الحدود مستعرة بين الجارتين والشقيقتين إثيوبيا وإريتريا والتى انتهت فى يونيو ٢٠٠٠ .

+ المسيحية السائدة فى إريتريا هى أرثوذكسية كنيسة الإسكندرية. وإريتريا فى الواقع هى البوابة التى دخلت منها الكرازة المرقسية، فعدول (أدوليس) الميناء القديم حيث رسا فرومنتيوس وأخوه تقع إلى الجنوب من مصوع ميناء إريتريا الرئيسى. وإريتريا كانت تمثل الجزء الشمالى من مملكة أكسوم التى كانت فى قلب إقليم تيجراى، وظلت جزءاً من كنيسة إثيوبيا وبنيت فيها كنائس وأديرة برز بينها دير "دابرا بيزان" الذى بناه فى القرن الرابع عشر فيلبس تلميذ الراهب يواستاتيوس، واحتل مركزا قياديا فى الحياة الديرية والتعليمية فى البلاد كلها وخاصة فى إريتريا. وتغير الوضع بطبيعة الحال بعد ما اقتطعتها إيطاليا وحولتها إلى مستعمرة عام ١٨٨٥ . وقد التقت السلطات الإيطالية ورئاسة دير دابرابيزان معا على رغبة مشتركة فى جعل علاقة مسيحى إريتريا مباشرة مع كنيسة الاسكندرية: الايطاليون لأسباب سياسية، والدير رغبة فى التميز والاستفادة من رعاية أفضل مباشرة. وفعلا اختار الدير عشرين من رهبانه لإرسالهم إلى البطريركية فى القاهرة حيث تتم رسامتهم كهنة، وطلب من السلطات الإيطالية مساعدته على تحقيق ذلك. ولما اتصل معتمدها فى القاهرة بالبطريركية أحالته إلى مطرانية إثيوبيا باعتبارها جهة الاختصاص وباعتبار إريتريا جزءاً من إيبارشية إثيوبيا. ومرت سبع سنوات من الصمت على هذه المحاولة قطعه قنصل إيطاليا بطلب تقدم به إلى البطريركية عام ١٩٠٣ لرسامة أسقف قبطى لرئاسة ورعاية كنيسة إريتريا وشعبها الذى يبلغ تعداده ٣٥٠ ألفا، وكان هذا بناء على رغبة مكتوبة تقدم بها شعب الإقليم لحكامه الايطاليين. ومرة أخرى ارتأت البطريركية الرجوع إلى السلطات الإثيوبية باعتبارها جهة الاختصاص وكتب البابا إلى كل من الإمبراطور منليك والمطران متاؤس طلبا فى المشورة والرأى. وفى نفس الوقت طلب من أنبا بطرس مطران تيجراى القبطى رعاية كنيسة إريتريا لحين البت فى طلب شعب إريتريا. وجاءت موافقة كل من الإمبراطور والمطران متأخرة أربع سنوات أى عام ١٩٠٧ ، ومع ذلك لم يرسم الأسقف. وظلت إريتريا تتبع مطران إثيوبيا. ولم تدرج مسألة إريتريا فى كل المفاوضات الطويلة التى جرت بين الكنيستين فى الثلاثينيات حتى الستينيات من القرن الماضى، خاصة بعد ما خرجت إيطاليا منها ثم وضعت تحت الوصاية الإثيوبية.

+ ولاحت فرصة للحوار والتقارب بعد ما تجمد الموقف قرابه أربع سنوات. كان ذلك في ديسمبر ١٩٩٨ في هراري عاصمة زيمبابوي حيث انعقد مؤتمر مجلس الكنائس العالمي. وكان مؤتمرا ضخما واستثنائيا بمناسبة احتفال المجلس بيوبيله الذهبي. ودعيتُ إليه كاستشاري advisor. وتمثلت الكنيسة القبطية بوفد من الأساقفة يرأسه نيافة أنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ. بينما رأس وفد الكنيسة القبطية غبطة البطريرك أنبا پاولوس. وسعيتُ بين الوفدين كي يلتقيا. وبعد التغلب على تحفظات الجانبين التقى الوفدان دون حضور البطريرك، وجرى حوار بينهما استمر قرابة الساعتين، نكأت المسألة الإريترية الجراح في بدايته فتطايرت عبارات العتاب شديدة أغلب الأحيان ولينة بعض الأحيان. وانتهى اللقاء بالاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة من الكنيستين تقوم ببحث القضايا المعلقة من أجل إزالة أسباب سوء الفهم توطئه للقاء قيادتي الكنيستين. وقد اتصل نيافة أنبا بيشوى تليفونيا بقداسة البابا ليستأذنه ثم ليحيطه علما ورحب قداسته باللقاء وباركه وتفاعل بنتائجه.

إلا أن اللجنة لم تتشكل رغم مواصلتي تذكير غبطة الأنبا پاولوس بأمرها. وظل يؤكد لي أنها لم تغب عن باله وأنه ينتظر الفرصة المناسبة للحصول على موافقة المجمع المقدس. وكان الجو في الواقع صعبا فمشكلة الحدود تحولت إلى حرب خنادق وهجمات جوية بين إثيوبيا وإريتريا واشتدت في صيف عام ٢٠٠٠ حين انتهت بانتصار نسبي لإثيوبيا.

+ واتصل بي غبطة البطريرك أنبا پاولوس تليفونيا صباح ٢٠٠٠/١٠/١١ لمناقشة أمور تتعلق بكلية سلاسي اللاهوتية. ولما ذكرته بأمر اللجنة قال لي "إحضر لي دعوة لزيارة القاهرة وسوف ترى النتائج الطيبة". واتصلت مباشرة بسكرتارية نيافة الأنبا بيشوى فدعاني نيافته للقائه بالمقر وتدارسنا مضمون رسالة البطريرك إلى جانب رسالتين أخريين وصلتا من أديس أبابا قيل إنهما بنفس المضمون، إحداهما من السفارة المصرية والأخرى من الأقباط العاملين هناك. وأوضحت لنيافته أن رغبة البطريرك هذه ليست جديدة فقد ظل يرددها لي طوال سنوات عملي الثلاث كعميد لكلية سلاسي اللاهوتية بأديس أبابا. فهو مقتنع بضرورة الزيارات واللقاءات من أجل تعزيز العلاقات. فوعد نيافته بعرض الموضوع على قداسة البابا.

وفى صباح الإثنين ١٠/١٦ اتصلت بى السفارة الإثيوبية لتبلغنى بوجود مطرانين إثيوبيين زائرين يرغبان فى مقابلتى هما أنبا جبرائيل مطران القدس وأنبا أرجاوى مطران جندر الذى درس وعاش فى أديرة مصر. ولما التقيت بهما عبرا لى عن رغبتهما فى زيارة نيافة الأنبا بيشوى. وأدى اتصالى بسكرتارية نيافته وسكرتارية أسقفية الشباب واهتمام الأستاذ جرجس صالح إلى أن تحدد لهما عصر الثلاثاء ١٠/١٧ موعدا للقاء قداسة البابا. ورحب قداسته بهما فى مقره العامر بأنبا رويس واستمر اللقاء ثلاث ساعات درس خلاله ملف العلاقات وخرج المطرانان مستبشرين بتطورها فى الاتجاه الصحيح، فقد تميز لقاء قداسته بهما بالدفء والصدق واتسمت الدراسة بالصراحة والرغبة الحقيقية فى التقارب الوثيق بين الكنيستين.

وقررت السفر إلى أديس أبابا وراء خيط الأمل الجديد، فقد دأبوا على اعتبارى "حمامة سلام" بين الكنيستين والشعبين. وصرفت هناك ستة أسابيع فى لقاءات مع غبطة البطريرك والمطرانين الزائرين وغيرهما من أحبار الكنيسة الإثيوبية بأمل أن يتجاوب أنبا (أبونا) پاولوس مع هذه المبادرة، خاصة وأن المجمع المقدس الإثيوبى قرر فى دورة انعقاده فى مايو ٢٠٠٠ ضرورة تهيئة الجو لعودة العلاقات الحميمة بين الكنيستين وتشكيل لجنة منه لمتابعة الموضوع، وقد ساد على المجمع آنذاك شعور بأنه قد جاء الوقت لوضع المشكلة الإريترية جانبا وتنحيتها من الطريق. وعدت فعلا برسالة خطية + من غبطة أنبا پاولوس موجهة إلى قداسة البابا تتسم بالمودة والتقدير وتؤكد الرغبة فى اللقاء والعمل معا فى إطار بروتوكول ١٩٩٤ لخير الكنيستين. وحاولت تسليمها بنفسى لقداسة البابا باعتبارى رسولا أؤتمنت على مهمة محددة ولكن حالت البيروقراطية دون ذلك. وأخيرا سلمتها لنيافة الأنبا بيشوى. ويحدونى الأمل أن تعود الحياة والحرارة لعلاقة الكنيستين التاريخيتين +.

+ وتابع معى هذه المساعى سفيرنا فى إثيوبيا الأستاذ مروان بدر. وقد كنا دائما على اتصال طوال سنوات إقامتى بأديس أبابا لاهتمامه بأمر العلاقة بين الكنيستين باعتبارها من أولويات عمله الدبلوماسى كسفير لبلاده فى إثيوبيا. كما ساندنى الأستاذ د. عادل ينى المستشار الإعلامى بالسفارة.

وواتتنى الفرصة لتذكير قداسته بأمر الرسالة فى اجتماع لمجلس معهد الدراسات القبطية شرفة ورأسه قداسته فى ٢٠٠١/٧/٦ . كما قدمت لقداسته مذكرة توضيحية بالموضوع تشرفت بتسليمها لقداسته باليد فى ٢٠٠١/٩/٥ .

وقد يتساءل المرء عن جدوى هذه العلاقة. وهو سؤال فى نظرى غير لائق وغير مسئول. **لأن العلاقات الطيبة هى غاية فى حد ذاتها**. هى الجدوى نفسها، وهى المكافأة التى تتوق إليها النفوس المحبة للسلام. ونحن إذا ربطنا أى علاقة بمجرد جدواها أو عائدها فقد نجد أنفسنا يوما دون علاقات تذكر. وقد نبهنا السيد المسيح إلى أهمية بل و "مسيحية" المبادرة بالسلام بقوله "إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون. مت ٥ : ٤٧". وبقوله "وإن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم. فإن الخطاة يحبون الذين يحبونهم. لو٦ : ٣٣".

وقد يضيف البعض قوله "منفصلوا. عاوزين آية تانى. وآيه حنخده منهم"، وهى أقوال مازالت تتردد منذ رسامة البطريرك الإثيوبى الأول عام ١٩٥٩ . ويرددها أحيانا أناس فى مركز المسئولية رغم كونها لا تتفق ورسالتهم فى الحياة أو مكانهم ومكانتهم فى العمل المسيحى، متناسين قول السيد المسيح" وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم... وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكى يستردوا منهم المثل. لو ٦ : ٣٤".

أما لماذا ينبغى الاهتمام بهذه العلاقة والحفاظ عليها وتدعيمها، فالأسباب كثيرة ولها وجاهتها:

أولا، احتراما للتاريخ، لتاريخ العلاقة ذاتها التى استمرت ستة عشر قرنا. والتاريخ ركيزة مستقرة للشعوب الفطنة، وثقل مجد تتباهى به، ومرجعية موثوقة لحاضرها ومستقبلها، خليق بقراءاته واستيعابه وتقدير الذين لعبوا أدواره وجسدوه.

وثانيا، امتدادا للتاريخ. فالذى بدأ مدعوٌ لأن يكمّل. "أن يمتد إلى ماهو قدام" (فى ٣ : ١١). والذى بدأ عملا صالحا، كما يؤكد بولس الرسول، قادر أن يكمّل لأنه رب التاريخ أيضا. والتاريخ دائب الحركة وعجلته دائمة الدوران. قلّما تتوقف. وهو إن لم يتقدم ويمتد

قد يرتد وتتهدد منجزات أو تتبدد. والكنيسة القبطية دخلت إثيوبيا بمطرانها فلما خرج من الساحة الإثيوبية غابت الكنيسة أو كادت. فهى للأسف لم تهتم بإقامة صروح ومراكز خدمات للشعب تنفعهم وتذكّرهم بها، فلا مدارس ولا مكتبات ولا مستوصفات ولا مستشفيات ولا حتى مدرسة لاهوتية. ومن العجيب أن الحكومة الإثيوبية تبرعت بقطعتى أرض فى مناطق متميزة بالعاصمة لإقامة مدرسة ثانوية وأخرى لاهوتية عام ١٩٣٠ بمناسبة زيارة البابا يؤنس للبلاد، فلم يتحقق شئ من ذلك وضاعت قطعتا الأرض!

وثالثا، استمرارا للمسئولية. فالمسئول يستمر مسئولا طالما ظل فى موقعه، والكارزون هم تحت "الضرورة الموضوعة ١كو ٩: ١٦" طالما الكرازة مهمتهم أو دعوتهم، والوالدون تستمر إلتزاماتهم الأبوية حتى لو استقل البنون وبعدوا أو تباعدوا. والكنيسة القبطية أم ومسئوليتها مستمرة. والمسئولية قد تكون كلية أو جزئية، روحية معنوية أدبية أو مادية وتظل التزاما مهما كبر أو صغر شأنها.

ورابعا، تجسيدا لروح الشركة. فالبداية "لنعرفهُ وقوة قيامته وشركة آلامه. فى ٣: ١٠" ومن ثم نكتشف أن الوجود كله شركة، والمسيحية ما هى إلا حياة الشركة، والرسل فهموها وطبقوها على أساس أن كل شئ مشترك بينهم (أع ٤: ٣٢). ومعجزة الآلاف بدأت من هنا "غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان. لو ٦: ٧" لم يضن بها بل قدمها وأشرك فيها الجموع فكانت البركة العظمى.

وخامسا، تأكيدا للقيادة والجدارة. أى أن الكنيسة القبطية كانت فعلا جديرة بقيادة الشعب الإثيوبى يوما ما وتنويره. فانسحابها اليوم من ساحته، أو تجاهله وتجاهل مشاكله واحتياجاته، أو التعامل معه بحساسيات لا تليق "بالأم" تؤخذ دليلا على أنها فقدت روح القيادة وروح الريادة وروح المعلم الملهم الذى لا حدود لعطائه.

ولقد دخلت الكنيسة القبطية مؤخرا فى الحقل الإفريقى بإلهامات البابا الكارز والمعلم أنبا شنوده الثالث. وهى تنفق بسخاء رغم محدودية مواردها وحسنا تفعل طالما أن الهدف هو امتداد ملكوت الله. وللمرء أن يتساءل: أين حقل إثيوبيا وأين نصيبه فى كل هذه الجهود؟ بل أين هى كربيبة سابقة وشقيقة ورفيقة جهاد؟!

فى قمة المفاوضات التى انتهت ببروتوكول عام ١٩٥٩ كتب القديس البابا كيرلس السادس رسالة للإمبراطور هايل سلاسى الأول إستهلها بالمزمور ١٣٣ "هوذا ما أحلى وما أجمل أن يسكن الإخوة معا... لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة إلى الأبد". والرابطة بين "السكنى معا" بمعنى التقارب والتلاحم + بين محبى الرب وشعوبه وبين البركة الإلهية ونفحات الحياةالأبدية إنما يتحسسها ويراها ويسعى إليها ناسك فى محراب الرب يحيا حياة الشركة الحقيقية وله قامة هذا القديس. ومهما يكن الأمر فكلمات هوشع النبى (٦ : ٨) تمنحنا الرجاء والأمل فى المستقبل: لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب خروجه يقين كالفجر.. يأتى إلينا كالمطر كمطر متأخر يسقى الأرض!

وظهرت فعلا بارقة أمل مشجعة. فقد قام غبطة أنبا باولوس بطريرك إثيوبيا بزيارة لإريتريا يوم الأربعاء ١٣ فبراير الماضى (٢٠٠٢) قابل خلالها رئيس الجمهورية والتقى بغبطة أنبا فيلبس بطريرك إريتريا، واصطحبه عائدا إلى أديس أبابا فى اليوم التالى واحتفلا معا بالعيد الشهرى لسلاسى (الثالوث) فى كاتدرائية سلاسى بأديس أبابا. وأهتمت وسائل الإعلام الإثيوبية بالزيارتين ورحبت بغبطة البطريرك الإريترى الذى عاد إلى بلاده صباح الجمعة ١٤ فبراير وسط حفاوة ملحوظة.

ولقد دعمت الزيارتان السلام الهش الذى تم التوصل إليه بين البلدين العام الماضى بعد حرب الحدود التى استمرت سنتين (١٩٩٨ - ٢٠٠٠). كما دشنت علاقة جديدة بين الكنيستين تقوم على الاعتراف المتبادل والود والاحترام. وبذلك لم تعد "المسألة الإريترية" تشكّل مشكلة بين الكنيستين المصرية والإثيوبية.

وجاءت بارقة الأمل الثانية (يوليو ٢٠٠٢) حين رحبت كنيسة أثيوبيا برسالة خطية بوجود كاهن قبطى مقيم بأديس أبابا لرعاية الأقباط فيها، محققة بذلك إحدى رغبات قداسة البابا الأثيرة عنده. والمرجو أن تتوالى الاتصالات وتبادل الخدمات والزيارات، وأن يتهيأ المناخ لتنفيذ بروتوكول ١٩٩٤ الذى تم التوصل إليه بحكمة قداسة البابا وبحبه لإثيوبيا وكنيستها ورغبة الكنيستين فى توطيد علاقتهما التاريخية.

+ للتدليل على قوة التلاحم والتضافر بين الناس أجريت فى إنجلترا مؤخرا تجربة فريدة. فقد طلب من مليون طفل فى مدارس البلاد أن يقفزوا عاليا معا فى وقت واحد ثم يهبطوا على الأرض بكل قوة معا فى وقت واحد. وسبّب هبوطهم هذا هزة أرضية فى إنجلترا سجلت درجتين ونصف على مقياس رهتر (رختر) للزلازل !

الملاحق

مفردات كنسية إثيوبية

إجزأبهر .. الله/ الأب العظيم الرحوم
أبّا .. أبونا (للكاهن)
أبّاتتشن .. / أبونا .. } سيدنا (للبطريرك / للمطران)
إتشيجى .. الرئيس العام للرهبان والأديرة
أديس كدان .. العهد الجديد
أفا ممهر .. رئيس دير
أجا لْجاى .. مساعد / خادم بالكنيسة
إكليل .. تاج يلبسه العروسان فى الكنيسة
ألكا .. رئيس / رئيس كنيسة
أمّلادّج .. شفيع
أناجنوس .. أغنسطس
أقابى ساعات . مسئول عن ساعات الصلاة فى القصر
أقابيت .. التى تطحن القمح للقربان المقدس
أسكيما .. غطاء الكتف للرهبان به ١٢ صليب
أستاريومريم .. يوم نياحة السيدة العذراء
إرْجات .. عيد الصعود
إهود .. يوم الأحد
إيّاسوس .. يسوع

أُريت .. التوراة / ناموس موسى
إپيسكوپس .. خور إپيسكوپوس
پاپاس .. أسقف
بأُل .. عيد
بَدَلْ .. خطية
بهتاوى .. ناسك متوحد للعبادة
بيتلهم .. مكان بالكنيسة لإعداد القربان والنبيذ
بوراكى .. لقمة البركة
بوهى .. التجلى
بتكريستيان .. كنيسة
تابوت .. تابوت
تاؤت .. وثن
تذكار .. ذكرى للميت
تنزّاز .. إعتراف
تواهيدو .. عقيدة الطبيعة الواحدة (مونوفوسايت)
تنْسائى .. عيد القيامة
تنْبيت .. نبوة
جاد .. صوم الميلاد
جهّاد .. برمون الغطاس
جبراهمامات . البصخة المقدسة
جدام .. دير أو كنيسة يرعاها رهبان
جنّت .. الفردوس

جنّا .. عيد الميلاد

جهانّم .. جهنّم

جنّزات .. كتاب التجنيز

جبّزت .. الحرم

جزرات الختان

جنتلا .. شمسية، وهى من أمتعة الكنيسة

دابر .. كنيسة يرعاها كهنة متزوجون

دبْرا .. دير

دابْترا .. عالم وخادم كنسى بدون وضع اليد يقوم بالتسبيح والترتيل والرقص المقدس، وبالتعليم والنسخ

دهْنات .. الخلاص

دجوا .. الموسيقى الكنسية

دياكون .. شماس

رئيسادابر .. رئيس كنيسة دير

ريكوس منفس روح شريرة / شيطان

زار .. روح نجس

زنّار .. منطقة أو حزام حول الوسط للكاهن

زما .. ترتيلة

زمّارى .. كتاب ترانيم

زِكْرتَ زِكْرتَ احتفال بعيد قديس بالطعام والشراب يباركه الكاهن

ساعَتات .. كتاب الصلوات السبع (أجبية)

سلام .. سلام

سلام .. مدايح للقديسين تبدأ بكلمة سلام

سرج .. إكليل (زواج)

سماى .. السماء

سنْكسار .. السنكسار

سيطان .. شيطان

سكْلتْ .. الصّلب

سجدات .. مطنيات (سجود)

سنبت .. يوم الراحة المقدس (السبت والأحد)

شمَا .. شمعة

صلَوت .. صلاة

صادق .. صدّيق

صجًا .. نعمة

صوما دجوا .. ترانيم الصوم

صابرّت .. عصا أو قضيب يضرب به الكاهن بلطف على كتف المعترف

طبَلْ .. ماء مقدس

طمقات .. عيد الغطاس

فاسيكا .. عيد الفصح/ القيامة

فلْستا .. صعود السيدة العذراء

فتاتْ ..	حِلْ أو مغفرة
فَتّه نَجَسْتْ ..	كِتاب قوانين الملوك وهو ترجمة للمجموع الصفوى للصفى أبى الفضائل بن العسال
قَدّس ..	قدّس
قدّاسي ..	القداس
قِس ..	قس
قدّوس ..	مقدس / قديس
قُمص ..	قمص
قُربان ..	الجسد والدم الأقدسان
قدّسنًا ..	تقديس / تكريس
كَاهن ..	كاهن
كهنات ..	كهنة
كُوبْ ..	العمامة / غطاء الرأس للكهنة والرهبان
كريستوس ..	المسيح
كيدان ..	عهد / ميثاق
كَبَرو ..	طبلة صغيرة تصاحب الرقص الكنسى و «نجَريت» طبلة إسطوانية كبيرة. وتختلف الطبلتان فى ما يصدرانه من صوت.
ليدَتْ ..	عيد الميلاد
لِيقَ ..	رئيس: ليق دياكون؛ ليق كهنات ليق پاپاس (مطران)
ليق سلطنات .	رئيس كنيسة
ملاك ..	ملاك
ممهر ..	معلم
منبر ..	المذبح
مقدس ..	قدس الأقداس حيث يحفظ تابوت الكنيسة ولا يدخله إلا الكهنة
ميرون ..	ميرون
مهبر ..	جمعية من المؤمنين
مصهافَ قنديل	طقس مسحة المرضى
مصحاف مستْير	كتاب الأسرار
مصحاف تكليل	طقس الإكليل (الزيجة)
ماتبْ ..	زنار العماد معلق به صليب يلبسه الإثيوبى مدى حياته حول عنقه
مَدانْ / أدانَ ..	خلّص / شفى
منجست سمايات ..	ملكوت السموات
مسْوايت ..	عطية / نذر / ذبيحة
موتان تذكار ..	تذكار للأموات
مهْفد ..	لفافة قربان الحمل
مسْقل ..	الصليب
نفْس ..	نفس
نبيي ..	نبى

نسّها أبّات ..	أب اعتراف
هتيّات ..	خطية
هتيّتنيا ..	خاطئ
هكيم ..	دكتور / حكيم
هبيسْت ..	قربان الحمل
همامات ..	أسبوع الآلام

هُدَادى ..	الصوم الكبير
هُوسانا ..	أحد السعف
هَوارْيا ..	رسول
هيمانوت ..	دين / عقيدة
هيمانوت أباو	كتاب إيمان الآباء

الشهور الإثيوبية والقبطية

أول توت	أول مَسْكَرَم	١١ سبتمبر	رأس السنة الإثيوبية
أول بابه	أول طقمْت	١١ أكتوبر	
أول هاتور	أول هِيدار	١٠ نوفمبر	
أول كيهك	أول تِهساس	١٠ ديسمبر	
أول طوبه	أول طِرّ	٩ يناير	
أول أمشير	أول يِكاتيت	٨ فبراير	
أول برمهات	أول مِجّابيت	١٠ مارس	
أول برموده	أول مِيازْيا	٩ أبريل	
أول بشنس	أول جنبوت	٩ مايو	
أول بؤونه	أول سُنيه	٨ يونيو	
أول أبيب	أول هَمْليه	٨ يوليو	
أول مسرى	أول نِهاسيه	٧ أغسطس	
أول نسئ	أول باجمى	٦ سبتمبر	

مطارنة إثيوبيا الأقباط

بلغ عددهم مئة وأحد عشر خلال ستة عشر قرنا تقريبا (٣٣٠ - ١٩٥١). كان أولهم أنبا سلامه الذى سماه الإثيوبيون "كاشف النور" وآخرهم أنبا كيرلس الخامس الوحيد ـ ربما ـ الذى لم يدفن فى إثيوبيا. وهناك قوائم بأسمائهم، منها بداهة الإثيوبية والقبطية. وقد أعد الأستاذ أمير نصر واحدة بجهده الشخصى. وكتبت الموسوعة القبطية سير حياة العديد منهم. وكان بودى لو توافرت المعلومات المحققة أن أعد قائمة كاملة تتضمن تاريخى الرسامة والنياحة واسم البابا الذى قام بالرسامة واسم الإمبراطور / الأباطرة المعاصرين. واكتفى هنا بتسجيل أهم المطارنة الذين وردت أسماؤهم فى هذا الكتاب.

الاسم	القرن	ملاحظات
سلامه الأول ...	القرن الرابع ـ النصف الأول	عهد الإمبراطور إيزانا العظيم
يؤنس الأول ...	القرن التاسع ـ النصف الأول	
بطرس الأول ...	القرن العاشر ـ النصف الأول	
دانيال ...	القرن العاشر ـ أواخره	
بقطر ...	القرن الحادى عشر ـ النصف الثانى	
ساويرس ...	القرن الحادى عشر ـ النصف الثانى	
ميخائيل الأول ...	القرن الثانى عشر ـ النصف الأول	
ميخائيل الثانى ...	القرن الثالث عشر ـ أوائله	
إسحق الأول ...	القرن الثالث عشر ـ النصف الأول	
يؤنس الثانى ...	القرن الثالث عشر ـ النصف الأول	
يعقوب	القرن الرابع عشر ـ النصف الأول	
سلامه الثانى ...	القرن الرابع عشر ـ منتصفه	اشتهر بلقب "تراجوامى" أى المترجم لكثرة ما ترجمه من كتب إلى الجئز
برتلوميوس ...	القرن الخامس عشر ـ النصف الأول	
ميخائيل الثالث ...	القرن الخامس عشر ـ النصف الأول	

غبريال ...	القرن الخامس عشر ـ النصف الأول	
إسحق الثانى ...	القرن الخامس عشر ـ النصف الثانى	
يوساب الأول ...	القرن السادس عشر ـ منتصفه	
بطرس الثانى ...	القرن السادس عشر ـ النصف الثانى	
ميخائيل الرابع ...	القرن السابع عشر ـ النصف الأول	بدء الصراع اللاهوتى
مرقس الثالث ...	القرن السابع عشر ـ النصف الأول	
كريستودولو الأول ...	القرن السابع عشر ـ النصف الأول	عهد الإمبراطور سوسينيوس الذى تكثلك
بطرس الثالث ...	القرن السابع عشر ـ النصف الأول	
سمعان ...	القرن السابع عشر ـ النصف الأول	
شنوده الأول ...	القرن السابع عشر ـ النصف الثانى	
مرقس الرابع ...	القرن السابع عشر ـ آخره	
يؤنس الثالث ...	القرن الثامن عشر ـ منتصفه	
يوساب الثالث ...	القرن الثامن عشر ـ النصف الثانى	عصر الفوضى الكبير
كيرلس الرابع ...	القرن التاسع عشر ـ النصف الأول	
سلامه الثالث ...	القرن التاسع عشر ـ النصف الأول	عهد الإمبراطور تيودروس
أثناسيوس الأول ...	القرن التاسع عشر ـ النصف الثانى	عهد الإمبراطور يوهنس الرابع
بطرس الرابع ...	القرن التاسع عشر ـ النصف الثانى	
متاؤس ١١ ...	القرن العشرون ـ أوائله	عهد الإمبراطور منليك الثانى
كيرلس الخامس ...	القرن العشرون ـ النصف الأول	عهد هايل سلاسى الأول

بروتوكول ١٩٩٤ بين الكنيستين القبطية والإثيوبية

مقدمة :

ترتبط الكنيستان بعلاقات وثيقة منذ القرون الأولى للمسيحية، فأعضاؤهما هم أبناء القديس مرقس الرسول. وقد تجسدت هذه العلاقات، حينما قام القديس أثناسيوس الرسولى ـ البابا الأسكندرى العشرون، بسيامة "فرومنتيوس" سنة ٣٢٩م كأول أسقف لاثيوبيا، بناء على طلب الملكين المسيحيين الأثيوبيين "ابراها" و "انشيبا". وقد أعطى إسم الأنبا سلامة، الذى بدأ أسقفيته فى إثيوبيا سنة ٣٣٠م وهو مكرم باعتباره قديساً.

وبسيامة الأنبا سلامة، أسست كنيسة الاسكندرية، التى كانت تعتبر تاريخيا الكنيسة الأم لكنيسة أثيوبيا، كرسى الأسقفية لهذه الكنيسة، التى أصبحت بذلك جزءاً من كرازة مرقس الرسول.

واستمرت كنيسة الاسكندرية فى سيامة وإرسال أسقف (*) كرسى أثيوبيا. ولما امتدت المسئوليات الرعائية لإثيوبيا، وبناء على طلب من الكنيسة الإثيوبية، بدأت كنيسة الاسكندرية فى سيامة العديد من الأساقفة لايبارشيات أثيوبيا، بالاضافة إلى إرسال المطران. **وتقديرا لنمو الكنيسة الاثيوبية**، وبناء على طلب منها، توجت كنيسة **الاسكندرية أبونا باسيليوس سنة ١٩٥٩ كأول رئيس لكنيسة أثيوبيا.**

وفى الفترة من القرن الرابع حتى منتصف القرن العشرين، أعتبرت كنيسة الأسكندرية الكنيسة الأم بالنسبة لكنيسة أثيوبيا. وهكذا اعتبر بطاركة الأسكندرية الذين توجوا كخلفاء على عرش مارمرقس منذ القرن الرابع حتى سنة ١٩٥٩ الآباء الروحيين **لكنيسة اثيوبيا أيضا.**

(*) جرت العادة أن يكون مطرانا.

وحرصا على العلاقات بين الكنيستين، واستمرار وإنماء للروابط الوثيقة، أتفقت الكنيستان على تشكيل لجنة مشتركة، لحل المشكلات القائمة، ووضع أسس العلاقات بينهما فى الحاضر والمستقبل.

وبعد مبادرات واجتماعات كثيرة، أجتمعت هذه اللجنة المشتركة فى أديس أبابا، بأثيوبيا، فى فبراير ١٩٩٤، ووضعت هذا البروتوكول المقترح، الذى لن يصير مقبولا، ما لم يوافق عليه المجمعان المقدسان للكنيستين.

مادة ١ :

اعتمادا للتسلسل الكهنوتى للكنيسة الاثيوبية، ووفق هذا البروتوكول، تعترف كنيسة الاسكندرية بالاستقلال الكامل لكنيسة أثيوبيا.

مادة ٢ :

يكون لقداسة بابا الاسكندرية، بصفته خليفة القديس مرقس الرسول، موضع الكرامة الأول، وذلك وفقا للتقاليد الكنسية، وقرارات المجامع المسكونية القانونية المعترف بها من الكنيستين، وبسبب العلاقات التاريخية بينهما، على أن ذلك لا ينتقص من استقلالية كنيسة إثيوبيا.

مادة ٣ :

الكنيستان تنتميان إلى كرازة مار مرقس، وتؤمنان بعقيدة أرثوذكسية واحدة، ولكل منهما أستقلالها التام.

مادة ٤ :

إبرازا وتأكيدا للعلاقات الروحية بين الكنيستين، يتم ذكر قداسة بابا الأسكندرية وقداسة بطريرك إثيوبيا فى الصلوات الطقسية فى المناسبات التالية :

١ ــ حينما يجتمع رئيسا الكنيستيين معاً.

٢ ــ حينما يترأس أحد البطريركين قداساً إلهياً.

٣ ـ حينما يصلى أى أسقف أو كاهن قداساً فى الكنيسة الأخرى أو فى الصلوات المشتركة.

٤ ـ فى الأعياد الكبرى مثل : الميلاد ـ الغطاس ـ القيامة ـ الصليب.

وفى كل هذه المناسبات **يذكر إسم البابا السكندرى أولا**.

مادة ٥ :

لكل من **الكنيستين مجمعها المقدس الخاص** بها، لرعاية شئونها. ويجب أن يتم تبادل قرارات المجمعين بانتظام.

مادة ٦ :

تأكيدا للإيمان والتقليد الأرثوذكسى الرسولى الواحد، ينعقد لقاء مشترك للمجمعين **المقدسين كل ثلاث سنوات، وكلما اقتضت الحاجة**، على أن يتم عقد اللقاءات بالتبادل، بين الأسكندرية وأديس أبابا، بداية بالأسكندرية.

مادة ٧ :

لكل **من الكنيستين حرية اختيار بطريركها**، على أن ترسل **الكنيسة الأخرى وفداً من** خمسة أعضاء من مجمعها المقدس، ليشارك فى عملية الانتخاب، ولأعضائه حق **التصويت**.

مادة ٨ :

فى حالة **سيامة وتتويج بطريرك فى المستقبل** لأى من الكنيستين، ترسل هذه **الكنيسة وفدا لدعوة الكنيسة** الأخرى للمشاركة، ويتم التفاوض حول نوعية المشاركة عندئذ.

مادة ٩ :

تدعو كل من الكنيستين الكنيسة الأخرى، للمشاركة أو المراقبة، فى كل المناسبات الهامة. متابعة وليست رئاسة.

مادة ١٠ :

حينما تقوم أى من الكنيستين بحوار لاهوتى رسمى مع كنائس أخرى، حول قضايا إيمانية، تدعو الكنيسة الأخرى لإرسال عضو على الأقل من المجمع المقدس لحضور اللقاءات.

سوف تقوم الكنيستان بالتشاور معاً حول الشئون المسكونية العالمية.

مادة ١١ :

تلتزم كل من الكنيستين بعدم عزل أو استبدال بطريركها أو أحد أساقفتها أثناء حياته، مالم يتقرر هذا الامر بواسطة مجمعها المقدس، ومن خلال إجراءات قانونية.

مادة ١٢ :

يتم تشكيل لجنة مشتركة من أعضاء المجمعين المقدسين، لتنفيذ هذا البروتوكول ودعم التعاون بين الكنيستين فى مجالات مختلفة مثل :

١ ـ تشجيع وتبادل الزيارات بين البطريرك والمطارنة والأساقفة والكهنة، والرهبان، والاساتذة، والطلاب، والشمامسة...

٢ ـ التعليم اللاهوتى.

٣ ـ التعليم المسيحى : برامج مدارس التربية الكنسية، والشباب، والأسرة.

٤ ـ الخدمات الاجتماعية ومشاريع التنمية.

٥ ـ الرعاية : تلتزم كل من الكنيستين بإعطاء فرصة للكنيسة الأخرى لرعاية شعبها فى البلد الآخر.

مادة ۱۳ :

هذا البروتوكول هو اقتراح يجب تقديمه للمجمعين المقدسين بالكنيستين للدراسة وإصدار القرار. وفى حالة عدم موافقة أى من المجمعين أو كليهما عليه، يصير كأن لم يكن، ويجب أن يعاد إصداره مرة أخرى بناء على توصيات المجمعين المقدسين. وأن يرسل إليهما مرة أخرى للدراسة وإصدار القرار، وذلك من خلال اللجنة المشتركة.

مادة ١٤ :

حينما تتم الموافقة على هذا البروتوكول من المجمعين المقدسين، ويوقع عليهما بطريركا الكنيستين، تصير كل الاتفاقات والبروتوكولات السابقة بين الكنيستين منتهية وغير سارية المفعول.

مادة ١٥ :

بمجرد موافقة المجمعين المقدسين على هذا البروتوكول، وتوقيع البطريركين عليه، يصير نافذ المفعول، ويجب نشره وتعميمه على كل الإيبارشيات والرعويات بالكنيستين.

مادة ١٦ :

يجب صياغة هذا البروتوكول بالأمهرية والعربية والإنجليزية. وإذا حدث سوء فهم من حيث الترجمة، تعتبر النسخة الإنجليزية هى الفيصل.

توقيعات الجانب القبطى على البروتوكول المقترح :

١ ـ نيافة الأنبا بيشوى، سكرتير المجمع المقدس، ومطران دمياط.

٢ ـ نيافة الأنبا أنطونيوس مرقس، أسقف عام شئون أفريقيا.

٣ ـ نيافة الأنبا موسى، أسقف عام الشباب.

٤ ـ نيافة الأنبا سرابيون، أسقف الخدمات الاجتماعية والعلاقات العامة.

توقيعات الجانب الاثيوبى على البروتوكول المقترح:

١ ـ نيافة أبونا **مكاريوس**، مطران أكسوم وإيبارشية تيجراى.

٢ ـ نيافة أبونا **نثنائيل**، مطران ايبارشية آرسى.

٣ ـ نيافة أبونا **جبرائيل**، مطران شمال والو.

٤ ـ نيافة أبونا **تيموثاوس** المطران، سكرتير عام خدمات التنمية.

٥ ـ نيافة أبونا **جاريما** المطران، سكرتير المجمع المقدس للكنيسة الإثيوبية.

البروتوكول المقترح ـ عاليه ـ مكون من ١٦ مادة مع المقدمة، ويقع فى ٥ صفحات(*)، وقد تم إعداده فى أديس أبابا الاثنين ١٤ فبراير ١٩٩٤، بواسطة اللجنة المشتركة بين الكنيستين القبطية الأرثوذكسية، والإثيوبية الأرثوذكسية، وجملتهم تسعة مطارنة وأساقفة، الذين أسماؤهم والقابهم وتوقيعاتهم مسجلة عاليه.

(*) فى النسخة الإنجليزية وهى المرجع.

أهم المراجع

١ ـ د. أنتونى سوريال عبد السيد، الكنيسة المصرية القبطية وكنيسة إثيوبيا، القاهرة ١٩٨٥

٢ ـ د. أنتونى سوريال عبد السيد، الاستقلال الذاتى لكنيسة إثيوبيا، القاهرة ١٩٩٢

٣ ـ أنبا أنطونيوس مرقس، أعبر إلينا وأعنا، الجزء الأول، القاهرة

٤ ـ الشاطربوصيلى عبد الجليل، تاريخ حضارات السودان الشرقى والأوسط، القاهرة ١٩٧٢

٥ ـ جون بوخهلستر (ترجمة رمزى يسى) أرض الوجوه السمراء، القاهرة ١٩٦٣

٦ ـ د. حسن أحمد محمود، الاسلام والثقافة العربية فى إفريقيا، القاهرة ١٩٨٦

٧ ـ د. حكيم أمين، د. يوسف منصور، عشر سنوات مجيدة، القاهرة ١٩٦٩

٨ ـ د. حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، القاهرة ١٩٦٣

٩ ـ راهب من دير البراموس، الرهبنة الحبشية، القاهرة ١٩٩٩

١٠ ـ د. زاهر رياض، الدستور الإثيوبى وتطور نظام الحكم، القاهرة ١٩٥٨

١١ ـ د. زاهر رياض، كنيسة الأسكندرية فى إفريقيا، القاهرة ١٩٦٢

١٢ ـ د. زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، القاهرة ١٩٦٦

١٣ ـ د. شوقى الجمل، العلاقة بين الكنيستين المصرية والإثيوبية، القاهرة ١٩٨٥

١٤ ـ يوسف جرجس، الرحلة البطريركية إلى الإمبراطورية الإثيوبية، القاهرة ١٩٣٠

١٥ ـ الأسقف يوحنا زيزيولاس، الوجود شركة، القاهرة ١٩٨٩

١٦ ـ القمص مرقس داود شجرة مثمرة، القاهرة ١٩٩٥

***

1 - Amanu, Adunia, The Ethiopian Church Becomes Independent, Addis Ababa, 1969 (Unpublished Thesis)

2 - Atiya, Surial Aziz, A History of Eastern Christianity London, 1968

3 - Boswell, W.B., Abyssinian Elements in the Irish Accounts of the Life of st. Patrick, Boston 1991

4 - Budge, E.A.V., A History of Ethiopia, Londom 1928

5 - Buxton D., Travels in Ethiopia, London 1949

6 - Caraman, Philip, The Lost Empire, The Story of the Jesuits in Ethiopia, Lomdon 1985

7 - Clark, W.T., Manners, Custons and Beliefs of the N. Beja

8 - Daoud, Marcon (Fr.), The Liturgy of the Ethiopian Church, 1959

9 - Doresse, Jean, Ethiopia (translated), London 1967

10 - Doresse, Jean, Ethiopian Ancient Cities and Temples, Toronto 1967

11 - Ephraim, Isaac, The Ethiopian Church, Boston 1967

12 - Gabra - Sellassie, Zewde, Yohannis IV of Ethiopia, Oxfond 1975

13 - Geddes, N., The Church History of Ethiopia, London 1996

14 - Giday, Belai, Ethiopin Civilization, Addis Ababa 1992

15 - Gray, Richard, Black Christians and white Missionaries, Boston 1990

16 - Gunter, J, Inside Africa

17 - Haberland, Eike, The Ethiopian Orthodox Church .. a National Church in Africa

18 - Hable Selassie, Sergew, Ancient and Medieval Ethiopian History, Addis Ababa 1972

19 - Haile, Getdchew et al (eds.), The Missionary Factor in Ethiopia, Fankfurt 1998

20 - Hancock, Graham, The Sign and the Seal

21 - Hyatt, H.M., The Church of Abyssinia, London 1928

22 - Jones, A.H. & Monroe, E, A History of Ethiopia, London 1968

23 - Lipsky, A., Ethiopia, Its People, Its Society, Its Culture, Boston 1972

24 - Longrigg, Stephen, A Short History of Eritrea, Oxford 1945

25 - Mara, Yolande, The Church of Ethiopia: The National Church in the Making, Asmara 1972

26 - Marcus, H.C., A History of Ethiopia, Berkeley 1994

27 - Meinardous, Otto, Ethiopian Monks in Egypt, 1925

28 - Mosley, L., Haile - Selassie the Conquering Lion, London 1964

29 - Pankhurst, S., Ethiopia : A Cultural History, Essex 1955

30 - Pankhurst, R.K., Ethiopian Medieval and Post- Medieval Capitals, London 1979

31 - Parker, B, Ethiopia : Breaking New Grounds, Oxford 1995

32 - Phillipson, David W., An Ancient Ethiopia, London 1998

33 - Tamirat, Taddesse, The Church of Ethiopia, Addis Ababa 1970

34 - Tamirat, Taddesse, Church and State in Ethiopia (1270 - 1527), London 1972

35 - Teklehaimanot, Ayele (Abba) The Egyptian Metropolitan, Addis Ababa 1984

36 - Trimingham J.S., The Christian Church and Mission in Ethiopia, London 1950

37 - Trimingham, J.S., Islam in Ethiopia, Oxford 1952

38 - Ullendorff, E, The Ethiopians, London 1960

39 - Wolde-Aregay, Merid, Southern Ethiopia and the Christian Kingdom 1508 - 1708, London 1971

40 - Wolde Gergos, Marce Hazen, The First Patriarch of the Ethiopian Church, Addis Ababa 1956

41 - Zawde, Bahru, History of Modern Ethiopia 1855 - 1974, London 1991

42 - The Ethiopian Tewahedo Church Faith, Order of Worship & Ecumenical Relations, Addis Ababa 1996

43 - The Coptic Encyclopedia

مراجع إثيوبية

1 - Lule Melaku, Yebete Kristian Tarik, A.A., 1986

2 - Abba Tesfasellassie Mogas, Qeddus Marcos Ethiopiawi New, A.A., 1988

محتويات الكتاب	الصفحة

